

معالم من تاريخ الأنبياء ﷺ

معالم من تاريخ الأنبياء ﷺ

إعداد

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

أستاذ الدراسات العليا

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٥ م

عبدالعزیز بن إبراهيم سليمان العُمري، ١٤٤٦هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العُمري، عبدالعزیز بن إبراهيم سليمان
 معالم من تاريخ الأنبياء عليهم السلام. / عبدالعزیز بن إبراهيم
 سليمان العُمري - ط ١ - الرياض، ١٤٤٦هـ
 ٤٢٣ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧ - ٤٨٣٤ - ٠٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

رقم الإيداع ١٢٠٥٩ / ١٤٤٦

ردمك: ٧ - ٤٨٣٤ - ٠٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

للتواصل

الرياض: هاتف: ٩٦٦ ١١ ٢٧٤٦٦٧٧ + - ٩٦٦ ١١ ٢٧٤٦٦٨٨ +

E. mail: azizomary@hotmail.com

يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، بإذن خطي من المؤلف. والكتاب متوفر بصيغة (PDF) مجاناً على الموقع الإلكتروني (http://omaryforum.com).



إِهْدَاء

لمن يتذكر ويقرأ كل ليلة قوله تعالى:

﴿ءَاٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَاۤ اُنزِلَ اِلَيْهِۭ مِنْ رَّبِّهِۭ ۗ وَالْمُوْمِنُوْنَ كُلُّۭمْ
ءَاٰمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهٖۙ وَكُتُبِهٖۙ وَرُسُلِهٖۙ لَا يَفْرُقُوْا بَيْنَۙ اَحَدٍۙ مِّنْ
رُّسُلِهٖۙ وَقَالُوْا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا ۗ غُفْرٰنَكَ رَبَّنَا ۗ وَإِلَيْكَ

الْمَصِيْرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة].

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١١	مقدمة
١٥	تمهيد
٢١	جدول الأنبياء وزمانهم ومكان بعثتهم
٢٣	آدم <small>عليه السلام</small>
٥١	إدريس <small>عليه السلام</small>
٥٩	نوح <small>عليه السلام</small>
٧٩	هود <small>عليه السلام</small>
٩١	صالح <small>عليه السلام</small>
١٠٧	إبراهيم <small>عليه السلام</small>
١٥١	إسماعيل <small>عليه السلام</small>
١٦٣	لوط <small>عليه السلام</small>
١٨٣	إسحاق ويعقوب <small>عليهما السلام</small>
١٩٣	يوسف <small>عليه السلام</small>
٢٢١	شعيب <small>عليه السلام</small>
٢٣٥	أيوب <small>عليه السلام</small>
٢٤٥	موسى <small>عليه السلام</small>
٣٢١	داود وسليمان <small>عليهما السلام</small>

الصفحة	الموضوع
٣٥١	إلياس عليه السلام
٣٥٧	يونس عليه السلام
٣٦٩	زكريا ويحيى عليهما السلام
٣٨١	عيسى عليه السلام
٤١٣	الخاتمة
٤١٧	المصادر والمراجع



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسوله، وأخص منهم خاتمهم محمدًا ﷺ، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِبين﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل].

ويقول الله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ ۗ وَزُرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ [الإسراء].

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ۗ ءَأَيْنَتْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ ۖ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [القصص].

الأنبياء والرسول ﷺ حملة وحي الله ورسالاته إلى خلقه وعباده.

أحببت أنبياء الله ورسوله من خلال ما تلوته من كتاب الله وقرآته عنهم من سنة رسول الله ﷺ، بما تعدد من ذكر لقصصهم في سور مختلفة، بين مطوّل وقصير، ومفصّل ومختصر، لحكمة يعلمها الله. فلما تأملت رأيها فيها قيادة للعباد إلى ربهم، وإلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وتوجيهاً للعقيدة والأخلاق الصحيحة، ومعرفةً لسنن الله في الخلق، وقدرته عليهم، فهم دعاة توحيد وإخلاص لله، وسير على شريعته، بما فيها من عبادة وعدل ونفع للخلق، مع توزيعهم بين البلدان والأقوام والأزمنة.

لفت نظري تسمية عدد من سور القرآن بأسمائهم، فسعيت للكتابة عن الأنبياء بما يفتح الله عليّ، لعل ألقاهم ووالديّ وأهلي وأحابي عند الله تحت عرشه ورحمته يوم الدين، الذي كانوا يندرون به. وقد يسر الله لي بداية العمل في تاريخ الأنبياء وقصصهم مع بداية شهر رمضان المبارك سنة ١٤٤٥ هـ. وكنت حريصاً على هذا الشهر وهذا البحث؛ إذ إن مادته جُلها من كتاب الله ﷻ، وبالتالي فسوف أقرأ في القرآن الكريم بدلاً من البحث في موضوعات تبعني عنه، واستشهد بما ورد فيه من آيات عنهم خلال الشهر الكريم.

اتخذت منهجاً في الكتاب يعتمد على الآيات القرآنية المتعلقة بحياة الأنبياء قبل كل شيء، والتي تُبرز منهجهم وأهم الأحداث التي واجهوها، وما يستفيد منه الإنسان في طريقه إلى الله.

ورتبت الآيات حسب الأحداث، بما يجعل القارئ يفهم المراد منها.

تتبعت السنة وما فيها من الروايات عن الأنبياء، بعيداً عن الضعيفة أو الموضوعية، وما قد يثير شبهات لدى البعض. وإن كان بعض العلماء أوردوها ثم رد عليها، إلا أنني رأيت الأعراض عن ذلك، مع التركيز على ما يفيد الإنسان من حياة الأنبياء، وما يمكن أن يرتبط بحياته علماً وفقهًا وثباتاً وعملاً بما ينفعه ويقربه إلى الله ﷻ.

اجتهدت في تحديد أزمانهم وأماكنهم وبلدانهم، ووضعت لذلك بعض الخرائط التي تُعين على ذلك. وقد حاولت الاستعانة ببعض ما ورد عند أهل الكتاب في العهد القديم (أسفار يهود) أو في العهد الجديد (أناجيل النصارى)، إلا أنني بعد الاطلاع عليها رأيت الأعراض عنها؛ لما فيها من إساءة الأدب مع أنبياء الله، وتغليب للماديات، وتحريف للروايات. فرأيت ألا فائدة تُرجى منها،

وإن كان حديثهم عن الأماكن والأزمنة يمكن أن يُقارن بما ورد عند المسلمين، الذي غالباً لا يخالفه، إلا أنهم إجمالاً، سواء كانوا من المغضوب عليهم أم من الضالين، هم أبعد الناس عن تقدير الأنبياء واحترامهم، ولذلك لا يُرجى خير في شيء مما ورد عندهم.

ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر أستاذي د. علي بن إبراهيم النملة الذي استفدت من ملاحظاته وتوجيهاته، وكذلك أشكر الأخ مصعب بشير الذي تولى متابعة الخرائط والتصميم والإخراج وكل من أسدى إليّ ما يفيد في هذا الكتاب.

أسأل الله ﷻ المغفرة والقبول، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء في عليين. وهو وحده المستعان وعليه التكلان.

الفقير إلى عفو ربه
عبد العزيز بن إبراهيم العُمري
١ رمضان ١٤٤٥هـ.



تمهيد

تعريف النبي والرسول:

النبي مشتق من النبا، وهو الخبر؛ كما في قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١)
 عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (٢) [النبا].

فهو مُنبأ؛ أي: مُخَبَّر من الله ﷻ حيث يُوحى إليه نبأً من شَرعهِ.

وقيل: من النَّبَوَّة، وهي الشرف، والمكانة العالية، فمُرتفعت الأرض أشرفها وأعلاها، والنبي ذورفعة عند الله تعالى في الدنيا والآخرة، وذو شَرَفٍ وَسُؤْدُدٍ في قَوْمِهِ، وهو مُنبأٌ من الله تعالى بأمره الديني الشرعي الذي يهتدي به. (١)

والنبي: هو الذي يوحى إليه بشرع، ولا يُؤمر بتبليغه، وإنما يوحى إليه بفعله وقد يُؤمر بالتبليغ والإنذار بشرريعة من قبله، ليذكُرهم ما نسوه، وليبطل ما ابتدَعوه، ويصحح ما أخطؤوا فيه، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، ويكون قُدوةً لهم في اتِّباع الرسول السابق، فهو يحكم بشرريعة من قبله، وقد يُوحى إليه وحيٌّ خاص في واقعة مُعيَّنة. ولا ينزل عليه كتابٌ ولا يُرسل إلى قوم لم تبلغهم رسالة سابقة. (٢)

أما إذا كان مستقلاًً بشرريعة ووحى فإنه يكون نبياً رسولاً، فالذين بعثوا بعد موسى ﷺ بشرريعة التوراة يسمون أنبياء؛ لأنهم تابعون له في التوراة كزكريا

(١) انظر: موقع <https://www.alukah.net/sharia/> بتاريخ ٢٥/١/١٤٤٦هـ.

(٢) نظر: ابن تيمية، كتاب النبوات، ط ١ - بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٢هـ، ص ١٩١.

ويحيى ﷺ، وبعضهم يُعدون رسلاً وأنبياء مثل داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء ﷺ بعد موسى ﷺ، فإنهم دعوا إلى ما دعا إليه موسى ﷺ، وهم أنبياء ورسول - عليهم الصلاة والسلام.

وقد فضل الله بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

والرسول هو الذي يؤمر بالتبليغ مطلقاً، وإن كان تابعاً لنبي قبله، كمن كان على شريعة التوراة. (١)

والرسول في اللغة: مأخوذٌ من البعث وهو الإرسال والتوجيه؛ فالرسول هو المبعوث برسالة؛ فالرُّسل - عليهم الصلاة والسلام - إنما سُموا رسلاً لأنهم بُعثوا من الله تعالى برسالة حملوها وأمروا بتبليغها للناس. (٢)

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِرِينَ﴾ [ص: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنُوا بِاللَّهِ حَسِبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: من الآية: ٣٦].

(١) انظر: ابن تيمية، كتاب النبوات، ص ١٩١؛ وموقع ابن باز <https://binbaz.org.sa.ftawas> بتاريخ ١٤٤٦/١/٢٥هـ.

(٢) انظر: ابن تيمية، كتاب النبوات، ص ١٩٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٦﴾ [النحل].

وقد فضل الله بعض الرسل على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۗ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا ۗ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ [البقرة].

وقال تعالى عن تتابع الرسل: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ۚ كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ [المؤمنون]، وتترا: [يتبع بعضهم بعضاً]. (١)

والله عليم بمن يؤتیه الرسالة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ [الأنعام].

ومنهم أولو العزم، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۗ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۚ بَلِغْ ۗ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾ [الأحقاف].

والرسالة رحمة وفضل من الله، قال تعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ [البقرة].

مهمة الرسول دعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيده، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء].

وبعثوا للأمم مختلفة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ (٣٦) [النحل].

حملوا البشارة والندارة للناس، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥) [النساء].

عدد الأنبياء والرسول ﷺ.

خاض في ذلك الكثيرون فيما لا يعلمه إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٧٨) [غافر].

والأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً، هم: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، يونس، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، اليسع، ذو الكفل، داود، زكريا، سليمان، إلياس، يحيى، عيسى، ومحمد - صلوات الله عليهم جميعاً.. (١)

وقد ذكر منهم ثمانية عشر في موضع واحد من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى

(١) انظر: محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، ص ١٤.

وَأَيُّ النَّبِيِّينَ كَانَ أَوْلَىٰ؟ فَقَالَ: آدَمُ فَقُلْتُ: أَوْ نَبِيًّا كَانَ؟ قَالَ: نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ فَقَالَ: مِئَةٌ أَلْفٌ، وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. فَقَالَ: كَمْ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثٌ مِئَةٌ وَخَمْسَةٌ عِشْرِينَ جَمًّا غَفِيرًا. (١)

كان الصحابة رضي الله عنهم يناقشون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء والمرسلين وعددهم. كما كان الصحابة والتابعين كذلك.

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ... قلت: يا رسول الله، فأبي الأنبياء كان أول؟ فقال: آدم فقلت: أو نبياً كان؟ قال: نعم، نبي مكرم. قلت: يا رسول الله، فكم الأنبياء؟ فقال: مئة ألف، وأربعة وعشرون ألفاً. فقال: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مئة وخمسة عشر جمًّا غفيراً. (١)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال لرجل جالس عنده وهو يحدث أصحابه: ادن مني فقال له الرجل: أبقاك الله، والله ما أحسن أن أسألك كما سألت هؤلاء، فقال: ادن مني فأحدثك عن الأنبياء المذكورين في كتاب الله. أحدثك عن آدم إنه كان عبداً حراثاً، وأحدثك عن نوح إنه كان عبداً نجاراً، وأحدثك عن إدريس إنه كان عبداً خياطاً، وأحدثك عن داود أنه كان عبداً زراداً، وأحدثك عن موسى أنه كان عبداً راعياً، وأحدثك عن إبراهيم أنه كان عبداً زراعاً، وأحدثك عن صالح أنه كان عبداً تاجرًا، وأحدثك عن سليمان أنه كان عبداً آتاه الله الملك، وكان يصوم في أول الشهر ستة أيام وفي وسطه ثلاثة أيام وفي آخره ثلاثة أيام وكانت له تسع مئة سرية، وثلاث مئة فهرية، وأحدثك عن ابن العذراء البتول عيسى ابن مريم أنه كان لا يخبئ شيئاً لغد، ويقول: الذي غداني سوف يعشيني، والذي عشاني سوف يغديني، يعبد الله ليلة كلها يصلي حتى تطلع الشمس وهو بالنهار سائح، ويصوم الدهر كله، ويقوم الليل كله، وأحدثك

(١) انظر: ابن حجر، المطالب العلية، ج ١٤/٢٢٠، برقم: ٣٤٤٢.

عن النبي المصطفى ﷺ أنه كان يرعى غنم أهل بيته بأجياد، وكان يصوم فنقول: لا يفطر، ويفطر فنقول: لا يصوم، وكلها ما رأيناها صائماً ويصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وكان ألين الناس جناحاً وأطيبهم خبراً، وأطولهم علماً، وأخبرك عن حواء أنها كانت تغزل الشعر فتحوله بيدها فتكسو نفسها وولدها، وأن مريم بنت عمران كانت تصنع ذلك.^(١)



(١) انظر: الحاكم، المستدرک، ج ٢/٦٥٢، برقم: ٤١٦٥.

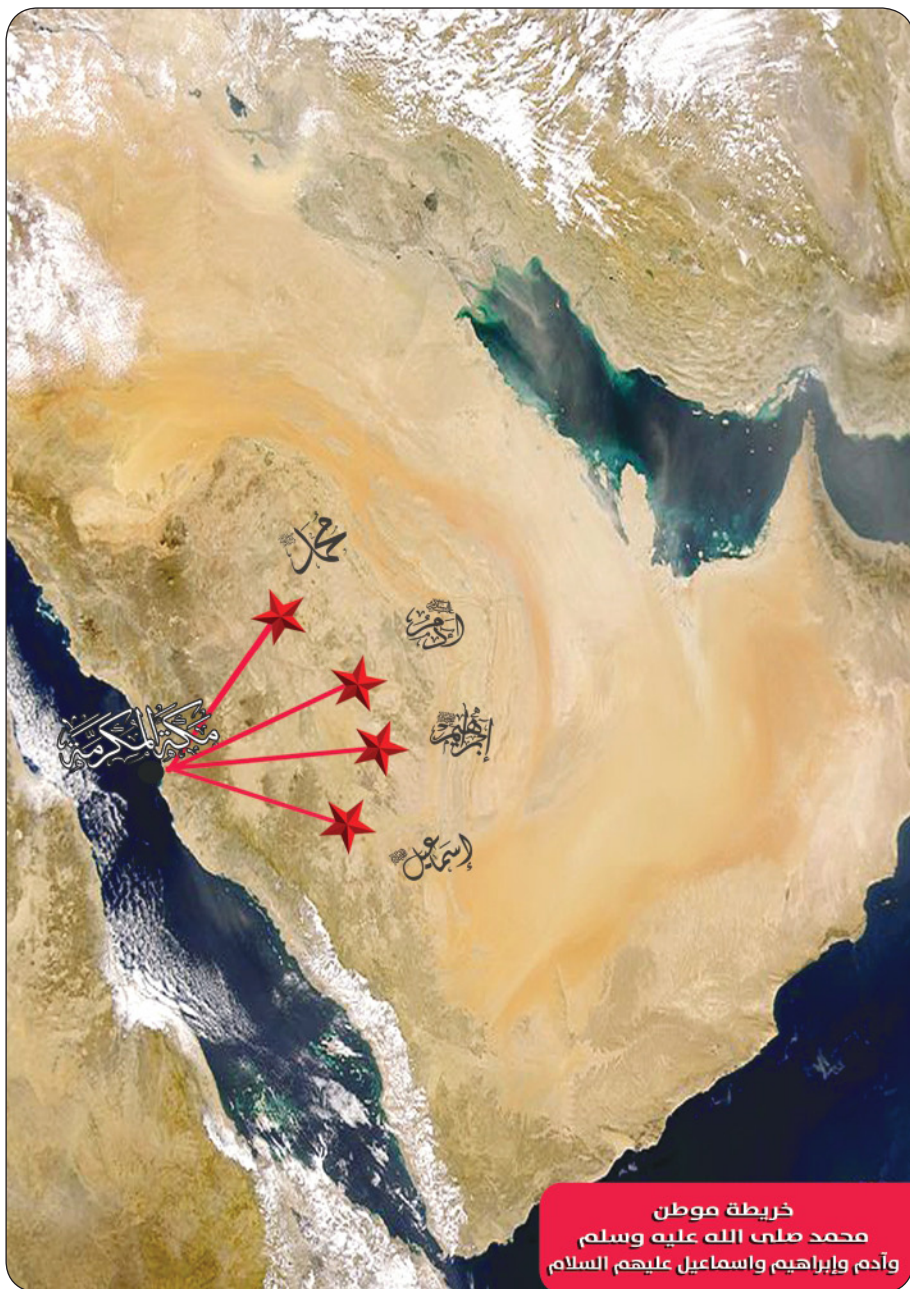
جدول الأنبياء عليهم السلام وزمانهم ومكان بعثتهم

مكان البعثة	الفترة الزمنية (تقريبية)	الاسم باللاتيني	الاسم بالعربي
الهند، وقيل بجزيرة العرب.	(٥٨٠٠ - ٥٠٠٠) قبل الميلاد	Adam	آدم
العراق القديم - في جنوب العراق.	(٤٥٠٠) قبل الميلاد	Enoch	إدريس
بلاد الرافدين.	(٤٠٠٠ - ٣٠٠٠) قبل الميلاد	Noah	نوح
الأحقاف (عمان وشرق اليمن) / الجزيرة العربية.	حوالي (٢٤٠٠) قبل الميلاد	Hud	هود
ثمود (شمال الجزيرة العربية).	حوالي (٢١٠٠) قبل الميلاد	Saleh	صالح
بلاد الرافدين وكنعان.	حوالي (١٨٥٠) قبل الميلاد	Abraham	إبراهيم
مكة (الجزيرة العربية).	حوالي (١٨٠٠) قبل الميلاد	Ishmael	إسماعيل
سدوم وعمورة (فلسطين والأردن).	حوالي (١٨٠٠) قبل الميلاد	Lot	لوط
كنعان (التي تشمل المناطق الحالية من فلسطين والأردن وأجزاء من لبنان وسوريا).	حوالي (١٨٠٠) قبل الميلاد	Isaac	إسحاق
كنعان (التي تشمل المناطق الحالية من فلسطين والأردن وأجزاء من لبنان وسوريا).	حوالي (١٧٥٠) قبل الميلاد	Jacob	يعقوب
بداية في كنعان (فلسطين حالياً) مع والده يعقوب وإخوته، ثم نقل إلى مصر عندما بيع كعبد.	حوالي (١٧٠٠) قبل الميلاد	Joseph	يوسف
منطقة مدين، وهي تقع في شمال غرب الجزيرة العربية، بالقرب من حدود الأردن الحديثة وشمال غرب السعودية حالياً.	حوالي (١٦٠٠) قبل الميلاد	Jethro	شعيب

الاسم بالعربي	الاسم باللاتيني	الفترة الزمنية (تقريبية)	مكان البعثة
أيوب	Job	حوالي (١٥٠٠-١٦٠٠) قبل الميلاد	بلاد الرافدين، تحديداً في منطقة حوران، التي تقع في سوريا والأردن اليوم.
موسى	Moses	حوالي (١٣٠٠) قبل الميلاد	مصر وشبه جزيرة سيناء.
هارون	Aaron	حوالي (١٣٠٠) قبل الميلاد	مصر وشبه جزيرة سيناء.
داود	David	حوالي (١٠٠٠) قبل الميلاد	فلسطين (القدس).
سليمان	Solomon	حوالي (٩٧٠) قبل الميلاد	فلسطين (القدس).
ذو الكفل	Ezekiel	حوالي (٩٥٠) قبل الميلاد	يُعتقد أن ذو الكفل عاش في منطقة بابل أو فلسطين، لكن التفاصيل الدقيقة حول مكان بعثته ليست واضحة تماماً.
إلياس	Elijah	حوالي (٩٠٠) قبل الميلاد	منطقة فلسطين، خصوصاً بين بني إسرائيل.
اليسع	Elisha	حوالي (٨٥٠) قبل الميلاد	منطقة فلسطين، خصوصاً بين بني إسرائيل.
يونس	Jonah	حوالي (٨٠٠) قبل الميلاد	مدينة نينوى، التي تقع في العراق الحديث.
زكريا	Zechariah	حوالي (١٠٠) قبل الميلاد	فلسطين، وكان من أهل بيت المقدس.
يحيى	John The Baptist	حوالي (٥٠) قبل الميلاد	فلسطين، وكان من أهل بيت المقدس.
عيسى	Jesus	حوالي (١) ميلادي	بيت لحم بفلسطين، ونشأ في الناصرة.
محمد	Muhammad	(٦٣٢-٥٧٠) ميلادي	مكة المكرمة والمدينة المنورة (الجزيرة العربية).

صلى الله عليهم جميعاً وسلم...





آدم عليه السلام

معنى آدم.

آدم عليه السلام هو أبو البشر، واسمه منتشر بكل لغات العالم، ويتسمى به الناس، ولعل له معاني مختلفة عند الأمم، وفي اللغة العربية يعني: أديم الأرض وجلدتها وسطحها. ^(١) ويكون ما بين السمار والبياض من الألوان، وما يقرب من لون التربة. ^(٢)

ولعل من معانيها باللغة الإنجليزية ما يقارب ذلك (تاند سكين *Tanned skin*). ^(٣)

وفي اللغة العبرية (بشر أو ابن الأرض). ^(٤)

ومن المعلوم خُلِقَ عليه السلام من تراب، ولعل في التسمية ربطاً بها، وقد ورد لفظ آدم في القرآن خمساً وعشرين مرة. ^(٥)

وقد وردت اللفظة في التوراة لأبي البشر كما هي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولدى جميع الديانات السماوية. ^(٦)

(١) الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٧.

(٢) ابن منظور لسان العرب، ج ٢/ ١٤.

(٣) انظر: معجم المرد، منير البعلبكي، ص ٨٦١ و ٩٤٩.

(٤) انظر: ar.wikipedia.org آدم. بتاريخ ٢٨/٣/١٤٤٦هـ.

(٥) انظر: د. باسل خلف حمود، أسماء الأنبياء في القرآن الكريم، دراسة لغوية تحليلية، مجلة كلية العلوم الإسلامي، العدد: ٢، بتاريخ ١٤٢٩هـ، ص ٢٤؛ وعبد العزيز محمد السدحان، آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ص ٤١.

(٦) الكتاب المقدس (العهد القديم)، سفر التكوين، ١ و ٢، ص ٢.

ما قبل آدم ﷺ.

إن الله ﷻ على كل شيء قدير، ولا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء ﷻ، ونحن نتلمس الأدلة الشرعية في هذه القضية، وأهم ما فيها أنه ﷻ يخلق ما يشاء ويختار، وهو على كل شيء قدير. قال ﷻ:

﴿وَالْحَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَبَهَبَ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ [الشورى].

الإرادة الربانية في خلق آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].

ويظهر من الآية أن الإخبار منه عليه السلام قبل الحدث. وقد وضع البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. (١)

ويرى بعض العلماء أن الملائكة قد علموا أن ذلك الفساد كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والبن. (٢)

وروي عن ابن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((كانت الجن قبل آدم بألفي عام ففسكوا الدماء، فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة فطردهم إلى جزائر البحور)). (٣)

ولم يأت في الكتاب والسنة شيء يدل على أن قوماً كانوا يسكنون الأرض قبل آدم عليه السلام. والذي جاء في ذلك هو من أقوال بعض المفسرين من الصحابة والتابعين. ومثل هذا الأمر يكون بالنقل الصحيح. وقيل إن الأرض كان يسكنها الجن، ولعل كون إبليس وهو أبو الجن موجوداً حين خلق آدم يرجح هذا الأمر.

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)، ج ٤/١٠١.

(٢) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٦.

(٣) النص من ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١١.

وقد روى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها، وسفكوا فيها الدماء، وقتل بعضهم بعضاً)) (١) وروي أن قوماً من الجن سفكوا الدماء، وكان الفساد في الأرض. (٢) وهذا القول له ما يسنده من سبق خلق الجن لآدم.

ومن المؤكد أن الجن خلقوا قبل الإنس، كما قال تعالى: ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾ (٢٧) [الحجر].

وإبليس هو أبو الجن بنص القرآن، قال الله ﷻ:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٥٠) [الكهف].

وقد كان إبليس موجوداً حين خلق آدم، وأمر بالسجود له فعصى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤) [البقرة].

وقد اهتم البخاري بتفصيل بعض الآيات في أبواب من صحيحه، حيث وضع شرحاً في «باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾...» (٣).

وأورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية

(١) الطبري، تفسيره، ج ١/٢٢٦.

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١١؛ وانظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٤؛ وتفسير الطبري، ج ١/٢٣٧.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)، ج ٤/١٠١.

ذريتك فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن)). (١)

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ((كان آدم رجلاً طويلاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق)). (٢)

كما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتقلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب وورشحهم المسك ومجامرهم الألوة الأنجوع عود الطيب، وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء)). (٣)

وهناك من يرى أنه لم يكن على الأرض قبل آدم عليه السلام أحد لا من الجن ولا من غيرهم. وهذا القول رواه الطبري، عن عبد الرحمن بن زيد قال: ((قال الله تعالى ذكره للملائكة: إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً، وأجعل فيها خليفة، وليس لله يومئذ خلق إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق)). (٤)

يقول الطاهر ابن عاشور: ((ذكر إرادته تعالى جعل الخليفة دليل على أن جعل الخليفة كان أول الأحوال على الأرض بعد خلقها، فالخليفة هنا الذي

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)، ج ١٠١/٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ج ١٤٩/٨.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک، ج ٥٩٣/٢، برقم: ٣٩٩٨ (وصححه الذهبي).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)، ج ١٠٢/٤.

(٤) الطبري، تفسيره، ج ٢٣٧/١.

يخلف صاحب الشيء في التصرف في مملوكاته، ولا يلزم أن يكون المخلوف مستقرًا في المكان من قبل، فالخليفة آدم، وخَلْفِيَّتُهُ قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض بالإلهام أو بالوحي، وتلقين ذريته مراد الله تعالى من هذا العالم الأرضي). (١).

ويميل الشيخ ابن باز رحمته الله إلى عدم صحة وجود الحِنِّ والْبِنِّ المشار إليهم عند البعض. (٢).

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب خلق آدم وذريته. صلصال طين خلط برمل فصلصل كما يصلصل الفخار ويقال منتن). (٣).

مراحل خلق آدم عليه السلام.

وضع البخاري في صحيحه، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته... (٤) كما وضع ابن حجر في المطالب العالية (كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم). (٥).

وضع الحاكم في المستدرک (باب ذكر آدم عليه السلام). (٦).

يؤكد القرآن الكريم أن آدم أصله من طين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾ [الأنعام].

(١) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م، ج١/٣٩٥.

(٢) موقع الشيخ عبدالعزيز ابن باز. www.Bin baz.org.sa بتاريخ ١١/٣/١٤٤٥هـ.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم، وذريته... ج٤/١٠٣.

(٤) البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، وذريته... ج٤/١٠١.

(٥) انظر: ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق أحمد بن محمد بن عبد الله ابن حميد، تسيق سعد بن ناصر الشثري، ط١ - الرياض: دار العاصمة ودار الغيث للنشر والتوزيع ١٤١٨هـ، ج١٤/٢٢٩.

(٦) انظر: الحاكم، المستدرک، ج٢/٥٩١، برقم: ٣٩٩٢.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة].

نوع الطين. قال تعالى: ﴿فَأَسْتَفِينُهُمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ [الصافات]. واللازب: هو المتلاصق ببعضه ببعض الصلب الثابت. (١)

ومن مراحل خلقه **العلينا** مرحلة الصلصال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن صَالِصَلٍ مِّن حَمِئٍ مَّسْنُونٍ ﴿٦١﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن صَالِصَلٍ مِّن حَمِئٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ، مِن صَالِصَلٍ مِّن حَمِئٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر]. و(المسنون): هو المصور المحكم الشكل مثل الخزف. (٢)

عن أبي هريرة **رضي الله عنه** عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: ((إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه، حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالنخار كان إبليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم ثم نفخ الله فيه من روحه، فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعضس فلقنه الله حمد ربه، فقال الرب: يرحمك الله ربك، ثم قال الله تعالى: يا آدم، اذهب إلى أولئك النفر فقل لهم، فانظر ماذا يقولون. فجاء فسلم عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله. فجاء إلى ربه فقال: ماذا قالوا لك؟ وهو أعلم بما قالوا له؟ قال: يا رب، لما سلمت عليهم قالوا: وعليك السلام ورحمة الله قال: يا آدم هذه تحيتك وتحية ذريتك..)). (٣)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥٨١.

(٢) انظر: الطبري، تفسيره، ج٧/٥١١؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣/٢٢٤.

(٣) انظر: ابن حجر، المطالب العالية، ج١٤/٢٢٩ - ٢٣٠ (وذكر المحقق ضعفه) لكن له متابعات.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((الرُّوحُ مِنَ اللَّهِ، وَخُلِقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَصُورُ كِبْنِي آدَمَ، لَا يَنْزِلُ مَلَكٌ إِلَّا وَمَعَهُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّوحِ)). (١)

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلق لا يتمالك)). (٢)

ولعل ذلك يوافق قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ [الإنسان].

شرف الله آدم وأبناءه المطيعين لربهم بالعلم، نعمة من الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٣١ ﴾ [البقرة].

فبادر الملائكة بالتسبيح، اعتذاراً لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٣٢ ﴾ [البقرة].

كان التعليم تكريماً لآدم عليه السلام، وتمييزاً له بين الخلق. (٣) والعجيب تعليمه الأسماء، بعامها وخاصها، كبيرها وصغيرها، وهي مفاتيح العلم واللغات فدون معرفة الأسماء للأشياء لا يتم العلم بها ولا عنها، وهذا معروف في جميع الثقافات واللغات. (٤)

(١) ابن حجر، فتح الباري لابن حجر، ج١٧/٢٩٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، ج٨/٣١.

(٣) الطبري، قصص الأنبياء، ص٢٢.

(٤) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص٢٢.

فصدر الأمر الرباني لآدم **عليه السلام**، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَتَّادِمُ أَنْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۗ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة].

كانت الكرامة لآدم من ربه بأمر الملائكة بالسجود له، وهذه عبادة لله واستجابة لأمره **ﷻ**. وليس فيها معنى العبادة لآدم، ولا يتخيل ذلك عاقل.

خلق حواء **عليها السلام**.

وقد خلق الله حواء من آدم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحِدَةٍ فَمُسْتَوْعِدٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام].

وفي رواية مسلم: ((إن المرأة كالضلع، إذا ذهب تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج)).^(١)

ويستشهد البعض على أن حواء خلقت من ضلع آدم، فيما روي عن رسول الله **ﷺ**: ((استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه إن ذهب تقيمه كسرتة، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيراً)).^(٢)

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ج ٤/١٧٨.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم، وذريته، ج ٤/١٠٢.

متى خلق آدم ﷺ؟

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)) (١).

صفات آدم ﷺ.

كانت صورة آدم عليه السلام حسنة، وجاءت ذريته مثله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ وَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين].

هذا الخلق الحسن حرص الشيطان على تغييره وإغراء بني آدم بذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَتَّيْنَهُمْ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ إِذَا نَكَحَ الْأُنثَى وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَغْيِرْتِ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء].

وكما خلق الله آدم من تربة الأرض، فقد جاءت ألوان بني آدم شبيهة بها.

روي ((أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبِيضَةٍ قَبِيضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ج ٦/٣.

وَالْحَزْنَ وَالْخَبِيثَ وَالطَّيِّبَ. وَالسَّهْلَ وَالْحَزْنَ وَبَيْنَ ذَلِكَ)) (١).

وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((.. أخلاقهم على خلق رجل واحد، على طول أبيهم آدم، ستون ذراعاً)) (٢).

وآدم على الفطرة والإيمان، وهي الأصل فيه وفي بنيه، كما روي ((ما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح؛ عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم! اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملائمتهم جلوس -، فقل: السلام عليكم، فقال: السلام عليكم، قالوا: عليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم)) (٣).

عن أبي هرير رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: ((لما خلق الله آدمَ عطسَ فألهمه ربه أن قال: الحمد لله فقال له ربه: يرحمك الله فلذلك سبقت رحمته غضبه)) (٤).

وقد روي ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال: يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بأبائها، فالناس رجلان رجل بر تقى كريم على الله وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب، قال الله: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)) (٥).

(١) الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٧؛ انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٣٨.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)، ج ١٠٢/٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، باب أول زمرة تدخل الجنة، ج ١٤٥/٨ - ١٤٦. (وسبق ذكره).

(٣) رواه الترمذي في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ٩٥، ج ٥٣/٥، برقم: ٣٢٦٨؛ وانظر: رواية ابن حبان في صحيحه، ج ٣٦/١٤، برقم: ٦١٦٤.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، ج ٣٦/١٤، برقم: ٦١٦٥.

(٥) انظر: السهيلي، الروض الأنف، ج ٩٣/٤ - ٩٤.

وقد روي: كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده. (١)

وفي حديث الإسراء: ((أن رسول الله ﷺ، لما مرَّ بآدم، وهو في السماء الدنيا، قال له: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح)) (٢).

ومع عقل آدم وفطرته فإن النسيان من طبعه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١١٥) [طه]، ولعل في النسيان أحياناً رحمة. كما أنه خُلِقَ مِنْ عَجَلٍ، قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٣٧) [الأنبياء].

سُكِنَى الْجَنَّةِ.

سكنت حواء مع آدم ﷺ في الجنة، قال تعالى: ﴿وَيَتَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) [الأعراف].

والجنة كانت في السماء على الأصح، أقام بها أبونا آدم وأمنا حواء ﷺ، يأكلان منها رغداً حيث شاءا.

بداية الحسد من إبليس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤) [البقرة].

كانت مقاييس إبليس مهلكة له، جارة إلى الكفر والجحود. فسأله ﷺ وهو أعلم به، فتكبر. قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي ۗ أَسْتَكْبَرْتَ ۗ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥) [ص].

(١) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ج ٤/٢٤٨ - ٢٥٠؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٢٠.

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص. [٧٦])

فكان أمر الله، قال تعالى: ﴿قَالَ فَأَخْرَجْ مِنْهَا فِرْعَانَ رَجِيمٍ﴾ (ص. [٧٧])

وجاء الحكم الرباني، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (ص. [٧٨])

طلب ابليس الإنظار، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (ص. [٧٩])

فرد الرب تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (ص. [٨٠])

وحدد الزمن كما يريد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ﴾ (ص. [٨١])

ورغب ابليس في المعصية، وتعهد بإغواء آدم وحواء، قال تعالى: ﴿قَالَ

فِعْرَنِكَ لَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص. [٨٢])

وكان يدرك عجزه عن المخلصين، قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ

﴾ (ص. [٨٣])

الوعيد الشديد من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (ص. [٨٤])

﴿جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص. [٨٥])

وأسكن الله آدم الجنة، وفيها الرغد وكامل النعم، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا

يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة. [٣٥])

كان الأمر والتحذير لهما جميعاً بأن لا يقربا الشجرة التي نهاها عنها.

ليبقيا في نعيم الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ (ص. [١١٨])

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (طه. [١١٩])

وقد حذر الله آدم وحواء من إبليس، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَتَّادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِوَجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١١٧) ﴿طه﴾.

ووسوسة الشيطان، قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (١٢٠) ﴿طه﴾.

قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (١٢٠) ﴿طه﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ ﴿١٢١﴾ ﴿الأعراف﴾.

المعصية نتيجة الوسواس، قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءَ تَيْهَمَا وَطَفِيقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ﴾ (١٢١) ﴿طه﴾

لما أكل من الشجرة التي نهيا عنها سلبا ما كانا فيه من اللباس. قال تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَّتْ لَهُمَا سَوْءَ تَيْهَمَا وَطَفِيقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَىٰ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٢٢) ﴿الأعراف﴾، وتمكن إبليس من إغواء آدم وحواء. فحكم عليه بالهبوط إلى الأرض، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٣٦) ﴿البقرة﴾.

وعند بعض أهل الكتاب يحملون حواء أمر إغواء آدم بلا دليل.

مبادرة آدم بالتوبة والاستغفار. ومن كلمات آدم في التوبة والتذلل لله، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) ﴿الأعراف﴾.

توبة الله عليه، قال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

مع الهبوط للأرض كان فتح باب الهداية، قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

تحذير الرب ﷺ لبني آدم من الشيطان والمعصية، قال تعالى: ﴿يَبْنَیْ آدَمَ لَا يَفْنَدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ مَا لَهُمْ بِرَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

الهبوط إلى الأرض.

المعصية أنزلت آدم وحواء من الجنة إلى مستقره في الأرض. كما قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها)) (١).

حكم الله الحياة والموت على الأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٢٤].

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، فضل يوم الجمعة، ج ٦/٣.

﴿٢٥﴾ يَنْبَغِيْ عَادَمَ فَذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِدِيْشًا وَ لِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ [الأعراف].

الحياة على الأرض والاستقرار فيها، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف].

خلق الله ﷻ الأرض وبارك فيها وسخرها للإنسان، كما قال ﷻ:

﴿وَجَعَلْ فِيهَا رَوْسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرْ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا

وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنِّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿الْمَرْتَرَانِ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ
السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِنَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يُنْفَكُرُونَ ﴿١٣﴾ [الجاثية].

حياة الإنسان على الأرض ليست سهلة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ
﴿٤﴾ [البلد].

ويتساءل البعض عن تاريخ نزول آدم عليه السلام على الأرض، وقد اجتهد العلماء
من المسلمين، وقبلهم من أهل الكتاب. وتقاربت آراؤهم في تحديد ما يقارب
عشرة آلاف سنة على الأرض. (١)

(١) انظر: سامي المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، ص ٥٠؛
الكتاب المقدس، جدول الشروح، ص ٤١٩.

أين هبط آدم عليه السلام؟

الكلام عن مكان هبوط آدم عليه السلام على الأرض اجتهادي في الغالب، بلا دليل واضح. والأرجح - والله أعلم - أنه في مكة، فهو نبي مصلِّ عابد لله، وقد أشار القرآن لشيء من ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١) [آل عمران]. وهذا مما يستأنس به.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها «دحنا» بين مكة والطائف)). (١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((أهبط آدم بالصفاء، وحواء بالمروة)). (٢).

وقيل غير ذلك من الأماكن.. (٣)

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((إن أول ما أهبط الله آدم إلى أرض الهند)). (٤)

كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((أطيب ريح في الأرض الهند، أهبط بها آدم ﷺ فعلق شجرها من ريح الجنة)). (٥)

وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، قال: ((إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم من ثمار الجنة غير أن هذه تغيّر وتلك لا تتغيّر)). (٦)

(١) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢٦.

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢٦.

(٣) الطبري، قصص الأنبياء، ص ٤٨؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢٦.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک، ج ٢/٥٩١-٥٩٢، برقم: ٣٩٩٤.

(٥) انظر: الحاكم، المستدرک، ج ٢/٥٩٢، برقم: ٣٩٩٥.

(٦) انظر: الحاكم، المستدرک، ج ٢/٥٩٢، برقم: ٣٩٩٦ (وصححه الذهبي).

كانت حواء محل الحمل والولادة الأول للبشر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف].

التكاثر.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا. فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته...)) (١).

نبوءة آدم عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وقد روي عن أبي أمامة رضي الله عنه: ((أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبيأ كان آدم؟ قال: نعم، مكرم. قال: كم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون. قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاث مئة وخمسة عشر)) (٢).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ج ٧/٢٠٢.

(٢) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج ٦/٣٥٩، برقم: ٢٦٦٨.

والقرن يراد به الجيل.

وفي حديث الإسراء في «الصحيحين»: ((أن رسول الله ﷺ لما مرَّ بآدم وهو في السماء الدنيا، قال له: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح)) (١). ولا شك أن من مرَّ بهم رسول الله ﷺ في المعراج كانوا أنبياء ﷺ.

حادثة القتل الأولى.

قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيكَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ [المائدة].

وفي تفصيلات هذه الحادثة ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى «البطن» الآخر وأن هايبيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل، وكان أكبر من هايبيل، وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانًا، فقرب هايبيل جذعة سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرع، فنزلت نار فأكلت قربان هايبيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين.

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ج ٤/٢٤٨ - ٢٥٠.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده!

وقوله إنني أخاف الله رب العالمين دليل على خوفه من الله وحسن خلقه وتورعه أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه. (١)

ومن الآية يتضح ندم قاييل على جريمته، والندم لا يكفي فقد حدثت الجريمة التي أراق فيها دم أخيه.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنها ستكونُ فتنةُ القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي. قال: أفرأيتَ إن دخلَ عليَّ بيتي وبسطَ يدهُ إليَّ لِيَقْتُلَنِي، قال: كُنْ كَابِنِ آدَمَ)). (٢) أي: إن مد يده إليك فلا تمد يدك إليه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُقتل نفسًا ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه كان أول من سن القتل)). (٣)

وقد بعث الله غرابين. فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر، ثم عمد إلى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه وواراه، فلما رآه قاييل يصنع ذلك قال: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي؟ ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه، ولذلك فأهل الديانات السماوية يتعاملون مع موتاهم بالدفن، خلاف الوثنيين. (٤)

(١) انظر: الطبري، قصص الأنبياء ص ٦٠؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥١.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ج ٤٨٦/٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم. وذريته...، ج ٤/١٠٤.

(٤) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٦٠ و ٧٨؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥٣.

وفاة آدم ﷺ وخلاقته.

كانت وفاة آدم ﷺ يوم الجمعة، وقد رُوي أن الملائكة أتت بحنوط وكفن من عند الله ﷻ من الجنة،^(١) ودُفن ﷺ، وهذه سنة الله فيه وفي ذريته، قال تعالى: ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﴿٥٥﴾ [طه].

عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لما توفى آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً وألحدوا له وقالوا: هذه سنة آدم في ولده))^(٢).

وقد صلت عليه الملائكة، واختلف في مكان دفنه.^(٣)

وقد خلفه من بعده ابنه ووصيه شيث ﷺ.^(٤)

وقد توفيت حواء بعده بسنة.

وقد انتشر الناس وكثروا قبل وفاة آدم ﷺ، وامتدوا في الأرض ونموا، كما قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورًا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْفُورًا اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿١﴾ [النساء].

وهذا النمو استمر بعد آدم ﷺ حتى يومنا الحاضر، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ [الأنعام].

بعد وفاة آدم ﷺ خلفه ابنه شيث في النبوة ولعله عاش جزءاً من حياته في زمن أبيه آدم.

(١) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٨٠؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٦٠.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک، ج ٢/٥٩٥، برقم: ٤٠٠٤، وصححه الذهبي.

(٣) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٧٥؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٦١.

(٤) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٦٤؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٦٢.

ومعنى شيث: هبة الله. وورد: أنه لما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات. مع أخبار أخرى...^(١) وكان نبياً أنزل عليه الوحي.^(٢)



(١) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٦٠.

(٢) الطبري، قصص الأنبياء، ص ٧٢؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٦١.





إدريس عليه السلام

نبوة إدريس عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ (٥٦) [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧) [مريم].

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام... وقول

الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (١).

أنعم الله على إدريس عليه السلام كما أنعم على بقية الأنبياء عليهم السلام. قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (٥٨) [مريم].

وعند الحاكم في المستدرک على الصحيحين، «كتاب تواریخ المتقدمین من

الأنبياء والمرسلین، ذکر إدريس النبی عليه السلام». (٢).

عند ابن أبي شيبة في المصنف، «ما ذكر من فضل إدريس عليه السلام». (٣).

زمن إدريس عليه السلام

الكثير من العلماء يرون أن إدريس عليه السلام قبل نوح عليه السلام بزمن طويل، وأنه

أول نبي بعد آدم عليه السلام في حياته. (٤)

(١) البخاري، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام... ج ١٠٦/٤.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٥٩٨/٢.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ٥٤٩/١١، باب رقم: ٢٠٥٢.

(٤) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٩٠.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه تلا هذه الآية: ﴿وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قال: كانت فيما بين نوح وإدريس ألف سنة... (١)

عن وهب بن منبه، أنه سئل عن إدريس من هو وفي أي زمان هو؟ قال: هو جد نوح الذي يقال له خنوخ، وهو في الجنة حي. وقال محمد بن إسحاق بن يسار: كان إدريس أول بني آدم أعطي النبوة من ذرية شيث بن آدم. (٢)

صفة إدريس عليه السلام.

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: ((ثم كان نبي الله إدريس رجلاً أبيض، طويلاً ضخماً البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كبير شعر الرأس، وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى، وكانت في صدره ثلاثة بياض من غير برص، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله رفعه الله إلى السماء السادسة، فهو حيث يقول: ورفعناه مكاناً علياً)). (٣)

رفع إدريس عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧) [مريم].

وفي حديث المعراج قال أنس رضي الله عنه: ((فلما مرَّ جبريل بإدريس قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت: من هذا، قال: هذا إدريس..)). (٤)

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٥٩٨، برقم: ٤٠١٣.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٥٩٨، برقم: ٤٠١٤.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٥٩٨، برقم: ٤٠١٥.

(٤) البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، ج ٤/١٠٧.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((سألت كعباً عن رفع إدريس مكاناً علياً فقال: أما رفع إدريس مكاناً علياً فكان عبداً تقياً، يرفع له من العمل الصالح ما لا يرفع لأهل الأرض في أهل زمانه، قال: فعجب الملك الذي كان يصعد عليه عمله، فاستأذن ربه إليه، قال: رب ائذن لي إلى عبدك هذا فأزوره، فأذن له فنزل فقال: يا إدريس أبشر فإنه يرفع لك من العمل الصالح ما لا يرفع لأهل الأرض، قال: وما علمك؟ قال: إني ملك، قال: وإن كنت ملكاً، قال: فإني على الباب الذي يصعد عليه عملك، قال: أفلا تشفع لي إلى ملك الموت فيؤخر من أجلي لأزداد شكراً وعبادة، قال له الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، قال: قد علمت، ولكنه أطيب لنفسي، فحمله الملك على جناحه فصعد به إلى السماء فقال: يا ملك الموت، هذا عبد تقي نبي، يرفع له من العمل الصالح ما لا يرفع لأهل الأرض، وإنه أعجبني ذلك، فاستأذنت إليه ربي، فلما بشرته بذلك سألتني لأشفع له إليك لتؤخر من أجله فيزداد شكراً وعبادة لله، قال: ومن هذا؟ قال: إدريس: فنظر في كتاب معه حتى مرَّ باسمه فقال: والله ما بقي من أجل إدريس شيء، فمجاه فمات مكانه)) (١).

عن مجاهد، ورفعهاه مكاناً علياً فقال: في السماء الرابعة. وذلك مروى عن أبي سعيد رضي الله عنه. (٢)



(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٩ - ٥٥٠، برقم: ١١٩٢٢.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥١، برقم: ١١٩٣٤.





نوح عليه السلام

النوح: (١)

هو البكاء بشدة وحزن، وقد ذكر أهل التفسير أن نوحًا عليه السلام سمي بهذا الاسم لكثرة نوحه وبكائه من خشية الله تعالى، وقيل إنما سمي نوحًا عليه السلام لطول ما ناح على نفسه، وقيل إن المعنى السكن، وكثرة الخشوع من خشية الله، وذلك داعٍ للراحة والأمن والإيمان. (٢)

يقول: الشاعر العباسي أبو العتاهية:

نُحَ عَلَي نَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ إِن كُنْتَ تَنُوحُ

لَتَمُوتَنَّ وَإِن عُمِّرْتَ مَا عُمِّرَ نُوْحُ

فضله عليه السلام.

أحد أولي العزم من الرسل، الذين قال الله فيهم: قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يُرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلِغٌ فَبَلِّغْ لَهُم بِلَاغًا بَلِيغًا يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِنَا وَلِتَذَكِّرَ اللَّهُ قَوْمًا غَالِبًا﴾ [الأحزاب].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب].

(١) انظر: محمد علي الصلابي، نوح والطوفان العظيم (ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية)، ط١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٤١هـ؛ عقيل حسين عقيل، نوح عليه السلام من وحي القرآن، ط١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٢٢هـ.
(٢) انظر: الطبري، تفسيره، ج ١٦/٢٤٦؛ الشوكاني، فتح القدير، ج ٤/١٩٦؛ القرطبي، تفسيره، ج ١٦/٢٤٧.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سيد الأنبياء خمسة ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد الخمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ..)). (١)

سميت باسمه سورة من سور القرآن الكريم.

عند الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين: ذكر نوح النبي صلى الله عليه وسلم. (٢)

عن علي رضي الله عنه قال: جمع ربنا صلى الله عليه وسلم لنوح علم الماضين كلهم وأيده بروح منه، فدعا قومه سرًا وعلانية تسع مئة وخمسين سنة، كلما مضى قرن اتبعه قرن فزادهم كفرًا وطغيانًا. (٣)

وقد وضع البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى آخر السورة. ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿مَنْ الْمُسْلِمِينَ﴾. (٤)

هو الأب الثاني للبشرية. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ أَلْبَابِ الْعَرَبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧) [الصفات].

أكدت الآيات أن البشر من ذرية نوح عليه السلام (٥) وأنه من الشاكرين. قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣) [الإسراء].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٥٩٥، برقم: ٤٠٠٧.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٥٩٥.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٥٩٧ برقم: ٤٠١١.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ...، ج٤/١٠٤.

(٥) عقيل حسين عقيل، نوح عليه السلام من وحي القرآن، ص١٨.

عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: ((وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ **الْبَاقِينَ**)) . قال: حام، وسام، ويافت. (١)

وعند الحاكم في المستدرک عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافت أبو الروم)) . (٢)

قد وقع الاتفاق بين النسابين والمؤرخين أن جميع الأمم الموجودة بعد نوح عليه السلام جميعهم من بنيه، دون من كان معه في السفينة؛ وعليه يحمل قوله تعالى: ذرية من حملنا مع نوح. وأما من عدا بنيه ممن كان معه في السفينة، فقد روي: أنهم كانوا ثمانين رجلاً، وأنهم هلكوا عن آخرهم ولم يعقبوا. ثم اتفقوا أن جميع النسل من بنيه الثلاثة: يافت، وهو أكبرهم، وسام، وهو أوسطهم، وحام، وهو أصغرهم.... إذا علمت ذلك؛ فكل أمة من الأمم ترجع إلى واحد من أبناء نوح الثلاثة. اهـ. (٣)

موطن نوح عليه السلام وزمنه.

موطنه مختلف فيه، والراجح أنه كان في بلاد الرافدين، ولعل كثيراً من الأدلة تؤكد على ذلك.

وهو أقدم الأنبياء بعد آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ بَأْسٌ زَلِيلٌ مِنْ قَبْلِهِمْ فَوْقَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۗ﴾ [التوبة].

(١) انظر: رواية الترمذي، صحيحه، ج ٥/٣٦٥، برقم: ٣٢٣٠، وضعفه الألباني؛ والطبري، تفسيره، ج ٨/١٨.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٥٩٥، برقم: ٤٠٠٦. (وصححه).

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٤ - ٢٥.

عن أبي أمارة الباهلي، أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبيأ كان آدم؟ قال: «نعم، مُكَلَّمٌ». قال: كم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون»^(١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين...^(٢)

ظهور الشرك في قومه.

قال الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١٣﴾﴾ [البقرة].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس].

أي: على الإسلام... فاختلفوا وتفرقوا إلى مؤمن وكافر.

فقد كانوا على دين واحد موحدين، فاختلفوا وعبدوا الأصنام، فكان أول من بعث إليهم نوح عليه السلام.

وقال ابن كثير: ((أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام))^(٣).

(١) الألباني، السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: ٢٥٩/٦.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج٢/٥٩٦، برقم: ٤٠٠٩.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٢١٩.

وقال العلماء في قوله: وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح. يدل على أن القرون التي بين آدم ونوح كانت على الإسلام... وهذا المعنى تدل عليه آيات آخر، كقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة]. (١)

مكرهم وشركهم.

وإصرارهم على أصنامهم وضلالهم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذُرُنَّ إِلَهَتَكُمْ وَلَا نَذُرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣) ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (٢٤) [نوح].

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن الأسماء المذكورة في الآية الكريمة: ((أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتسخ العلم عبدت)). (٢)

أرسل نوح عليه السلام لقومه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود].

دعاؤه بالمغفرة للمؤمنين ولوالديه. وعلى الظالمين الأشرار. قال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح].

(١) انظر: الشنقيطي، ج٣/٤٩١.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٩٢٣؛ انظر:

دعوته ﷺ لقومه.

دعاهم للتوحيد. قال تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٦٨) [هود].

أرسل نوح ﷺ لقومه.

كان مذكراً لقومه، فهددوه فتحداهم وأصنامهم. قال تعالى: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَعَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (٧١) [يونس].

رفضه ﷺ الأجر.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [الصافات].

أوضح لهم نوح ﷺ أنه نزيه لا يبحث عن عوض دنيوي. قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٢) [يونس].

نفيه طلب المال ورده عليهم حين طلبوا طرد المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٢١) وَيَقَوْمِ مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٠) [هود].

دعوتهم للتقوى. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْقَوْنَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿١٠٨﴾﴾ [الصافات].

احتقارهم لنوح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً وَأَتَّبِعَكَ الْأَسْفَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الصافات].

سخريتهم منه وممن آمن معه. قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا الذِّبْنَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَزَّلْنَاكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ بَلْ نَنْظِقُكُمْ كَذِبًا ﴿٢٧﴾﴾ [هود].

وضوح دعوته، وأنه لا يلزمهم وهم كارهون. قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْكُمْ مِنْ رَبِّي وَءَانِئِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مَكُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود].

لا يعد عليه السلام بما لا يملك، قال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ إِنِّي إِذًا لِّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود].

تهديده وأتباعه.

تأكيد أنه نبي. قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات].

رفضه التخلي عن المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الصافات].

تهديده بالرجم. قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَمُنَّ بِكَ يَا نُوْحُ لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْمَرْجُوْمِيْنَ ۝١١٦﴾ [الصافات].

فسقهم. قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِتَّهَمُوا بِسُقُوْبِ الْفُلَيْنِ ۝٤٦﴾ [الذاريات].

ظلمهم وطغيانهم. قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِتَّهَمُوا بِظُلْمٍ ۝٥٥﴾ [النجم].

كفرهم واتباعهم لأهل المال والأولاد. قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي مَعْصُوْمِيْ وَاتَّبَعُوْا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلاَّ خَسَارًا ۝٦١﴾ [نوح].

رد نوح **عليه السلام** عليهم. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ۝٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣٤﴾ [هود].

طلبهم للعذاب قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَدَدْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِئْنَا مَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ۝٣٢﴾ [هود].

دعاء نوح **عليه السلام** عليهم.

شكواه لله. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِيْ ذٰكُوْرُونَ ۝١١٧﴾ فَأَفْضَحَ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَيَجْنِيْ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ۝١١٨﴾ [الصافات].

بوحى من الله علم نوح بأنهم لن يؤمنوا. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدَّءَ أَمْنًا فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ ۝٣٦﴾ [هود].

الدعوة عليهم تلت العلم بإصرارهم على الكفر. قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٣٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾ [نوح].

قبل الدعاء عليهم تكذيبهم لنوح **عليه السلام** ونتيجته. قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْرِبِينَ﴾ (٧٣) [يونس].

نتيجة الدعاء عليهم غرق في الدنيا، ونار في الآخرة. قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥) [نوح].

السفينة والطوفان.

سخريتهم منه وما يصنع، وردده عليهم. قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٢٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ [هود].

في رعاية الله. قال تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَفُونَ﴾ (٣٧) [هود].

قلة المؤمنين معه. رغم السنين الطويلة لنوح **عليه السلام** في دعوة قومه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٤) [العنكبوت].

علامة لساعة ركوب السفينة. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤٠) [هود].

أي من سبق عليه القول من الله تعالى بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله، وهم زوجته، وولده العاصي. (١)

ركوب نوح عليه السلام ومن معه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنَّمَا يَأْتِيهِمْ لَمَمٌ كَالَّذِي نَزَّلَ فِي هَودٍ وَمُرْسَاهَا إِن رَّبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١) [هود].

نداء نوح عليه السلام لابنه. قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَى أَرَكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢) [هود].

إصرار ابن نوح عليه السلام على العصيان، مع ترك السفينة وقارب الإيمان. قال تعالى: ﴿قَالَ سَأُوذِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (٤٣) [هود].

نداء نوح عليه السلام لربه حول ابنه. قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٤) [هود].

علم رباني. قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تُنصِتْ لَهُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤٥) [هود].

استغفار نوح عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤٦) [هود].

رسو السفينة بسلام.

في مكان رسو السفينة وردت أقوال متعددة، ولعل أقربها جبل الجودي في بلاد الأكراد. (٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٦٥٦.

(٢) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤/١٩٦؛ محمد علي الصلابي، نوح والطوفان العظيم، ص ١١.

الْمَاءَ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ [هود].

قال تعالى: ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ مِنْ هَٰذَا بِسَلَامٍ ۖ مَنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۚ وَأُمَّمٌ سَمَّيْتَهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود].

مع سلامة المؤمنين، فقد أغرق الكافرين. قال تعالى: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الصافات].

عقاب الله لهم، وبقاء خبرهم للأمم الأخرى آية. قال تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان].

نقل خبرهم للأمم من بعدهم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيْهِمُ أَنَّ اللَّهَ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا نَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَجْعَلُوهُ بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر].

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: إن الله يدعو نوحًا وقومه يوم القيامة أول الناس، فيقول: ماذا أحببتم نوحًا؟ فيقولون: ما دعانا وما بلغنا ولا نصحنا ولا أمرنا ولا نهانا، فيقول نوح: دعوتهم يا رب دعاء فاشيًا في الأولين والآخريين أمة بعد أمة، حتى انتهى إلى خاتم النبيين أحمد، فانتسخه وقرأه وآمن به وصدقه

فيقول الله للملائكة: ادعوا أحمد وأمه، فيأتي رسول الله ﷺ وأمه يسعى نورهم بين أيديهم، فيقول نوح لمحمد وأمه: هل تعلمون أي بلغت قومي الرسالة واجتهدت لهم بالنصيحة، وجهدت أن أستنقذهم من النار سراً وجهاراً، فلم يزدهم دعائي إلا فراراً؟ فيقول رسول الله ﷺ وأمه: فإننا نشهد بما نشدتنا به أنك في جميع ما قلت من الصادقين. فيقول قوم نوح: وأين علمت هذا يا أحمد أنت وأمتك ونحن أول الأمم وأنت وأمتك آخر الأمم؟ فيقول رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم، قرأ السورة حتى ختمها، فإذا ختمها قالت أمتة نشهد أن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وأن الله لهو العزيز الحكيم، فيقول الله ﷻ عند ذلك: امتازوا اليوم أيها المجرمون فهم أول من يمتاز في النار. (١)

وفي السياق نفسه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يجيء نوح وأمه فيقول الله تعالى هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمتة هل بلغكم فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد ﷺ وأمتة فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الوسط العدل)). (٢)

نداؤه لله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلِنَعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) [الصافات].

أنجاه الله، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ

الْبَاقِينَ (٧٧) [الصافات].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٤٠١٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه...، ج ٤/١٠٥.

نجاته **عليه السلام** والمؤمنون معه، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاقِ
 الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾
 [الصفات].

السفينة لم يركبها إلا المؤمنون، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا
 أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ
 إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود].

امرأة نوح **عليه السلام**.

نص القرآن على خيانتها في عدم قبول الرسالة، وهذا يعني كفرها،
 ووقوفها مع قومها ضد نوح **عليه السلام** ومن معه من المؤمنين. (١) قال تعالى:
 ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
 صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾
 [التحريم].

وينبغي التأكيد مرة أخرى على أن خيانة امرأة نوح إنحيازها لقومها الكفار
 ضد نبي الله نوح **عليه السلام**، وتتبعها لأخباره ونقلها لهم ونفاقها، فأعراض الأنبياء
 محمية من الخيانة الزوجية.

والراجح أنها غرقت مع ابنها مع من غرق من قوم نوح. (٢)

(١) انظر: محمد علي الصلابي، نوح والطوفان العظيم، ص ٢١٦؛ عقيل حسين عقيل، نوح من وحي القرآن، ص ١٥٩.

(٢) انظر: علي الصلابي، نوح والطوفان العظيم، ص ٢١٦ - ٢١٨.

من أخبار نوح عليه السلام.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: ((قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور)) (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه: إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتى يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه)) (٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بعث الله نوحاً لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، حتى كثر الناس وفشوا)) (٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرغ إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة وقال أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس؟ فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه..)، ج ٤/١٠٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه..)، ج ٤/١٠٥.

(٣) انظر: الطبري، تفسيره، ج ١٦/٣٤٦.

ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً أما ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك، فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي، اتوا النبي ﷺ فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه). (١)

وقد وضع ابن كثير عنوان: ذكر شيء من أخبار نوح نفسه عليه السلام. (٢)

قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء].

ولذلك فإنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله. (٣)

والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية. (٤)

وقد عنون ابن ماجه رحمته الله: ما جاء في صيام نوح عليه السلام، وأنه صام الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى. (٥) ولعل في ذلك دليل على العيدين زمن نوح عليه السلام.

كما عنون ابن كثير: ذكر حجه عليه السلام. (٦)

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((حج رسول الله ﷺ فلما أتى وادي عسفان

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه..)، ج ٤/١٠٥-١٠٦.

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٩٧.

(٣) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٩٨.

(٤) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٩٨؛ الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٣/٤٠٥.

(٥) ابن ماجه، ج ١/٥٤٧.

(٦) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٩٨.

قال: «يا أبا بكر أي واد هذا؟» قال هذا وادي عُسْفَانَ. قال: «لقد مر بهذا نوح وهود وإبراهيم على بكران لهم حمر خطمهم الليف، أزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق» (١).



(١) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٩٩.





هود عليه السلام

أحد الأنبياء في بلاد العرب، قيل هو هود بن عبد الله يعود إلى سام بن نوح عليه السلام... (١)

سميت باسمه سورة من سور القرآن الكريم.

عند البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿وَالْإِنِّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرَ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، وقوله: ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾. (٢)

عند ابن أبي شيبة: (ما ذكر في أمر هود عليه السلام). (٣)

وعند الحاكم في المستدرک: (ذكر هود النبي صلى الله عليه وسلم). (٤)

صفاته عليه السلام.

روى الحاكم. قال: كان هود النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً جلدًا... (٥)

كما روى: كان نبي الله هود أشبه الناس بآدم عليه السلام. (٦)

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٦١-٦١٦، برقم: ٤٠٦٣.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (والى عاد أخاهم هودًا)، ج٤/١٠٨.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج١١/٥٥١، باب رقم: ٢٠٥٤.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٦١٤.

(٥) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٦١٤، برقم: ٤٠٦٠.

(٦) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٦١٦، برقم: ٤٠٦٤.

مكانه وقومه السليمة.

سميت سورة من سور القرآن بالأحقاف، حيث ديارهم (الربع الخالي) حسب ما يتداول ولعلنا أخذناه من لغات أخرى. قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١١) [الأحقاف].

قبيلته عاد. قال تعالى: ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦) [الفجر].

قال وهب بن منبه: ولم يكن في الأرض أمة كانوا أكثر منهم عدداً ولا أعظم منهم أجساماً ولا أشد منهم بطشاً، فلما رأوا الريح قد أقبلت عليهم قالوا لهود: تخوفنا بالريح، فجمعوا ذراريهم وأموالهم ودوابهم في شعب، ... مساكن عاد في رمالها وكانت بلاد عاد أخصب بلاد العرب، وأكثر ريفاً وأنهاراً وجناناً، فلما غضب الله عليهم وعتوا عن الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله أرسل الله عليهم الريح العقيم. (١)

مدينتهم إرم. قال تعالى: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧) ﴿الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ﴾ (٨) [الفجر].

زمن قوم هود السليمة.

قال تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (٦١) [الأعراف].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١٥ - ٦١٦، برقم: ٤٠٦٣.

دعوته عليه السلام لقومه.

دعوته لقومه ونزاهته عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِن كُنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ جَازًا إِن جَرِيءٌ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود].

تذكيرهم بالاستغفار وأهميته في النعم. قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود].

السخرية منه عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف].

تذكيرهم بالنعم. قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء].

ومن النعم التي أعطاهم الله إياها. ثروة البنين والأنعام والمياه. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ [الشعراء].

خوف هود على قومه. قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء].

إصرارهم على الكفر. قال تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء].

دفاع هود عن دعوته. قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

دعوتهم للتوحيد. قال تعالى: ﴿وَالِإِلَهِ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف].

دعوتهم لتقوى الله. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٢٦﴾﴾ [الشعراء].

طلب الأجر من الله. قال تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء].

تحديهم لنبيهم. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّكِفَ عَنْ آلِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأحقاف].

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحقاف].

جدالهم بلا دليل. قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أْتَجِدَلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف].

رد القوم على هود عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [هود].

استكبارهم وتفاخرهم بقوتهم. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فصلت].

تحذيرهم طلبهم للعذاب. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنزِلْنَا بِمَا نَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف].

توكل هود على الله ﷻ. قال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود].

تحذيرهم. قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَيْكُمْ وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود].

عناد الكافرين من عاد وعذابهم.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ لَعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود].

الهلاك. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيمًا أَوْدَيْنِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا أَسْنَانُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف].

ورد أنه كان قاعدًا في قومه فجاء سحاب مكفهر فقالوا: هذا عارض ممطرنا فقال هود **عليه السلام**: بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم فجعلت تلقي الفسطاط وتجيء بالرجل الغائب. (١)

نوع العذاب. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْفَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [القمر].

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥١، برقم: ١١٩٣٦.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة].

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ شَدِيدَةٍ عَاتِيَةٍ﴾ عاتية: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ متتابعة ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أصولها ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ بقية. (١)
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالبور)). (٢)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْعَدَّةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَدْتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأحقاف].

قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات].

قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿١٨﴾﴾ [القمر].

هلاك عاد. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾﴾ [النجم].

قال وهب بن منبه: فلما رأوا الريح قد أقبلت عليهم قالوا لهود تخوفنا بالريح فجمعوا ذراريهم وأموالهم ودوابهم في شعب، ثم قاموا على باب ذلك

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (والى عاد أخاهم هوداً)، ج ٤/١٠٨.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (والى عاد أخاهم هوداً)، ج ٤/١٠٨.

الشعب يردون الريح عن أموالهم وأهليهم فدخلت الريح من تحت أرجلهم بينهم وبين الأرض حتى قلعتهم... (١)

نجاة هود ومن آمن معه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٨) [هود].

قال تعالى: ﴿فَأَجْنَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٢) [الأعراف].

وقد روى الحاكم: إنه لم تهلك أمة إلا لحق نبيها بمكة، فيعبد فيها حتى يموت، وإن قبر هود بين الحجر وزمزم. (٢)

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء، وسدر كثير بناحية كذا وكذا؟ قال: واللّه يا أمير المؤمنين إنك لتتعتة نعت رجل قد رآه. قال: لا، ولكن حدثت عنه. قال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود رضي الله عنه. (٣)

الإشارة لهم فيمن بعدهم. قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بَيْوتًا فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧٤) [الأعراف].

هلاكم بالعذاب. قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠) [الشعراء].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦١٥-٦١٦، برقم: ٤٠٦٢.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦١٥، برقم: ٤٠٦١.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦١٥، برقم: ٤٠٦٢.

إنذار الأمم من بعدهم بما وقع لقوم هود. قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت].

عذبوا بالريح. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصُرُونَ﴾ [فصلت].







صالح عليه السلام

موطنه عليه السلام وقومه.

موطنه بلاد الحجر شمال غرب بلاد العرب. وقد سميت بالإسم سورة من سور القرآن الكريم. (١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ (٨٠) [الحجر].

وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾. (٢)

وعند الحاكم في المستدرک على الصحيحين (كتاب تواریخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر صالح النبي عليه السلام وسيدته). (٣)

وعند ابن حجر في المطالب العالیه (كتاب أحاديث الأنبياء، باب صالح وثمرود). (٤)

زمن صالح عليه السلام.

في الزمان والمكان يظهر أنهم ذكروا بالأمم قبلهم وبنعم الله عليهم. قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٥٠.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)، ج٤/١٢٠.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٦١٦.

(٤) انظر: ابن حجر، المطالب العالیه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب صالح وثمرود، ج١٤/٢٣٦.

مِن سَهُولِهَا فُصُورًا وَنَحْتُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ [الأعراف].

بناؤهم للبيوت في الصخر بين الأودية، وما تزال بعضها قائمة حتى الآن.
قال تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر].

قال تعالى: ﴿أَتُرَكُونَ فِي مَا ههْنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعَيْونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلِ
طَلَعَهَا هِضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَنَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء].

ثمود ونبیهم صالح من أقرب الأمم إلى عاد قوم هود زماناً ومكاناً، فهما
من أنبياء الجزيرة العربية. وصالح سابق لإبراهيم عليه السلام.^(١)

«صالح النبي عليه السلام من العرب لما أهلك الله عاداً وانقضى أمرها عمرت
ثمود بعدها، فاستخلفوا في الأرض فانتشروا، ثم عتوا على الله. فلما ظهر
فسادهم وعبدوا غير الله بعث الله إليهم صالحاً، وكانوا قومًا عربياً، وهو
من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً. وكانت منازلهم الحجر إلى قرع، وهو
وادي القرى ثمانية عشر ميلاً فيما بين الحجر إلى الحجاز، فبعثه الله إليهم
غلاماً شاباً، فدعاهم إلى الله حتى شمت وكبر، ولا يتبعه منهم إلا قليل
مستضعفون، فهلكت عاد وثمود ومن كان منهم من تلك الأمم، وكانوا من ولد
لاوذ بن سام بن نوح، ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبي قبله، يعني قبل إبراهيم
إلا هود وصالح». ^(٢) وقد زرت مناطقهم المعروفة بمدائن صالح ووقففت على
آثارهم سنة ١٤٠٥هـ.

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦١٦، برقم: ٤٠٦٥.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦١٦، برقم: ٤٠٦٥.

وصف صالح عليه السلام.

كان نبي الله صالح عليه السلام يشبه عيسى ابن مريم عليه السلام، أحمر إلى البياض، ما هو سبط الرأس. (١)

عن وهب بن منبه، قال: إن الله بعث صالحاً إلى قومه حين راهق الحلم، وكان رجلاً أحمر إلى البياض، سبط الشعر، وكان يمشي حافياً كما كان عيسى ابن مريم عليه السلام لا يتخذ حذاء، ولا يتدهن ولا يتخذ بيتاً ولا مسكناً، ولا يزال مع ناقة ربه حيثما توجهت توجه معها وحيثما نزلت نزل معها، وكان قد صام أربعين يوماً قبل أن تعقر الناقة، وكانت على يده اليمنى شامة علامة، فلبث فيهم أربعين عاماً يدعوهم إلى الله من لدن كان غلاماً إلى أن شمط، وهم لا يزدادون إلا طفياناً. (٢)

دعوته عليه السلام لقومه.

كانت دعوة النبي صالح عليه السلام قومه ثمود إلى توحيد الله والإيمان به، وتذكيرهم بأية الله. قال تعالى: ﴿وَالْإِنِّ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَوْمِ﴾ (٧٣) [الأعراف].

دعوتهم لعبادة الله وحده. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٥) [النمل].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١٦ - ٦١٧، برقم: ٤٠٦٦.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١٧، برقم: ٤٠٦٧.

دعوتهم للاستغفار. قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالْسَيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتوبوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ ﴿٦١﴾ [هود].

دعاهم للتقوى. قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿١٥٠﴾ [الشعراء].

تشاورهم من صالح. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَیرْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ [النمل].

تحذيرهم ممن يجرونهم للكفر. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾ [الشعراء].

ردهم القاسي على صالح واتهامه بالسحر، وطلبهم آية. قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٥٤﴾ [الشعراء].

إصرارهم على الشرك والضلال. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ﴿٦٢﴾ [هود].

حواره معهم. قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ ﴿٦٣﴾ [هود].

إصرارهم على الكفر والعناد، واتباعهم للمستكبرين من بينهم.

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ﴾

﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾ [الأعراف].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تُنْقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا اسْتَأْذَنُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء].

الناقة آية صالح، وعقرها.

آية مما يعرفون. قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوَهَا تَكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود].

الناقة آية كما طلبوا. قال تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِئْتَةً لَهُمْ فَارْتَجِبْهُمْ وَأَصْطِرِّ ﴿٦٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ ﴿٦٨﴾﴾ [القمر].

مؤامرتهم على صالح. قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النمل].

قتلهم للناقة وعذابهم. قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا تَعَدَّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف].

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرَ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هذا قوم

صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم ناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ردها). (١).

عذاب ثمود.

مكرهم يحيق بهم. قال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل].

تفضيلهم للكفر والجرأة ومخالفة أمر الله ﷻ. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ

فَهَدَيْتَهُمْ فَاستَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَجِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ

الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٣٢﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا نَبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٣٤﴾

أَلْفَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٣٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٣٦﴾﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿فَادْوُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٣٩﴾﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾

[الحاقة].

وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ

نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾

وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١٩، برقم: ٤٠٧٠.

ندمهم على جريمتهم. قال تعالى: ﴿فَعَفَّوْهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ (١٥٧) [الشعراء].

عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال: ((سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر الذي عقر الناقة، قال: انتدب لها رجل ذو عز ومنعة في قوة كأبي زمعة)) (١).

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الشعراء].

حال بيوتهم إلى اليوم. وقد زرتها بنفسي، وتعرف عند أهل التاريخ بمدائن صالح، وتبعد عن العلا بحوالي (٣١) كلم إلى الشمال. قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فصدَّهم عن السَّيْلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣٨) [العنكبوت].

انصرف عنهم صالح. قال تعالى:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ﴾ [الأعراف].

لا حسرة عليهم. قال تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ (٩٥) [هود].

آيتهم بينهم وظلموا أنفسهم فأصبحوا عبرة للأمم بعدهم. قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَءَايَاتِنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (٥٩) [الإسراء].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)، ج٤/١٢٠.

تذكير من بعدهم من الأمم بهم وترتيبهم الزمني. قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ لَا
يَجْرَمُكُمْ سُقَاتِي أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ
مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٩) [هود].

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ
الْحُطْرِ﴾ (٣١) ولقد سترنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٣٢) [القمر].

نجات صالح عليه السلام والمؤمنين معه.

قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٣) [النمل].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن
خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ
جِثْمًا مَّيِّتًا (٦٧) كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا إِنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ التَّمُودِ (٦٨) [هود].

عبرة للأمم من بعدهم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٧٠) [التوبة].

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودُ﴾ (٤٤) [الحج].

قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَتَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ (٣٨) [الفرقان].

ذكروا في مصاف أمم الكفر. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ
وَتَمُودُ﴾ (١٢) [ق].

وقال تعالى: ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر].

عبرة لمن بعدهم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤١﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَتَمُودًا مِمَّا أَتَى ﴿٥١﴾﴾ [النجم].

مقارنة طغاة ثمود بالطاغية فرعون. قال تعالى: ﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَتَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ [البروج].

تحذير كفار قريش من مصير قوم صالح. قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [فصلت].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم مثل ما أصابهم)) (١).

وعنه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك (٢) أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجنا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء. (٣)

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقاء الطعام وقال أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: من اعتجن بمائه. (٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)، ج ٤/١٢١.
 (٢) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٣٥. بعنوان: (مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي الحجر من أرض تبوك).
 (٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)، ج ٤/١٢١.
 (٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)، ج ٤/١٢١.

عن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه ((أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا، إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم ثم تقنع بردائه وهو على الرحل))^(١).

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالحجر من وادي ثمود فقال: ((أسرعوا السير ولا تنزلوا بهذه القرية المهلك أهلها))^(٢).

وفي رواية ((إن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على وادي ثمود فقال لأصحابه: اخرجوا، اخرجوا، فإنه واد ملعون، خشيت ألا تخرجوا حتى يصيبكم كذا وكذا))^(٣).

عن عمرو بن خارجة، قال: أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن ثمود، وكانت ثمود قوم صالح أمرهم الله في الدنيا، فطال أعمارهم حتى جعل أحدهم بيني المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فارهين فتحوتها وجابوها وجوفوها، وكانوا في سعة من معائشهم، فقالوا: يا صالح ادع لنا ربك ليخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله، فدعا صالح ربه فأخرج لهم الناقة، وكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً، فإذا كان يوم شربها خلوا عنها، وعن الماء وحلبوا عنها الماء، فملئوا كل إناء ووعاء وسقاء فأوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك. فقال لهم، فقالوا: ما كنا لنفعل. قال: إن لم تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها قالوا: ما علامة ذلك المولود فوالله لا نجد إلا قتلناه، قال: فإنه غلام أشقر أزرق أصهب، قال: وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان، لأحدهما ابن يرغب عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفواً فجمع بينهما مجلس، فقال أحدهما لصاحبه: ما

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (والى ثمود أخاهم صالحاً)، ج ٤/١٢١.

(٢) انظر: ابن حجر، المطالب العالمة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب صالح وثمود، ج ١٤/٢٣٦، برقم: ٣٤٤٨.

(٣) انظر: ابن حجر، المطالب العالمة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب صالح وثمود، ج ١٤/٢٣٩، برقم: ٣٤٤٩.

منعك أن تزوج ابنك؟ قال: لا أجد له كفوًا، قال: فإن ابنتي كفاء له وأنا أزوج ابنك فزوجه فولد بينهما ذلك المولود. وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، قال لهم صالح: إنما يعقرها مولود فيكم فاختروا ثماني نسوة قوابل من القرية، وجعلوا معهم شرطًا فكانوا يطوفون في القرية، فإذا وجدوا امرأة تمخض نظروا ما ولدها، فإن كان غلامًا فلبثوا ينظرون ما هو، وإن كانت جارية عرضوا عنها، فلما وجدوا ذلك المولود صرخن النسوة، قلن هذا الذي يريد رسول الله صالح، فأراد الشرط أن يأخذه، فحال جداه بينهم وبينه، وقالوا: إن كان صالح أراد هذا قتلناه وكان شر مولود، وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة، ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون والشيخان، فقالوا: نستعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جدّيه، فكانوا تسعة وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان في البرية في مسجد، يقال له: مسجد صالح فيه يبيت بالليل، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم، وإذا أمسى خرج فيه يبيت بالليل فبات فيه. قال رسول الله ﷺ: ولما أرادوا أن يمكروا بصالح مشوا حتى أتوا على شرب على طريق صالح، فاختموا فيه ثمانية: وقالوا إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيتناهم فأمر الله الأرض فاستوت عليهم فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهي على حوضها قائمة، فقال الشقي لأحدهم: ائتها فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فأضرب عن ذلك، فبعث آخر فأعظم ذلك فجعل لا يبعث رجلاً إلا يعاظمه ذلك من أمرها، حتى مشى إليها وتناول فضرب عرقوبها، فوقع تركض فأتى رجل منهم صالحًا فقال: أدرك الناقة فقد عقرت، فأقبل وخرجوا يتلقونه، يا نبي الله: إنما عقرها فلان لا ذنب لنا قال: انظروا هل تدركون فصيلها، فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه. ولما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبالًا يقال

له الغارة قصيراً، فصعد وذهبوا يأخذونه، فأوحى الله إلى الجبل فطار في السماء حتى ما يناله الطير، قال: ودخل صالح القرية، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثم استقبل صالحاً فرغاً رغوّة، ثم رغا أخرى، ثم رغا أخرى، فقال صالح لكل رغوّة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ذلك وعد غير مكذوب. إلا أن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوههم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مسودة، فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وإناتهم، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب، فلما أصبحوا يوم الثاني إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب. فلما أصبحوا اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فصاحوا جميعاً ألا قد حضركم العذاب فتكفّنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثم ألقوا أنفسهم بالأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة لا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض خشعاً وفرقاً، فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين. (١)



(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١٧ - ٦١٩ برقم: ٤٠٦٩ (والنص له)؛ وانظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٢٤ - ١٢٥؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٢٥.





إبراهيم عليه السلام

فضله عليه السلام. (١)

هو ابن أزر ... ويعود نسبه إلى ابن سام بن نوح عليه السلام، ولعل لأزر اسماً آخر. (٢) يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ [الأنعام].

وهو خليل الرحمن عليه السلام، اصطفاه الله. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء].

و(الخليل) شديد المحبة له. (أمة) إماماً يقتدى به في الخير، وقد اجتمع فيه من خصال الخير والأخلاق الحميدة ما يجتمع في أمة كاملة. (قانتاً) يخضع لله - تعالى - ويواظب على طاعته وحده. (لأواه) متضرع كثير الدعاء والبكاء. (٣)

قال عليه السلام: ((إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً...)). (٤)

(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٨٤ (ذكر ثناء الله ورسوله الكريم على عبده وخليله إبراهيم).
 (٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٠٠، برقم: ٤٠٢٠؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٤٠.
 (٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج ٤/١١٣.
 (٤) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٥٩٩، برقم: ٤٠١٨.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فيقولون: يا إبراهيم، أنت خليل الرحمن قد سمع بخلتك أهل السماوات وأهل الأرض ..)) (١).

وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء. قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَأُذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [٤١] [مريم].

وقد وضع عدد من العلماء عناوين في مؤلفاتهم، فقد وضع البخاري في صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾. (٢).

كما وضع مسلم في صحيحه باب (من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم). (٣).

وقد وضع ابن أبي شيبة في المصنف عنوان: (ما ذكر مما أعطى الله إبراهيم عليه السلام وفضله به). (٤).

والحاكم في المستدرک، عنوان: (ذكر إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم خليل الله صلى الله عليه وسلم). (٥).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام»)) (٦).

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٥٩٩، برقم: ٤٠١٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً، ج٤/١١٠.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، ج٧/٩٧.

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج١١/٥٤٧، برقم: ٢٠٤٧.

(٥) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٥٩٩؛ وانظر سامي المغلوث أطلس تاريخ الأنبياء والرسول، ص٥١.

(٦) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، ج٧/٩٧؛ وانظر، ابن أبي شيبة، المصنف، ج١١/٥٤٧.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أول الخلائق يلقي بثوب إبراهيم)) (١).

وفاء إبراهيم عليه السلام بما يحبه الله من الأعمال. قال تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) [النجم].

عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: ((وإبراهيم الذي وفى)) قال بلغ ما أمر به... (٢).

وفي ثناء الله على إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحْتَبَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) [النحل].

وصفه عليه السلام. (٣)

وصف النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم عليه السلام في أكثر من حديث. قال رضي الله عنه: ((أتاني الليلة آتيان فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طويلاً وإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم)) (٤).

عن مجاهد ((أنه سمع ابن عباس رضي الله عنه فيما يرويه. قال: أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ... الحديث)) (٥). يعني الشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١ / ٥٧١، برقم: ١١٨٦٢.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١ / ٥١٧، برقم: ١١٨٦٣.

(٣) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٩٤، عنوان (ذكر صفة إبراهيم عليه السلام).

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ٤ / ١١١.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ٤ / ١١١.

كما أنه شبهه ﷺ بدحية الكلبى. (١)

زمانه ﷺ.

ولد ﷺ قبل الميلاد بقراة (١٩٠٠) عام. (٢)

قال الواقدي: يقول الله ﷻ وقرونًا بين ذلك كثيرًا فكان بين نوح وأدم عشرة قرون وبينه وبين إبراهيم عشرة قرون فولد إبراهيم خليل الله على رأس ألفي سنة من خلق آدم. (٣)

موطنه ونشأته ﷺ.

ذكر ابن جرير في «تاريخه»: أن مولده كان في زمن النمرود بن كنعان وهو فيما قيل: الضحاك الملك المشهور، وكان في غاية الغشم والظلم.

وذكر بعضهم: أنه من بني راسب، الذي بعث إليهم نوح ﷺ، وأنه كان إذ ذاك ملك الدنيا. (٤)

وذكروا أن النمرود فزع من أمر ما. فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك؟ فقالوا: يولد مولود في رعيتك يكون زوال ملكك على يديه. فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء، وأن يقتل المولودون من ذلك الحين. فكان مولد إبراهيم الخليل في ذلك الحين، فحماه الله ﷻ وصانه من كيد الفجار، شب شبابًا باهرًا، وأنبته الله نباتًا حسنًا. (٥)

(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٩٤.

(٢) أبو الفداء، المختصر، ج ١/١٦؛ مهرا، دراسات تاريخية من القرآن، ص ١٢٦؛ كينيث كانترز وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥؛ المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسول، ص ٥٢.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٥٩٩، برقم: ٤٠١٦.

(٤) الطبري، قصص الأنبياء، تحقيق جمال بدران، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٥) الطبري، قصص الأنبياء، تحقيق جمال بدران، ص ١٣١.

وكان مولده بالسواد من ناحية أور في بلاد الكلدانيين (الرافدين)، وكل هذه الأماكن عرفت بمملكة بابل..^(١)

وقد قدر لي زيارة المنطقة التي ترجح لي ولادته فيها، وهي جنوب شرق تركيا - حاليًا - وتعرف بأورفة حاليًا، وبها بحيرة زعموا أنها مكان محاولة إحراق إبراهيم عليه السلام، وهي داخلة في تعريف مملكة النمرود في بابل.

نشأ عليه السلام في مجتمع وثني انتشرت فيه عبادة الأصنام والكواكب، وقد حفظه الله وعصمه من الشرك، وسائر الأنبياء معصومين من الشرك وكبائر الذنوب، قبل مبعثهم وبعده، فكان على الفطرة الحنيفية السمحة، مسلمًا لله رافضًا لكل أشكال الظلم، وفي مقدمتها الشرك وهو أعظمها، وما يجره من ظلم للبشر واستغلال لهم.^(٢)

إسلامه عليه السلام.

الإسلام دين إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة].

والحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة].

البركة على إبراهيم وعلى إسحاق عليهما السلام. قال تعالى: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات].

(١) الطبري، قصص الأنبياء، تحقيق جمال بدران، ص ١٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٤١؛ عبد الغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص ٤٦.

(٢) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٤١.

الإسلام وصية إبراهيم عليه السلام لبيته. قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) [البقرة].

والإسلام وصية آبائهم وأبنائهم. قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤) [البقرة].

حلمه عليه السلام ومحاورته لقومه:

حاول قومه منعه من التوحيد وهو الدين الصحيح، وهددوه إن هو خالف دينهم الباطل، كما هددوه بأن أصنامهم ستوقع به الضرر إن هو تركها، فكان بينهم وبينه حوار بين فيه عليه السلام ما هو عليه من دين الفطرة وفيه الحق والتوحيد.

كان إبراهيم عليه السلام رحيماً مسالماً، رغم ما تعرض له من تهديد، فقد عرض على أبيه وعلى قومه الإيمان ودين الحق والسلامة والنجاة في الدنيا والآخرة، (١) فجاوبوه بالتهديد والوعيد بالرجم والقتل، وفي نقاش إبراهيم لأبيه وحواره معه وخوفه عليه من تبعية الشيطان وعذاب الله. يقول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾ [مريم].

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/١٢١؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١/٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/٩٦.

براءة إبراهيم عليه السلام من قومه المشركين وشركهم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف].

حلم إبراهيم عليه السلام مع أبيه واستغفاره له، مع براءته من الشرك واعتزاله للمشركين وما يعبدون. قال تعالى: ﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعَزَّلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم].

دعوة إبراهيم لأبيه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام].

وفي رفض والد إبراهيم للإيمان وتهديده لإبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ إِلَهِتِي يَتَّبِعُهُمُ الْبَلْغَمُ لِمَ لَمْ تِنَّهَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم].

سبب استغفار إبراهيم لأبيه، ثم تبرؤه منه. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْغَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة].

عن علي رضي الله عنه قال: استغفر رجل لأبويه وهما مشركان فقلت: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْغَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا﴾. (١)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة وعلى وجه أزر قتره وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني فيقول

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٠٢، برقم: ٤٠٢٨.

أبوه: فالיום لا أعصيك فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأى خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ مُلْتَطَخَ فَيُوْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ). (١) والذبيخ الكلب أو الضباع ذو الشعر الكثيف. (٢)

محاكاة إبراهيم ﷺ لقومة وهو مؤمن، وتلك المحاكاة ليست شكاً، بل ليظهر الحقيقة الدامغة أمام مشركي قومه. بعد اليقين الذي أنعم الله به عليه. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥) ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦) ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧) ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُرِيدُ أَنِ يَرِيءَ مِنِّي مَا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) [الأنعام].

تأكيداً للقوم توحيد الله ﷻ. قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) [الأنعام].

وما كان إبراهيم شاكاً، لكنه بدأ الحوار مع قومه ليوضح لهم بطلان اعتقادهم بالشمس والنجوم وتأليهها.

استمرار محاكاة قومه له، وتحديهم وألتهم، وتأكيداً للأمن للمؤمنين بالله وحده، قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً، ج٤/١١٠.

(٢) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١/٢٨٥؛ المعجم الوسيط، ص٢١٨.

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام].

كانت حجة إبراهيم **عليه السلام** بما فيها ما تحدث فيه عن الكواكب، مما علمه الله **ﷻ**. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

من حوار إبراهيم **عليه السلام** مع قومه لإقناعهم بترك عبادة الأصنام وما فيها من شرك. قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكُمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء].

بيانه لعجز الأصنام. قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء].

إصرار القوم على تقليد الآباء وإن كانوا ضالين. قال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء].

إعلان إبراهيم **عليه السلام** لعداوته للأصنام. قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء].

بيان إبراهيم **عليه السلام** لفضل الله عليه وعلى العباد. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء].

دعاء إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝٨٣ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝٨٥ وَأَغْفِرْ لِي إِنِّي كَانُ مِنْ الضَّالِّينَ ۝٨٦ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠ ﴾ [الشعراء].

سلامة قلب إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَإِتَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَاءَهُ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَفِيكَاءَ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ ۝٨٦ ﴾ [الصافات].

نعم الله على إبراهيم عليه السلام عند اعتزاله مشركي قومه وشركهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ مِنْ دُونَ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠ ﴾ [مريم].

نعم الله بالهداية للأنبياء عليهم السلام، ومنهم من ذرية إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذْ نُنَاقِلُ عَلَيْهِمْ ءَابَتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨ ﴾ [مريم].

تحطيمه عليه السلام للأصنام.

إنكار إبراهيم عليه السلام على قومه عبادتهم للأصنام. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِبُونَ ۝٥٢ ﴾ [الأنبياء].

إصرارهم على التقليد، ولو كان ضلالاً. قال تعالى: ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا هَا عَبدِينَ ۝٥٣ ﴾ [الأنبياء].

تأكيد إبراهيم عليه السلام لضلالهم وضلال آبائهم من قبلهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَّآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ [الأنبياء].

بيان إبراهيم عليه السلام أن الله رب السموات والأرض، قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ [الأنبياء].

تهديد إبراهيم عليه السلام بتحطيم الأصنام. قال تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ ﴿٥٧﴾ [الأنبياء].

ما قبل تحطيم الأصنام، قال تعالى: ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ فَظَرَّ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٥٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٥٩﴾ فَنُودِيَ عَنْهُ مَدْيَنَ ﴿٦٠﴾ [الصافات].

العزيمة والتنفيذ والإصرار، قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُونُ ﴿٦١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٦٢﴾ فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٦٣﴾ [الصافات].

تحطيمه للأصنام مع العمل على اعترافهم بالضلال، قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ [الأنبياء].

استنكار القوم لتحطيم الأصنام وتوجيه الاتهام لإبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ [الأنبياء].

محاكمة إبراهيم عليه السلام.

طلب محاكمته علناً أمام الناس. قال تعالى: ﴿ قَالُوا فَاتُوبُوا بِهِ عَلٰىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ [الأنبياء].

التحقيق وسؤال إبراهيم عليه السلام عن الحادث. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَأنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [٦٢] ﴿[الأنبياء].

رد إبراهيم عليه السلام بقوة ليثبت ضلالهم وعجز أصنامهم، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [٦٣] ﴿[الأنبياء].

إقرارهم بظلمهم وخطأهم، قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٦٤] ﴿[الأنبياء].

إقرارهم بعجز آلهتهم. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [٦٥] ﴿[الأنبياء].

صدع إبراهيم بالحق وإنكاره على قومه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [٦٦] ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٦٧] ﴿[الأنبياء].

قرار الحكم الظالم بإحراق إبراهيم عليه السلام حياً. قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [٦٨] ﴿[الأنبياء].

إسراع القوم لمعاذة إبراهيم، مع بيانه أن حق العبادة للخالق وحده، وأن المخلوق لا يعبد. قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُوفًا﴾ [٩٤] ﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْجُونَ﴾ [٩٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٦] ﴿[الصفات].

أنجاه الله من النار.

قررروا إعدامه وحرقه بالنار واعدوا بناءً خاصاً لذلك. قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [٩٧] ﴿[الصفات].

كان أبوه آزر، يشجّع الناس على جمع الحطب الكثير ومشاهدة حرق إبراهيم عليه السلام، فنصر الله إبراهيم عليه السلام ونجّاه.

أمر الله القوي القادر بسلامة إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء].

عن علي رضي الله عنه في قوله: «يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم» قال: لولا أنه قال وسلامًا لقتله بردها. (١)

ورد أنه ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه. (٢)

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: ((أول كلمة قالها إبراهيم حين ألقى في النار، حسبنا الله ونعم الوكيل)). (٣)

عن سعيد بن المسيب عن أم شريك ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ. وقال: كان ينفخ على إبراهيم)). (٤)

خذلان الله للقوم المشركين. قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات].

حجة إبراهيم عليه السلام أمام الملك الجبار النمروذ بن كنعان، الذي كان يدعي الربوبية. (٥) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة].

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥١٩ - ٥٢٠، برقم: ١١٨٧١.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٠، برقم: ١١٨٧٢؛ الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٤٠.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٢، برقم: ١١٨٧٩.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً، ج ٤/١١٢.

(٥) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٧٩؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٥٠.

ليطمئن قلب إبراهيم عليه السلام.

طلب لإبراهيم عليه السلام ليزيد يقينه ويطمئن قلبه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ((نحن أحق من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (...)). (١)

هجرته عليه السلام.

ترك عليه السلام بلاده وطلب الهداية والرزق بالذرية. وقبل هجرته ﷺ تزوج من سارة ابنة عمه، وكانت على دين إبراهيم، امرأة سالحة صادقة. (٢) قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الصافات].

انتقل إبراهيم عليه السلام ومعه لوط عليه السلام من العراق إلى فلسطين في الشام ليعيش هناك. (٣) قال تعالى:

﴿فَأَمَّا لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت]،
وسكن عليه السلام الأرض المباركة. قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء].

طلب الرزق بالذرية، والبشارة بسلام.

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (ونبئهم عن ضيف إبراهيم)، ج ١١٩/٤؛

انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، ج ٩٨/٧.

(٢) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٤٠؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٥ - ١٥٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج ٢٤/١؛ الطبري، تاريخه، ج ١٢٥/١؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٧٩؛ ابن كثير،

قصص الأنبياء، ص ١٥٥.

محاولة الاعتداء على سارة.

ورد أن إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة تعرضا للظلم من قبل ملك من الطغاة في زمانه، حيث حاول الاعتداء على سارة زوجة إبراهيم عليه السلام مما اضطر إبراهيم عليه السلام أن يوري ويقول عن سارة: إنها أختي حتى يأمن من الملك، وقد نجى الله سارة من ذلك الطاغية. (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله. قوله: ﴿إني سقيم﴾ وقوله: ﴿بل فعله، كبيرهم هذا﴾ وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه قال: أختي فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألتني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتونني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي فأوماً بيده (مهيا) قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء)). (٢)

ولا شك إن إبراهيم عليه السلام كان يدعو الله ويتضرع إليه؛ لينجي هاجر من ذلك الجبار. وهاجر من مصر. ولذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٥١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ٤/١١٢؛ انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، ج ٧/٩٨ - ٩٩؛ الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٤١؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٦١.

فتحتهم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. (١)

وحين تأخرت سارة في الولد وهبت هاجر لإبراهيم فتسرى بها، وأنجبت منه إسماعيل عليه السلام. (٢)

كرم إبراهيم عليه السلام.

إبراهيم عليه السلام كان كريماً يتعرض للضيوف ليطعمهم ويوجههم ويدعوهم، ويسمى أبا الضيفان. (٣) وثبت كرمه في القرآن والسنة، وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء: باب قوله: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾... (٤)

وقد روي أن إبراهيم أول الناس أضاف الضيف، وأول الناس اختن، وأول الناس قلم أظفاره، وجز شاربه واستحد. (٥)

وقد وصفه الرسول ﷺ بالكرم في الحديث الذي رواه البخاري: ((عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام)). (٦)

كان إبراهيم عليه السلام على خطر من بعض الضيوف أن يصيبوه بأذى أو يعتدوا عليه، ومع ذلك استمر في كرمه واستقباله للضيوف رغم الخوف منهم أحياناً. قال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

(١) الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٤٣.

(٢) الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٥٠.

(٣) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٣٦.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (ونبئهم عن ضيف إبراهيم..)، ج ٤/١١٩.

(٥) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٢، برقم: ١١٨٨٠.

(٦) البخاري، صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين)، ج ٤/١٢١.

﴿٥٠﴾ وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ ﴿٥٢﴾

[الحجر].

وكان إبراهيم **الكتبي** يكرم ضيوفه دون أن يعرفهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾

[هود].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات].

إكرامه لضيوفه بعجل سمين، وهو من أفضل ما يقدم. قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات].

خوفه من عدم أكل الضيوف، وتطمينهم له، وبشارته. قال تعالى: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات].

حلمه **الكتبي** على قوم لوط. (١)

الملائكة تخبر إبراهيم **الكتبي** بتوجههم لقوم لوط. قال تعالى: ﴿فَلَمَّارَةً أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكْرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود].

وقد كان سبب خوف إبراهيم منهم عدم أكلهم من طعامه رغم إكرامه لهم، ولعل في أكل الطعام من المضيف ما يرمز إلى تأمينه منذ ذاك الحين، وهو عرف عند البعض حتى اليوم.

(١) انظر، الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٧٩.

ضيوف إبراهيم **عليه السلام** وهو الكريم. قال تعالى: ﴿ نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَبَيَّنَّهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحجر].

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الحجر].

استفهام إبراهيم **عليه السلام** من الملائكة المرسلين. قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٦٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٦٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت].

حلم إبراهيم **عليه السلام** وشفاعته للقوم. قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكِ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت].

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود].

الأواه أي: كثير الدعاء. إن إبراهيم لأواه. (١)

نُهي إبراهيم **عليه السلام** عن الشفاعة لقوم لوط. قال تعالى: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ عَنِ رَبِّكَ لَعَادَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود].

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥١٧، برقم: ١١٨٦٤.

بشارته بإسحاق ويعقوب عليهما السلام. (١)

ملائكة مبشرون لإبراهيم عليه السلام، مهلكين لقوم لوط. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت].

وكان طلب الرزق بالذرية، وجاءته البشارة بغلام.

قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٠٠] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [١٠١] [الصافات].

حضرت امرأة إبراهيم عليه السلام المشهد فضحكت، وبشرت. قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [٧١] [هود].

استغرابها للبشارة بالولد مع كبر سنها. قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَوَيْلَيَّ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [٧٢] [هود].

استغراب إبراهيم للبشارة بإسحاق عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نَبْشِرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾ [٥٣] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبْشِرُونَ﴾ [٥٤] ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ [٥٥] ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [٥٦] [الحجر].

البشارة بالابن. قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١١٢] [الصافات].

وبابن الابن. قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [٧١] [هود].

(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء عنوان (ذكر مولد إسحاق)، ص ١٧٢.

استغراب امرأة إبراهيم **عليه السلام**، وبيانها لسبب الاستغراب، العقم، وكبر السن. قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَاقَتِهَا فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات].

لإزالة التعجب بين الملائكة رحمة الله وبركاته على أهل بيت إبراهيم **عليه السلام**. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود].

رزقه **عليه السلام** بأبناء أنبياء. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء].

البركة على إبراهيم **عليه السلام** وذريته المحسنين. قال تعالى: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات].

إبراهيم **عليه السلام** يشكر الله على الذرية، ويدعو لهم بإقامة الصلاة. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

نعمة الله على إبراهيم **عليه السلام** بأبناء صالحين أنبياء. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكَوْنًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [آل عمران].

يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآئٍ فَقَدْ وُكِّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوءَ بِهَا كَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ [الأنعام].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة)) (١).

اصطفاء الله لإبراهيم ويعقوب وإسحاق عليهم السلام. قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّمَا عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص].

والظالمين ليسوا من إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة].

عن ابن عباس رضي الله عنهما وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال: لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم عليه السلام. (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فقال: إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفدهم البصر وتدنو الشمس منهم، فذكر حديث الشفاعة فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من الأرض اشفع لنا إلى ربك فيقول: فذكر كذبه نفسي نفسي اذهبوا إلى موسى. الحديث...)) (٣).

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج٤/١١٩.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج١١/٥٢٢، برقم: ١١٨٧٨.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج٤/١١٣.

الإشارة لصحف إبراهيم عليه السلام التي أنزلت عليه. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝١٥ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝١٩﴾ [الأعلى].

((عن أبي أمامة رضي الله عنه... أوحى الله إليه أن تطهر، وكان أول من شاب واختن، وأنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد في القرآن فكان فيما أنزل الله عليه التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين. وقد أفلح المؤمنون إلى قوله الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون والتي في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات إلى آخر الآية، والتي في المعارج الذين هم على صلاتهم دائمون إلى قوله والذين هم بشهاداتهم قائمون فلم يف بهذه السهام إلا إبراهيم خليل الله ومحمد صلى الله عليهما وآله وسلم)). (١)

ذرية إبراهيم عليه السلام بمكة المكرمة.

أخذ إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل الرضيع مع أمه هاجر إلى مكة المكرمة، (٢) فأسكنهم بها ودعا لهم بالصلاة ووفود الناس إليهم والرزق من الثمرات. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ [إبراهيم].

دعوة إبراهيم عليه السلام بالأمن لبلد الحرم، مكة المكرمة، والبراءة من الأصنام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٠٠، برقم: ٤٠٢١.

(٢) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٦١ - ١٦٢.

أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَّانَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة].

الدعوة بأن يبعث الله في ذرية إبراهيم نبيًا، ليعلمهم كتاب الله وسنة النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة].

ورد عن النبي ﷺ: ((أني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين)) (١).

وقد ورد أنه ﷺ قال: ((إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريش، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار)) (٢).

ورد عند البخاري في صحيحه أنه ﷺ قال: ((إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة ما بين لابتيتها)) (٣).

(١) ابن كثير، تفسير، ج/٢١٢؛ وراجع صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، ج/٤/١٦٢؛ وشرح ابن حجر على الباب.

(٢) صحيح مسلم، شرح النووي، ج/١٥/٢٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، ج/٤٠/٤٠.

وروى البخاري ومسلم: ((إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم ﷺ)). (١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه. اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها)). (٢)

بناء البيت الحرام بمكة.

اختيار الله البيت الحرام وقيام إبراهيم عليه السلام عليه وعهد الله له. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة].

روى ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل؛ اتخذت منطقاً؛ لتُعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس، ولا شيء؟! فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: (رب إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) حتى بلغ:

(١) رواه البخاري، ومسلم، وانظر: تخريجه عند الرفاعي، الأحاديث الواردة فيه، ص ٢١٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ٤/١١٨.

(يشكرون) ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال: يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي؛ تنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فذلك سعي الناس بينهما». فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه - تريد نفسها - ثم تسمعت، فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث! فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال: بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تعرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تعرف، قال ابن عباس رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تعرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً». قال: فشربت، وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة؛ فإن ها هنا بيت لله، بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم. قال ابن عباس رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فألفى ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الإنس». فنزلوا، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها

أهل أبيات منهم، وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل؛ يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج بيتي لنا، ثم سألتها عن عيشهم، وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له: يغير عتبه بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبه بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته، فسألها عنه، فقالت: خرج بيتي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم، وهيئتهم، فقالت: نحن بخير، وسعة، وأثنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه» قال:

فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه.

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبه بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبه بابك، قال: ذاك أبي، وأنت العتبه أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبيري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم،

فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبنيها هنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، قال: فجعلوا بينان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (١)

وفي رواية أخرى. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة؛ فيدر لبنها على صبيها، حتى قدم مكة، فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل، حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله، قالت: رضيت بالله، قال: فرجعت فجعلت تشرب من الشنة؛ ويدر لبنها على صبيها، حتى لما فني الماء، قالت: لو ذهبت فنظرت؛ لعلي أحس أحداً، قال: فذهبت فصعدت الصفا فنظرت، ونظرت، هل تحس أحداً، فلم تحس أحداً، فلما بلغت الوادي سعت، وأتت المروة، ففعلت ذلك أشواطاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل - تعني: الصبي - فذهبت، فنظرت، فإذا هو على حاله، كأنه ينشغ للموت، فلم تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت فلم تحس أحداً، حتى أتت سبعاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج ٤/ ١١٣ - ١١٦.

قال: فقال بعقبه هكذا، وغمز عقبه على الأرض، قال: فانبثق الماء فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تحفز. قال: فقال أبو القاسم رضي الله عنه: «لو تركته كان الماء ظاهراً». قال: فجعلت تشرب من الماء؛ ويدر لبنها على صبيها، قال: فمر ناس من جرهم ببطن الوادي، فإذا هم بطير كأنهم أنكروا ذلك، وقالوا: ما يكون الطير إلا على ماء، فبعثوا رسولهم فنظر، فإذا هم بالماء، فأتاهم، فأخبرهم، فأتوا إليها، فقالوا: يا أم إسماعيل، أتأذنين لنا أن نكون معك، أو نسكن معك؟ فبلغ ابنها، فنكح فيهم امرأة، قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي، قال: فجاء فسلم، فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، قال: قولي له إذا جاء: غير عتبة بابك فلما جاء أخبرته، قال: أنت ذاك، فاذهبي إلى أهلك.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي، قال: فجاء، فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد، فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ فقال: وما طعامكم، وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم، وشرابنا الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، قال: فقال أبو القاسم رضي الله عنه: «بركة بدعوة إبراهيم».

صلى الله عليهما وسلم، ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له، فقال: يا إسماعيل، إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً، قال: أطع ربك، قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه، قال: إذن أفعل - أو كما قال - قال: فقاما، فجعل إبراهيم بيني، وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، قال: حتى ارتفع البناء، وضعف الشيخ على نقل الحجارة، فقام على حجر المقام، فجعل

يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يرحم الله أم إسماعيل، لولا أنها عجلت؛ لكان زمزم عيناً معيناً)). (٢)

بناء الكعبة المشرفة. (٣)

التأكيد على أن أقدم بيت هو الذي بمكة. مما يعني أنه منذ زمن آدم عليه السلام وربما قبله، وأن إبراهيم رفع قواعده مرة أخرى. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٦) [آل عمران].

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبناء الكعبة المشرفة، ودعائهما لأنفسهما وذريتهما. قال تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨) [البقرة].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتكم الصلاة بعد فصله؛ فإن الفضل فيه»)). (٤)

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء إبراهيم عليه السلام فوجد إسماعيل يصلح له بيتاً من وراء زمزم، فقال له إبراهيم: يا إسماعيل إن ربك قد أمرني ببناء البيت.

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج ٤/١١٦ - ١١٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج ٤/١١٣.

(٣) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٧٧.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج ٤/١١٧.

عن مجاهد، وأذن في الناس بالحج، قال: ((أمر إبراهيم أن يؤذن بالحج، فقام فقال: يا أيها الناس، أجيئوا ربكم، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك)). (١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه أن أذن في الناس بالحج. قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتاً وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب: لبيك اللهم لبيك...)). (٢)

الحج وأمن الناس في مكة المكرمة. قال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران].

رؤيا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه.

صبر إسماعيل وسلم الأمر لله ﷻ. قال تعالى: ﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يُبْنِي لِي فِي الْمَنَامِ آيَةً أَذْبَحَكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى قَالَ بَنَيْتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].

مباشرة إبراهيم عليه السلام لذبح ابنه، وصبره وابنه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات].

صبر إبراهيم عليه السلام على البلاء وثناء الله عليه. وفداء الله لإسماعيل بذبح عظيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات].

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢١، برقم: ١١٨٧٥.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٠١، برقم: ٤٠٢٦.

كان الفداء كبشاً أقرن هبط على إبراهيم عليه السلام من أحد الجبال القريبة منه.

نداء الله لإبراهيم عليه السلام ورحمته بابه. قال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّزِهِيْمُ

﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّيِّأَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات].

والأدلة واضحة في أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة بالشام، يعني استدلاله بقوله بعد ذكر القصة: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فقال له عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت. (١)

فكيف يبشر بابن لإسحاق وقد أمر بذبحه.

تبعية محمد صلى الله عليه وسلم وأمه لإبراهيم.

قال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة].

إيمان أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم السلام وعدم التفریق بينهم، وطلب إيمان أهل الكتاب بذلك. قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ لَوْلَا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة].

ثواب الله لإبراهيم عليه السلام، وطلب إتباع محمد صلى الله عليه وسلم له. قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل].

(١) الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٦٣؛ ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٦١.

الرد على زعم اليهود والنصارى يهودية ونصرانية إبراهيم عليه السلام وأبنائه.
 قال تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا
 هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا
 اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
 عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ [البقرة].

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ [آل عمران].

إيمان أمة محمد صلى الله عليه وسلم بإبراهيم والأنبياء من ذريته. والتأكيد عن أن
 الإسلام لجميع الأنبياء. قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
 يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية. قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ [آل عمران].

وقد دافع صلى الله عليه وسلم عن إبراهيم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((دخل النبي صلى الله عليه وسلم
 البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال: أما لهم فقد سمعوا أن
 الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة هذا إبراهيم مصور فما له يستقسم)) (١).

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور في البيت
 لم يدخل حتى أمر بها فمحيت ورأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام فقال:

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ٤/ ١١١.

قاتلهم الله والله إن استقسما بالأزلام قط). (١).

عن أبي حميد الساعدي: ((أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله ﷺ قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)) (٢).

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: ((قلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)) (٣).

الوحي لمحمد ﷺ كالوحي لإبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النساء].

الإسلام ملة إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ٤/ ١١١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ٤/ ١١٨.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ٤/ ١١٨.

شرع الله لمحمد ﷺ وللمسلمين جميعاً دين إبراهيم عليه السلام، فهو دين وشرع واحد. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى].

تأسى المسلمون بالبراءة من المشركين، كإبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [آل عمران]. ﴿إِنَّمَا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [٤]. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٥]. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [٦]. [المتحنة].

اتباع ملة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [١٢٥]. [النساء].

ثناء الله على إبراهيم عليه السلام لدى جميع الأمم. قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [١٠٨]. ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [١٠٩]. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [١١٠]. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١١١]. [الصافات].

زعم اليهود والنصارى تبعية إبراهيم عليه السلام لهم وهو سابق لهم. وبراءة إبراهيم عليه السلام من الشرك وقد دخلوا فيه. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٣٥]. [البقرة].

نفي اليهودية والنصرانية عن إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٦٥].

هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ [آل عمران].

حسد أهل الكتاب على فضل الله على آل إبراهيم ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء].

كانت حياة إبراهيم ﷺ طويلة، كان خلالها حريصًا على تنفيذ أوامر
الله، ونشر دينه، وتربية أبنائه على الخير والإيمان، ودعوة الناس إلى الخير
ومساعدتهم عليه، إلى غير ذلك مما عرف عنه ﷺ، إلى أن توفاه الله في
فلسطين ودُفن بها. (١)

عن عبيد بن عمير قال: قال موسى: يا رب: ذكرت إبراهيم وإسحاق
ويعقوب ثم أعطيتهم ذاك، قال: إن إبراهيم لم يعدل في شيء إلا اختارني، وإن
إسحاق جادلني بنفسه، فهو لما سواها أجود، وإن يعقوب لم أبتله ببلاء إلا زاد
بي حسن ظن. (٢)

إمامة إبراهيم ﷺ واختيار الله له.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة].

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١/١٦١؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٧٣.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٠ - ٥٢١، برقم: ١١٨٧٤.

عن الشعبي وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال: منهن الختان. (١)

وورد أنه ابتلى بعشرة أشياء منهن: المضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك وبتف الأبط وتقليم الأظافر وغسل البراجم والختان وحلق العانة. (٢)
وهذه كلها تعود بالصحة والطهارة على البدن.

عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أنه قال: أول من خطب على المنابر إبراهيم خليل الله ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اختن إبراهيم النبي ﷺ، وهو ابن ثمانين سنة بالقدم)) (٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان إبراهيم أول من تسرول، وأول من فرق، وأول من استحد، وأول من اختن بالقدم... (٤)

قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: كان إبراهيم أول من أضاف الضيف، وأول الناس اختن، وأول الناس قص شاربه، وأول الناس رأى الشيب، فقال: يا رب ما هذا؟ فقال الله: «وقار». فقال: يا رب زدني وقاراً.

وروي أن إبراهيم رضي الله عنه أول ما رأى الشيب قال: يا رب، ما هذا؟ قال: الوقار، قال: يا رب، زدني وقاراً. (٥)

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٤، برقم: ١١٨٧٧؛ وانظر، الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٧٢.

(٢) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٧٢.

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، ج ١١١/٤؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل رضي الله عنه، ج ٩٧/٧.

(٤) القدم: فأس صغير يستخدمه النجارون لنحت الخشب وما يزال باسمه إلى اليوم.

(٥) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٣، برقم: ١١٨٨١.

علاقة الأنبياء ﷺ بإبراهيم عليه السلام.

كان إبراهيم عليه السلام قدوة لمن جاء بعده، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ جَرْاً إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام].

نعمة الله على يوسف عليه السلام كنعته على إبراهيم عليه السلام والأنبياء من ذريته. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

تبعية يوسف عليه السلام لملة إبراهيم عليه السلام والأنبياء من ذريته. قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَآءَآءَ آبَائِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف].

هداية الله لمحمد عليه السلام على طريق إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام].

ذكر عليه السلام مع الأنبياء في القرآن الكريم تذكيراً للأمم المتأخرة. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمُ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة].

وفاة إبراهيم عليه السلام (١).

ماتت سارة قبله بقربة حبرون، التي في أرض كنعان بفلسطين وهي الخليل،

(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٩٧ (ذكر وفاة إبراهيم وما قيل في عمره).

ولها من العمر مئة وسبع وعشرون سنة، فيما ذكر أهل الكتاب، فحزن عليها إبراهيم عليه السلام ورثاها رضي الله عنه، واشترى من رجل من بني حث يقال له عفرون بن صخر مغارة بأربع مئة مثقال ودفن فيها سارة هنالك. (١)

... ثم تزوج إبراهيم عليه السلام قنطوراً، فولدت له. (٢)

وروي عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب في صفة مجيء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخباراً كثيرة الله أعلم بصحتها. وروي أن إبراهيم حين كبرت سنه سأل الله أن يقبضه فمات وعمره مئة وخمس وسبعون سنة. (٣)

ومات عن مئة وخمس وسبعين. وقيل غير ذلك، بعد مرض أصابه، ودفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون الحيثي، عند امرأته سارة، وتولى دفنه ابناه إسماعيل وإسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. (٤)

فقبيره وقبر ولده إسحاق وقبر ولد ولده يعقوب ... ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم. (٥)

وورد أنه وجد عند قبر إبراهيم الخليل عليه السلام على حجر كتابة خلقة :

ألهى جهولاً أمله	يموت من جا أجله
ومن دمًا من حتفه	لم تغن عنه حيله
وكيف يبقى آخرًا	من مات عنه أوله
والمرء لا يصحبه	في القبر إلا عمله (٦)

(١) انظر، الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٩٨.

(٢) انظر، الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢٠١.

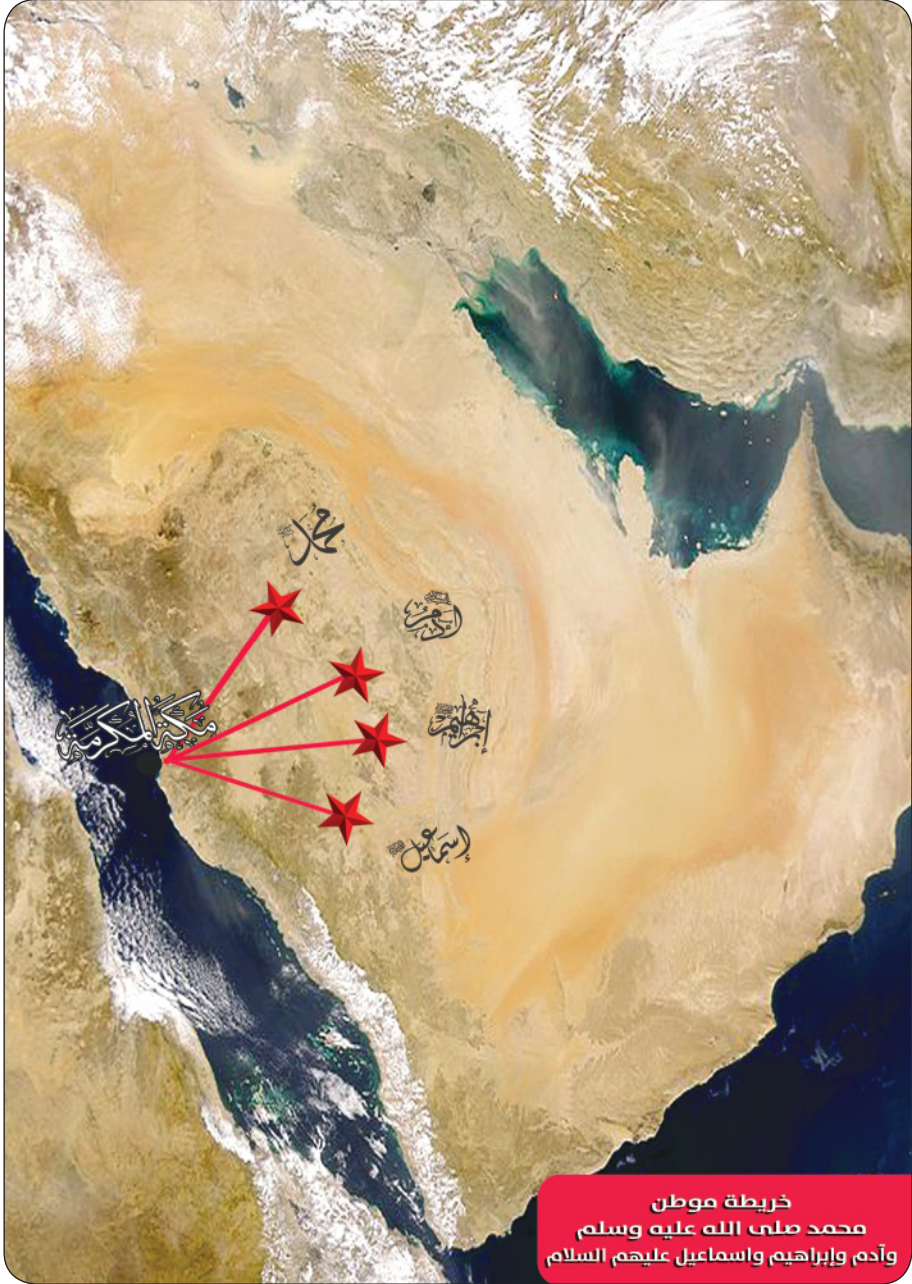
(٣) انظر، الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢٠٢.

(٤) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٩٧.

(٥) انظر، الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢٠٢؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٩٨.

(٦) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٩٦.





إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

هبة الله لإبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٩) [إبراهيم].

فضله عليه السلام.

ذكر عليه السلام ضمن المصطفين من أنبياء الله. قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ** (٤٦) **وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ** (٤٧) **وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ** (٤٨) **هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَثَابٍ** (٤٩) [ص].

وضع البخاري في صحيحه باب قول الله تعالى: (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ). (١)

كما وضع الحاكم في المستدرک: ذکر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما. (٢)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وأذكر في الكتاب إسماعيل، ج ٤/ ١١٩.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/ ٦٠٢.

زمانه وموطنه ﷺ.

سكن إسماعيل مع أمه هاجر في مكة المكرمة بأمر من الله، بعيداً عن سارة التي بدأت تشعر بالغيرة من هاجر وابنها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((أقبل إبراهيم بإسماعيل وأمه وهي ترضعه معها شنة لم يرفعه ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل)) (١).

وفي مكة نشأ وترعرع وتزوج من جرهم ومن غيرها. وقد مر بنا في الحديث مفصلاً عن إبراهيم عليه السلام وفيه جزء من حياة إسماعيل في مكة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل وأم إسماعيل، ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها، حتى قدم مكة، فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء، نادته من ورائه: يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله. قال: فرجعت، فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها. حتى لما فني الماء، قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً. قال: فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت، هل تحس أحداً؟ فلم تحس أحداً. فلما بلغت الوادي سعت، وأتت المروة، ففعلت ذلك أشواطاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل - تعني الصبي - فذهبت فنظرت، فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت. فلم تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً. فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت، فلم تحس أحداً. حتى أتمت سبعا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير. فإذا جبريل، قال: فقال

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج ٤/ ١١٧.

بعقبه هكذا، وغمز عقبه على الأرض، قال: فانبتق الماء فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفز، قال: فقال أبو القاسم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لو تركته كان الماء ظاهراً» قال: فجعلت تشرب من الماء ويدرب لبنا على صبيها.

قال: فمر ناس من جرهم ببطن الوادي، فإذا هم بطير، كأنهم أنكروا ذلك، وقالوا: ما يكون الطير إلا على ماء. فبعثوا رسولهم، فنظر فإذا هم بالماء، فأتاهم فأخبرهم، فأتوا إليها، فقالوا: يا أم إسماعيل، أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك؟ فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة. قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء، فسلم، فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد. قال: قولي له إذا جاء: غير عتبة بابك. فلما جاء أخبرته. قال: أنت ذاك، فاذهبي إلى أهلك.

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله: إني مطلع تركتي. قال: فجاء، فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد. فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ فقال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم، وشرابنا الماء. قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «بركة بدعوة إبراهيم».

قال: ثم إنه بدا لإبراهيم، فقال لأهله: إني مطلع تركتي. فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له، فقال: يا إسماعيل، إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً. قال أطع ربك. قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه. قال: إذن أفع، أو كما قال. قال: فقاما، فجعل إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قال: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة، فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١).

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج ٤/ ١١٦ - ١١٧.

صفاته ﷺ.

ورد الحديث عن صدقه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٤﴾ [مريم].

وقد رضي الله عنه، وذكر أمره لأهله بالصلاة والزكاة، وهو قدوة للمسلمين من أيامه إلى يوم الدين. كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ ﴿٥٥﴾ [مريم].

ومن صفاته ﷺ أنه كان رامياً، ووردت الأخبار تدل على أنه صاحب صيد فيما حول مكة.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: ((مرَّ النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال رسول الله ﷺ: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، وأنا مع بني فلان، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم لا ترمون، فقالوا: يا رسول الله نرمي وأنت معهم، قال: ارموا وأنا معكم كلكم)). (١)

وقصته في بناء الكعبة وظهور ماء زمزم وبعض الشعائر، كما أنها مرتبطة بإبراهيم عليه السلام، فهي مرتبطة بهاجر وإسماعيل عليه السلام، ومن ثم محمد صلى الله عليه وسلم. وقد وردت رواية طويلة عن قصة إسماعيل ووالدته هاجر مع إبراهيم عليه السلام في مكة.

هاجر عليها السلام.

هي أم إسماعيل وأصلها من مصر آمنت بإبراهيم وصدقته، وأنجبت منه إسماعيل، مؤمنة متوكله على الله، كما مرَّ بنا في حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب إسماعيل)، ج ٤/١١٩.

قال: ((أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة. ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء. فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء. ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: أَلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت ...)). (١)

مشاركته ببناء الكعبة.

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما التي مرّت بنا... ((فوافق إسماعيل من وراء زمزم، يصلح نبلاً له، فقال: يا إسماعيل، إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً. قال: أطع ربك. قال: إنه قد أمرني أن تعينني عليه. قال: إذن أفعل، أو كما قال. قال: فقاما فجعل إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قال: حتى ارتفع البناء، وضعف الشيخ على نقل الحجارة، فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾)). (٢)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج٤/١١٧. (وسبق الاستشهاد به في أكثر من موضع للمناسبة).

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان، ج٤/١١٦ - ١١٧؛ وانظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٦٠١، برقم: ٤٠٢٤. وقد تكررت الرواية معنا عند الحديث عن إبراهيم عليه السلام.

فداء الذبيح.

وإسماعيل عليه السلام هو الذبيح الذي فداه الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في الذي فداه الله بذبح عظيم، قال: الذبيح إسماعيل... (١)

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعْلَمٍ حَلِيمٍ﴾ (١٠١) ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٢) ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٣) ﴿وَوَدَّيْنَهُ أَن يَبْتِرَهِيمُ﴾ (١٠٤) ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٥) ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلْتَأُ الْمُبِينُ﴾ (١٠٦) ﴿وَوَدَّيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٧) ﴿[الصفات].﴾

وقد شهد بذلك من أسلم من يهود، فعن محمد بن كعب القرظي، يقول: إن الذي أمر إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل، وأنا نجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه أنه إسماعيل، وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال: ﴿وَبَشِّرْنَهُ بَأِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، ثم يقول: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾. يقول: بابن وبابن ابن فلم يكن يأمر بذبح إسحاق وله فيه من الله موعود بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل. (٢)

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال: الذبيح هو إسماعيل. (٣)

وعن عطاء بن يسار قال: ((سألت خوات بن جبير الأنصاري، عن ذبيح الله أيهما كان؟ فقال: إسماعيل، لما بلغ إسماعيل سبع سنين رأى إبراهيم في النوم في منزله بالشام أنه يذبح إسماعيل فركب إليه على البراق حتى جاءه

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٠٤، برقم: ٤٠٢٤.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٠٥، برقم: ٤٠٢٨.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٠٦، برقم: ٤٠٤٠.

فوجده عند أمه، فأخذ بيده ومضى به لما أمر به وجاءه الشيطان في صورة رجل يعرفه، فقال: يا إبراهيم، أين تريد؟ قال إبراهيم: في حاجتي. قال: تريد أن تذبح إسماعيل. قال إبراهيم: رأيت والدًا يذبح ولده؟ قال: نعم، أنت، قال إبراهيم: ولم؟ قال: تزعم أن الله أمرك بذلك، قال إبراهيم: فإن كان الله أمرني أطعنا الله وأحسننا، فأنصرف عنه وجاء إبليس إلى هاجر فقال: أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهب في حاجته، قال: فإنه يريد أن يذبحه، قالت: وهل رأيت والدًا يذبح ولده؟ قال: هو يزعم أن الله أمره بذلك، قالت: فقد أحسن حيث أطاع الله، ثم أدرك إسماعيل فقال: يا إسماعيل أين يذهب بك أبوك؟ قال: لحاجته، قال: فإنه يذهب بك ليذبحك، قال: وهل رأيت والدًا قط يذبح ولده؟ قال: نعم هو، قال: ولم؟ قال: يزعم أن الله أمره بذلك، قال إسماعيل: فقد أحسن حيث أطاع ربه، قال: فخرج به حتى انتهى به إلى منى حيث أمر، ثم انتهى إلى منحر البدن اليوم، فقال: أبنّي، إن الله أمرني أن أذبحك، قال إسماعيل: فأطع فإن طاعة ربك كل خير، ثم قال إسماعيل: هل أعلمت أمي بذلك؟ قال لا، قال: أصبت، إني أخاف أن تحزن ولكن إذا قربت السكين من حلقى فأعرض عني، فإنه أجدر أن تصبر ولا تراني ففعل إبراهيم، فجعل يحز في حلقه، فإذا الحز في نحاس ما يحتك الشفرة فشحذها مرتين أو ثلاثة بالحجر كل ذلك لا يستطيع أن يحز، قال إبراهيم: إن هذا الأمر من الله فرفع رأسه، فإذا بوعل واقف بين يديه فقال إبراهيم: قم يا بني فقد نزل فذاك فذبحه هناك بمنى). (١).

وقد بقي إسماعيل عليه السلام بمكة، وكان يلتقي بوالده في الحجاز وفي الشام، وشارك في دفن إبراهيم عليه السلام. وتزوج أكثر من مرة من جرهم المجاورة لهم

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٦٠٥/٢، برقم: ٤٠٤٠.

بمكة المكرمة، وتوفي إسماعيل عليه السلام بمكة المكرمة وقد تجاوز المئة وثلاثين سنة، وأوصى إلى أخيه إسحاق، ودفن عند الحرم، وعرف فيه حجر إسماعيل المجاور للكعبة، وذريته بمكة توارثوا القيام على الكعبة والبيت الحرام. (١)

ومن المعروف أن محمداً صلى الله عليه وسلم من ذرية إسماعيل، وأنه دعوة إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة].

استجيب له، فكان مبعثه صلى الله عليه وسلم في أهل مكة.







لوط عليه السلام

من بيت إبراهيم عليه السلام. (١)

عايش إبراهيم عليه السلام وعاصره، وهو ابن أخ له (٢) ومن المؤمنين به، نزلت الكثير من الآيات فيه وفي قومه الذين عاش بينهم، ذكر اسمه عليه السلام في القرآن الكريم (١٧) مرة، بحثت ذلك بنفسي.

عند البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب فلما جاء آل لوط المرسلون. (٣)

باب ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ مُنكَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ ﴿ بَرَكِيهِ ﴾ ﴿ بمن معه لأنهم قوته ﴾ ﴿ تَزَكُّوْا ﴾ ﴿ تَمِيلُوا فَأَنْكَرَهُمْ ﴾ ﴿ نَكَرَهُمْ ﴾ ﴿ وَاسْتَنْكَرَهُمْ وَاحِدٌ ﴾ ﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ ﴿ يسرعون دابر آخر صيحة هلكة ﴾ ﴿ لِمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ﴿ لِلنَّاطِرِينَ ﴾ ﴿ لِبَسَائِلٍ ﴾ ﴿ لِبَطْرِيقٍ ﴾. (٤)

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾. (٥)

وعند ابن أبي شيبة في مصنفه: ما ذكر في لوط عليه السلام. (٦)

- (١) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٨٤؛ الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١١.
- (٢) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٢٤؛ الطبري، تاريخه، ج ١/١٢٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٤٩.
- (٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (فلما جاء آل لوط المرسلين)، ج ٤/١٢٠.
- (٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (فلما جاء آل لوط المرسلين)، ج ٤/١٢٠.
- (٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (ولوطا إذ قال لقومه)، ج ٤/١٢٠.
- (٦) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٢، باب رقم: ٢٠٢٨.

في المستدرک علی الصحیحین، کتاب تواریخ المتقدّمین من الأنبياء: ذکر لوط النبی ﷺ. (١)

عن ابن عباس رضی اللہ عنہما قال: ولوط النبی ﷺ كان ابن أخي إبراهيم الخليل العليل... (٢)

عن محمد بن إسحاق قال: ولوط النبی ﷺ هو لوط بن هاران بن أزر بن باخور بن أخي إبراهيم الخليل، والمؤتفة هم قوم لوط. (٣)

صفته ﷺ.

روي عن كعب الأخبار قال: كان لوط نبي الله، وكان ابن أخي إبراهيم وكان رجلاً أبيض حسن الوجه دقيق الأنف، صغير الأذن، طويل الأصابع، جيد الثنايا، أحسن الناس مضحكاً إذا ضحك وأحسنه وأرزنه وأحكمه وأقله أذى لقومه، وهو حين بلغه عن قومه ما بلغه من الأذى العظيم الذي أرادوه عليه، حيث يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾. (٤)

إيمانه وهجرته ﷺ.

آمن بإبراهيم ﷺ وصحبه. قال تعالى: ﴿فَأَمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت].

روي عن وهب بن منبه يقول: خرج إبراهيم بامرأته سارة ومعها أخوها لوط إلى أرض الشام. (٥)

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١١.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١١، برقم: ٤٠٥٢.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١١، برقم: ٤٠٥٣.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١٢، برقم: ٤٠٥٧.

(٥) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦١١، برقم: ٤٠٥٢.

وتوجه إلى قرى سدوم^(١) القريبة من بيت المقدس، حيث أرسل إليهم داعية إلى التوحيد أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ومنها الفاحشة.

نذارته ﷺ لقومه.

من أهل هذه القرى، حيث كانوا يعملون مختلف الأخطاء الخلقية والمالية، فقد كانوا مشركين ويمارسون الرذيلة في الشذوذ الجنسي (اللواط)^(٢) مع التحفظ على التسمية، حتى أصبح ديدن حياتهم يجاهرون به في كل مكان. يقول تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف].

كانوا معاندين على بصيرة. يقول تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل].

حمل لقومه رسالة واضحة. يقول تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْقِذُكُمُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَانْقُضُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا لُوطًا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء].

(١) يرى الكثير من المؤرخين أن سدوم قرية قوم لوط تقع أسفل البحر الميت ولمعرفة المزيد عنها انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ٢/٧٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢/٢٠١؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ١٩٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٢٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٨٠؛ العهد القديم، سفر التكوين، ص ١٩؛ وانظر: كينيث كانتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥٢؛ عبد الغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص ٤٩؛ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ١٤٦.

كان عملهم لجريمة الشذوذ جهاراً نهاراً أمام بعضهم البعض في أماكنهم وأنديتهم العامة^(١) مع تحديهم لنبيهم ودعوته، واستبعادهم للعذاب. قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت].

لا يكتفون بعمل الشذوذ فيما بينهم، بل يؤذون من ينهاهم عنه، ويجبرون من يمتنع منهم على الوقوع فيه،^(٢) فكانت فيهم جريمة الشذوذ والاعتصاب، وإيذاء من يصلحهم وينهاهم عن الجريمة.

فكانوا يعتدون على عابري السبيل، فيقطعون عليهم الطريق ليعتدوا على أعراضهم ويسلبوا أموالهم،^(٣) وقد نهاهم نبيهم لوط عن ذلك في قوله تعالى: ﴿أَيْنَكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: من الآية ٢٩].

وردوا عليه. قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء].

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأعراف].

(١) الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٨٦.

(٢) الطبري، تفسيره، ج ٢/١٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٨١؛ الشوكاني، فتح القدير، ج ٤/٢٠١.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١/١٥٢؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٨٠.

تأكيداً لكرهه لعمله ودعائه لله. يقول تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (١٣٨)
 رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ [الشعراء].

ومع التهديد بالإخراج منعه من الدعوة والإصلاح. يقول تعالى:
 ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطِ مِنْ قَرَبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٥٦) [النمل]

مرور الملائكة على إبراهيم عليه السلام ضيوفاً في طريقهم للوط عليه السلام، فقدم لهم إبراهيم بكرمه طعاماً من اللحم فلم يأكلوا. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمِ لُوطِ﴾ (٧٠) [هود].

صارت سارة امرأة إبراهيم تضحك لما سيصيب القوم المجرمين، فبشرت وعجبت. قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١) قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ أَيْدِيَّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ [هود].

رد الملائكة عليها. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٣) [هود].

حلم إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطِ﴾ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ [هود].

تأكيد الملائكة لعذابهم. قال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (٧٦) [هود].

أمر رباني بإهلاك قوم لوط. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) [العنكبوت].

علم الملائكة. والبشارة بنجاة لوط **عليه السلام** وأهله واستثناء امرأته. قال تعالى:
﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ كَأَنَّكَ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ [العنكبوت].

وصول الملائكة.

كان قوم لوط باستمرار يغتصبون ويعتدون جنسياً على من يقدم على مدينتهم، وقد حاولوا الاعتداء على ضيوف لوط **عليه السلام** (١) حين علموا بهم. إلا أنهم كانوا من الملائكة، فحماهم الله وعذب المعتدين. يقول تعالى:
﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ [الحجر].

توجيه الملائكة للوط **عليه السلام**، كما في قوله تعالى: ﴿ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ [الحجر].

محاولتهم الاعتداء على ضيوفه وإصرارهم على ذلك رغم نصحه لهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ [الحجر].

نهيهم عن الاعتداء على ضيوفه. كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ [الحجر].

إصرارهم على الإعتداء. قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ [الحجر].

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج/١، ١٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج/١، ١٨٠ - ١٨١.

كانوا يعملون السيئات بالآخرين اغتصاباً، مع توفر كل شيء من شهواتهم بين يديهم، ومع ذلك لم يتوقفوا عند حد معين في هذه الشهوة فصاروا يبحثون عنها فيمن يمتنع منهم ليعتدوا عليه ويغصبوه عرضه. ^(١) وقد وصفت تلك الأحداث في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَفْقَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ بِهِم بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود].

لم تكن جريمة الشذوذ وإتيان الفاحشة هي الجريمة الوحيدة عند قوم لوط، بل كان الاعتداء على الناس في أنفسهم وأموالهم من الجرائم الكبرى المنتشرة بين أهل سدوم، بالإضافة إلى منكرات أخرى، ^(٢) مما نهاهم عنه لوط **عليه السلام** في محاولاته لإصلاحهم بالإضافة لدعوته لهم إلى الإيمان وتخويفهم من عذاب الله وعقوبته، ومع ذلك أصروا على إتيان الجرائم المختلفة والكفر بالله ودعوا على أنفسهم بالعذاب، مع تحديدهم للقادر **عليه السلام** ونبيه. قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْتَكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت].

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج/١٥٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج/١٨٠/١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج/١٥١؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص/١٠٤؛ الشوكاني، فتح القدير، ج/٢٠١/٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تفسير سورة هود.

طمأنة لوط **عليه السلام**. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود].

حاول لوط **عليه السلام** أن يدلهم على ما عندهم من نساءهم زوجاتهم المباحة لهم. ^(١) قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود].

وهل يُظن أنهم باحثون عن الحق وهم جاءوا ليعتدوا على الضيوف. قال تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْت مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِن حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد **﴿٨٠﴾** [هود].

ولعل مما يفسر كلامه عن بناته ذكر الآيات لزوجاتهم. قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل].

(١) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ١٤٩.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يغفر الله للوط، إن كان لياوي إلى ركن شديد)) (١).

عقاب الله لقوم لوط.

استحق هؤلاء القوم عذاب الله الذي حل بهم واستهتروا به، وقد دخل في العذاب امرأة لوط، التي كان قلبها مع قومها، وذكر العلماء أنها هي التي خانته وأبلغتهم عن ضيوف لوط عليه السلام. (٢)

وقد كانوا كذابين ضالين. قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطًا بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ [القمر].

إنذارهم وإعراضهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ [القمر].

طمس الله أعين من حاول الاعتداء على ضيوف لوط عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ [القمر].

توجيه لوط عليه السلام للخروج بأهله وعدم الالتفات. قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْبِغْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الحجر].

قال تعالى: ﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر].

قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجر].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب فلما جاء آل لوط المرسلين، ج ٤/١٢٠.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه، ج ١/١٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٨٠.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ مِّنْضُودٍ ۝٨٢ مُسْوَمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾ [هود].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ۝٣٨ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ۝٣٩﴾ [القمر].

نوع عذابهم. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ لَّجِنَّهُم بِسَحْرِ ۝٣٤ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۝٣٥﴾ [القمر].

الجريمة الأخلاقية التي استوجب من أجلها قوم لوط ما حل بهم من عذاب هي من أكبر الجرائم والمعاصي التي توجب غضب الله، وهو الذي اشتد في النهي عنها، وهو الخالق والأعلم بما يصلح لخلقه. ومع الأسف الشديد أن كثيراً من المجتمعات الحديثة ذات النظم العلمانية اللادينية في أوروبا وأمريكا ومن سار على طريقتهم في التشريعات لا يرون بأساً بعمل قوم لوط، بل وأعطوا ترخيصات رسمية للأندية التي ينتمي لها الشاذون جنسياً. وأصبح بعض الزعماء يطمع في أصواتهم في الانتخابات، رغم ما دلت عليه الأبحاث العلمية الواضحة من التأكيد على إن الشذوذ الجنسي هو أهم أسباب انتشار مرض الأيدز وغيره في العالم، الذي يحصد ويقعد الملايين في أنحاء العالم. فأين المشرعون من البشر من هذه الحقائق؟! وأين الحريصون على الأمن الاجتماعي والصحي في الدول الحديثة التي تزعم الحضارة والسيادة على العالم من هذه الحقائق؟! وصدق رسول الله ﷺ فيما قال، حيث روى ابن ماجه: ((عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قوله ﷺ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم

الَّذِينَ مَضَوْا)) (١).

ولذلك تأتي أحكام الشريعة الإسلامية لمعالجة من يقع في الفاحشة عمومًا وفي الشذوذ خصوصًا، لتكون رادعة لمن يسبب الأمراض والأوبئة في المجتمع البشري من أمراض جسدية واجتماعية. وتتناقل صحف العالم الحديث عن مرض الأيدز وما يرتبط بذلك من مشاكل أسرية، زوجية وأبوية، واجتماعية، بل وجرائم قتل تكون في بعض الأحيان من بعض من أصيبوا بالأيدز عن طريق الآخرين، فيحاول الانتقام ممن تسبب له في الإصابة بالمرض. وتبارك الله الذي خلق الإنسان وشرع له ما يصلح له في حياته الدنيا، فقد خلق الإنسان وعلم كل أحواله وشرع له ما يقيم على الحياة السليمة في دنياه وما ينجيه في أخراه.

نجا لوط عليه السلام وهلكت امرأته المحبة للكفرة والموالية لهم معهم. قال تعالى:

﴿فَجَنَيْنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر].

سبق أن دعا الله ﷻ فأنجاه. قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ فَجَنَيْنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا مِنَّا الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل].

امرأة لوط مثال لمن ترك الحق وأهله ومال مع المشركين العصاة فهلك. (٢)

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَّرَأَتٍ نُوحٍ وَأُمَّرَأَاتٍ لُّوطٍ كَانَتَا تَحْتَ

(١) ابن ماجه، سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ج ٩/٤٠٠.

(٢) الطبري، قصص الأنبياء، ص ١٨٦ و ١٩٥؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢٠٦.

عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَتْهُمَا فَلَمْ يُعْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ [التحريريم].

قال تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات].

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. قيل: (لوط عليه السلام وابنتاه). (١)

إمطارهم بالحجارة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت].

وذكر العلماء أن مكان قري لوط هي بحر منتن، لا ينتفع بمائه، ولا حياة فيه ولا فيما حوله، وأشاروا إلى أنها أسفل البحر (الميت). (٢)

تهديد من الله لأمثال قوم لوط بمثل عذابهم. قال تعالى: ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود].

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٣، برقم: ١١٨٨٣.

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢١٢؛ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ١٤٧.

روي عن حذيفة: ((لما أرسلت الرسل إلى قوم لوط ليهلكوهم قيل لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث مرار، قال: وكان طريقهم على إبراهيم **عليه السلام**، قال: فأتوا إبراهيم، قال: فلما بشروه بما بشروه قال: فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرية يجادلنا في قوم لوط. قال: وكان مجادلته إياهم أنه قال: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها أربعون؟ قال: قالوا: لا، حتى انتهى إلى عشرة أو خمسة، فأتوا لوطاً وهو يعمل في أرض له، قال: فحسبهم بشراً، قال: فأقبل بهم خفياً حتى أمسى إلى أهله، قال: فمشوا معه فالتفت إليهم، قال: وما تدرون ما يصنع هؤلاء، قالوا: وما يصنعون؟ فقال: ما من الناس أحد هو أشر منهم، قال: فلبسوا آذانهم على ما قال: ومشوا معه، قال: ثم قال: مثل هذا، فأعاد عليهم مثل هذا ثلاث مرار، قال: فأنتهى بهم إلى أهله، قال: فانطلقت امرأته العجوز عجوز السوء إلى قومه، فقالت: لقد تضيف لوطاً الليلة رجلاً ما رأيت رجلاً قط أحسن منهم وجوهاً، ولا أطيب ريحاً منهم، قال: فأقبلوا يهرعون إليه فدافعوه الباب حتى كادوا يغلبونه عليه، قال: فأهوى ملك منهم بجناحه، قال: فصفقه دونهم، قال: وعلا لوط الباب وعلوا معه، قال: فجعل يخاطبهم: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون. فيضيفي أليس منكم رجل رشيد قال: فقالوا: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد. فقال: لو أن لي بكم قوة أو أوي إلى ركن شديد قال: قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك. قال: فذاك حين علم أنهم رسل الله، ثم قرأ إلى قوله. أليس الصبح بقريب؟ قال: وقال: ملك فأهوى بجناحه هكذا - يعني - شبه الضرب، فما غشيه أحد منهم، تلك الليلة إلا عمي، قال: فباتوا بشر ليلة عمياناً ينتظرون العذاب، قال: وسار بأهله حتى قال: استأذن جبريل في هلكتهم فأذن له فاحتمل الأرض التي كانوا عليها، قال: فأهوى بها حتى سمع أهل السماء الدنيا صفاء كلابهم، قال ثم

قلبها بهم، قال: فسمعت امرأته - يعني لوطاً **عليه السلام** - الوجبة وهي معه فالتفتت فأصابها العذاب، قال: وتتبع سفارهم بالحجارة) (١) - أي آثارهم -.

لا حسرة عليهم في زمرة المكذبين قبلهم. قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ ﴿١١﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [ق].

هلكتهم ومكانهم. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنكُمُ لَنُورُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْحِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَيْتِ الْأَقْلَامِ تَعْلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الصافات].

وفي تفصيلات روى الواقدي، قال: وبلغنا أن إبراهيم لما هاجر إلى أرضه ورد عن الشام، وأخرجوه منها طريداً فانطلق ومعه سارة، وقالت له: إني قد وهبت نفسي فأوحى الله إليه أن تتزوجها، فكان أول وحي أنزله عليه وآمن به لوط في رهط معه من قومه، وقال: إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم، فأخرجوه من أرض بابل إلى الأرض المقدسة حتى ورد حران، فأخرجوه منها حتى دفعوا إلى الأردن وفيها جبار من الجبارين، حتى قصمه الله، ثم إن إبراهيم رجع إلى الشام ومعه لوط فنبأ الله لوطاً وبعثه إلى المؤتفكات (٢) رسولاً وداعياً إلى الله وهي خمس مدائن أعظمها سدوم، ثم عمود، ثم أروم، ثم صعور،

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٣ - ٥٢٥، برقم: ١١٨٨٤.

(٢) المؤتفكات: منهم قوم لوط هلكوا بذنوبهم. وتعني العصاة المكذبين بالرسول.

ثم صابور. وكان أهل هذه المدائن أربعة آلاف ألف إنسان، فنزل لوط سدومًا، فلبث فيهم بضعة وعشرين سنة يأمرهم وينهاهم ويدعوهم إلى الله وإلى عبادته وترك ما هم عليه من الفواحش والخبائث. وكانت الضيافة مفترضة على لوط كما افترضت على إبراهيم وإسماعيل. فكان قومه لا يضيفون أحدًا. وكانوا يأتون الذكران من العالمين ويدعون النساء فيعيرهم الله بذلك على لسان نبيهم في القرآن، فقال: أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم. قال وهب: وذكر عبد الله بن عباس أن الذي حملهم على إتيان الرجال دون النساء أنهم كانت لهم بساتين وثمار في منازلهم وبساتين وثمار خارجة على ظهر الطريق، وأنهم أصابهم قحط شديد وجوع، فقال بعضهم لبعض: إن منعمت ثماركم هذه الظاهرة من أبناء السبيل كان لكم فيها معاش، فقالوا: كيف نمنعها فأقبل بعضهم على بعض، فقالوا: اجعلوا سنتكم فيها من وجدتموه في بلادكم غريبًا لا تعرفوه فاسلبوه وانكحوه واسحبوه، فإن الناس لا يظؤون بلادكم إذا فعلتم ذلك، فجاءهم إبليس على تلك الجبال في هيئة صبي وضيء أحلى صبي رآه الناس وأوسمه فعمدوه فنكحوه وسلبوه وسحبوه. ثم ذهب فكان لا يأتهم من الناس إلا فعلوا به فكان تلك سنتهم، حتى بعث الله إليهم لوطًا فنهاهم لوط عن ذلك وحذرهم العذاب واعتذر إليهم، فقال: يا قوم إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ..)).^(١)

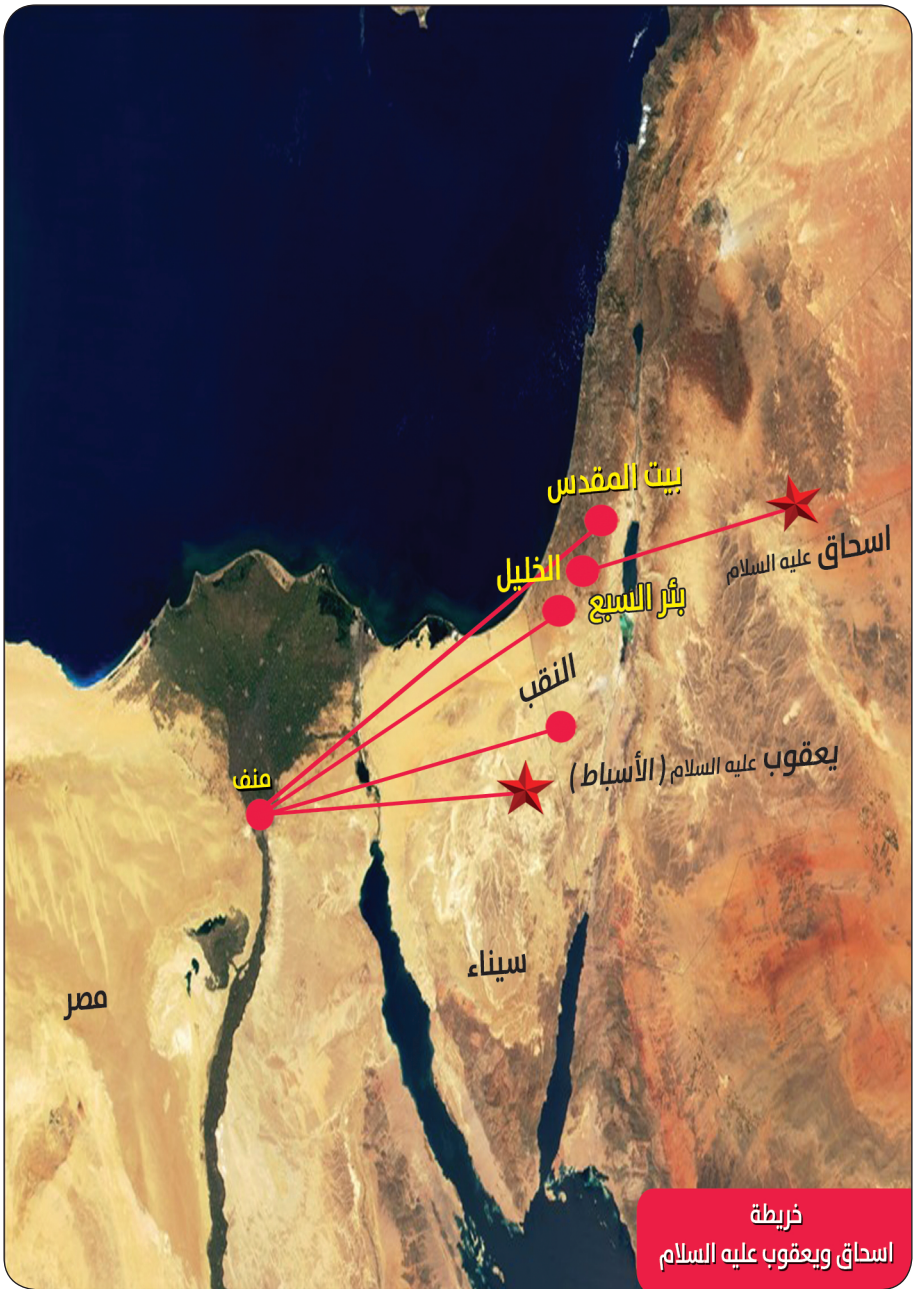
عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط وأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكان له ابنتان، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه أدرك فتيانًا على باب المدينة

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٦١٣/٢، برقم: ٤٠٥٨.

ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحهم، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلاً حتى قالوا: حل علينا فليضيف الرجال فجاءهم ولم يعلم أحداً إلا بيت أهل لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومه، قالت: إن في بيت لوط رجلاً ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاءه قومه يهرعون إليه، فلما أتوه قال لهم لوط: يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد؟ هؤلاء بناتي هن أطهر لكم مما تريدون، قالوا له: أو لم ننهك إن تضيف الرجال؟ قد علمت أن ما لنا في بناتك من حق، وإنك لتعلم ما نريد، فلما لم يقبلوا منه ما عرضه عليهم، قال: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد. يقول صلوات الله عليه: لو أن لي أنصاراً ينصروني عليكم أو عشيرة تمنعني منكم لحالت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيائي وما قال لوط: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد بسط حينئذ جبريل جناحيه ففقا أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً، يقولون: النجا النجا، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض فذلك قول الله ﷻ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم وقالوا: يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فاتبع آثار أهلك، يقول: وامضوا حيث تؤمرون فأخرجهم الله إلى الشام وقال لوط: أهلكوهم الساعة فقالوا: إنا لم نؤمر إلا بالصبح أليس الصبح بقريب؟ فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله عدا امرأته فذلك قول الله عز وجل: إلا آل لوط نجيناهم. (١)







خريطة اسحاق ويعقوب عليه السلام

إسحاق ويعقوب عليهما السلام

هو إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، الابن الثاني له، وأمّه سارة، نبي ابن نبي ورسول ووالد نبي وأحفاده أنبياء. وابنه يعقوب كلهم من الأنبياء عليهم السلام.

عاش في كنف والده في فلسطين في نواحي حَران وتزوج من أخواله فيها، وورث بأولاد منهم يعقوب وعيسو (عيسى).^(١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم هو إسرائيل عليه السلام.^(٢)

وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قصة إسحاق بن إبراهيم...^(٣)

وعند الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين: ذكر يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهم.^(٤)

البشارة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام

إبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ وَبِابْنِهِ يَعْقُوبَ.. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود].

فَإِسْحَاقَ عليه السلام هَبَّةً مِنَ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم].

(١) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢٠٨؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢٢٢.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٢، برقم: ٤٠٧٩.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قصة إسحاق ويعقوب، ج ٤/١١٩.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٢.

النبوة في إسحاق ويعقوب ﷺ. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُم مَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [٤٩] ﴿ [مريم].

صلاح الهبة. قال تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [٧٢] ﴿ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٢٧] ﴿ [العنكبوت].

عن ابن عباس رضي الله عنه، وبشرناه بإسحاق قال: بشرى نبوة بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ... (١)

قال تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٨٤] ﴿ [الأنعام].

البركة على إبراهيم وعلى إسحاق ﷺ. قال تعالى: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [١١٣] ﴿ [الصفات].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كانت سارة بنت تسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة وعشرين سنة، فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري بإسحاق، وأمن ممن كان يخافه، قال: الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء، فجاء جبريل عليه السلام إلى سارة بالبشري، فقال: أبشري بولد يقال له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قال: فضربت جبهتها عجباً فذلك قوله تعالى، فصكت وجهها وقالت: أألد وأنا عجوز وهذا بعلي

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٠٧، برقم: ٤٠٤٤.

شيخاً إن هذا لشيء عجيب، قالوا: أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ..). (١)

صفات إسحاق عليه السلام.

عن كعب الأخبار قال: كان إسحاق بن إبراهيم الذي جعله الله نوراً وضياء وقرّة عين لوالديه، فكان من أحسن الناس وجهاً وأكثره جمالاً وأحسنه منطقالاً، فكان أبيض جعد الرأس واللحية مشبهاً بإبراهيم خلقاً وخلقالاً، وولد لإسحاق يعقوب وعيص فكان يعقوب أحسنهما وأنطقهما وأكثرهما جمالاً وظرفاً، وكان عيص كثير شعر الرأس والجسد والوجه وكان يسكن الروم. (٢)

وعن أخلاق إسحاق ويعقوب روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)). (٣)

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((قال نبي الله داود: يا رب، أسمع الناس يقولون: رب إسحاق قال: إن إسحاق جاد لي بنفسه)). (٤)

نعم الله على إسحاق ويعقوب عليهما السلام.

وفي تذكير يوسف عليه السلام بتمام نعمة الله على آل يعقوب وهو منهم. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ ۚ وَإِتَّقِ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٠٦ - ٦٠٧، برقم: ٤٠٤٢.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٠٧، برقم: ٤٠٤٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت...)، ج ٤/١١٩ - ١٢٠.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٠٦، برقم: ٤٠٤١.

قال تعالى: ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۖ﴾ [مريم].

أمة محمد ﷺ آمنت بما أنزل على إسحاق ويعقوب من وحي الله ﷻ. قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۖ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۖ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ﴾ [النساء].

حرص يعقوب ﷺ على سلامة أبنائه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ﴾ [يوسف].

والأسباط هم أبناء يعقوب، وعرفوا ببني إسرائيل. وإسرائيل هو يعقوب وتعني عبد الرب.

وأما الأسباط فهم: يوسف وبنيامين وروبييل ويهوذا وشمعون ولاوي ودان وفهات، فكانوا اثني عشر رجلاً نشر الله منهم اثني عشر سبطاً لا يعلم أنسابهم إلا الله ﷻ. قال الله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۖ﴾ [الأعراف: من الآية ١٦٠].^(١)

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٢، برقم: ٤٠٨٠.

ومنهم تسلسلت قبائل بني إسرائيل الذين عرفوا زمن موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا وَأُوحِيَ نَا إِلَى مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ ۗ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف]

ومنهم تسلسلت تلك القبائل. ولعل أشهرهم يوسف بن يعقوب الذي سميت باسمه سورة من سور القرآن الكريم، وقصته مفصلة في تلك السورة، وله موضوع مستقل بإذن الله.

عن أنس رضي الله عنه رفعه قال: إن رجلاً قال ليعقوب: ما الذي أذهب بصرك وحنى ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي حنى ظهري فالحزن على أخيه بنيامين. قال: فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب أتشكو الله؟ قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. فقال له جبريل: الله أعلم بما قلت منك، ثم انطلق جبريل ودخل يعقوب بيته فقال: أي رب أذهبت بصري وحنيت ظهري فأردد علي ريجانتي أشمهما شمة، ثم اصنع بي بعد ما شئت. فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول: أبشر فإنهما لو كانا ميتين لنشرتهما لك، ولأقررت بهما عينك، ويقول لك: يا يعقوب أتدري لم أذهبت بصرك، وحنيت ظهرك؟ ولم فعل إخوة يوسف ما فعلوا؟ قال: لا قال: لأنه أتاك يتيم مسكين وهو صائم جائع، وقد ذبحت أنت وأهلك شاة، فأكلتموها ولم تطعموه. ويقول: إني لم أحب من خلقي شيئاً حبي اليتامى والمساكين. قال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكان يعقوب عليه السلام كلما أمسى نادى مناديه: من

كان صائماً فليحضر طعام يعقوب، فإذا أصبح نادى مناديه: من كان مفطراً فليحضر طعام يعقوب. (١)

براءة إسحاق ويعقوب ﷺ من اليهودية.

فهم أسبق منها. قال تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة].

وفاة يعقوب ﷺ.

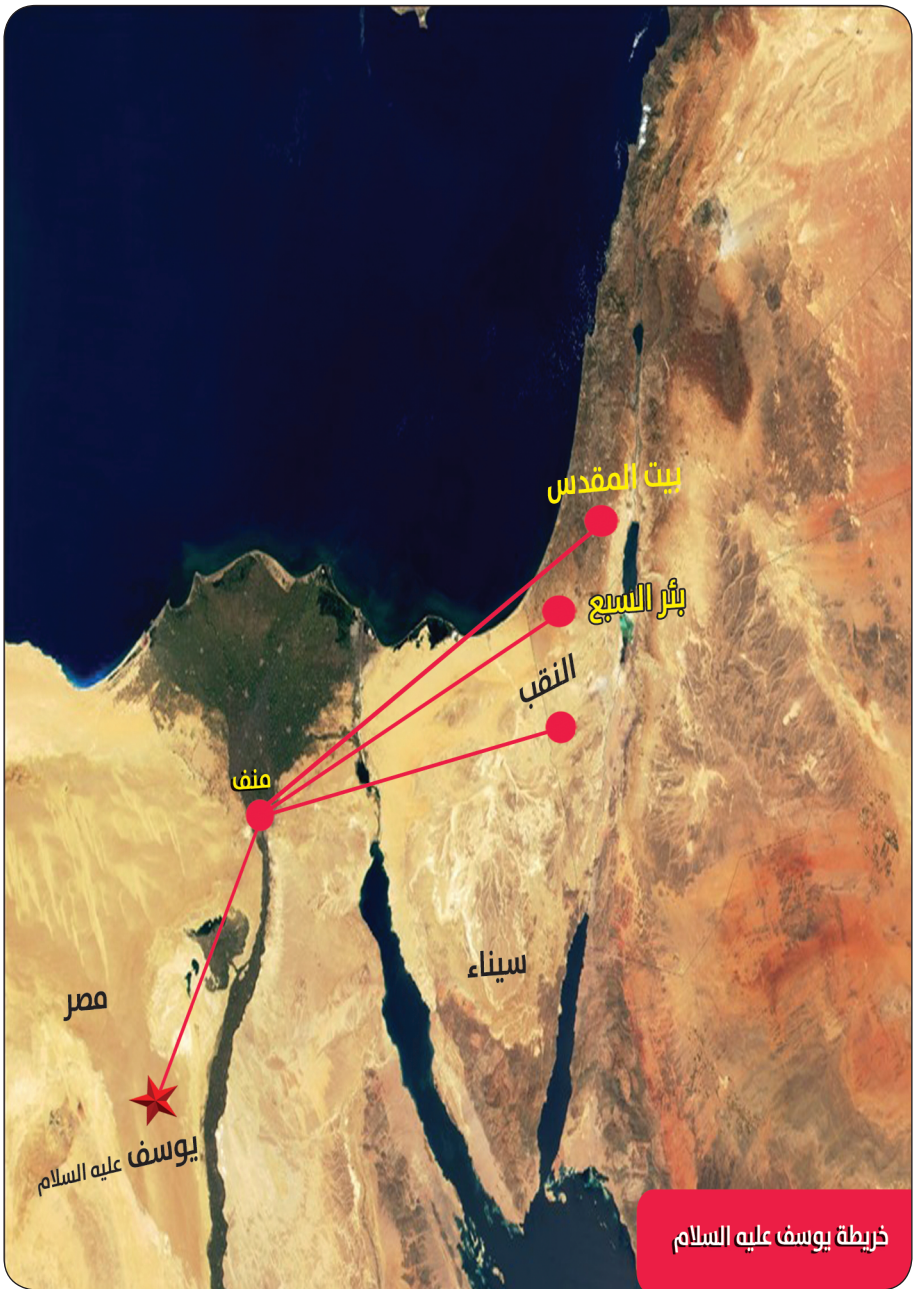
وصية يعقوب ﷺ عند موته ووصيته لأولاده. قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (٢)



(١) انظر: ابن حجر، المطالب العلية، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يعقوب ويوسف، ج ١٤/٢٥٢٥ - ٢٥٢٣.
 (٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ...﴾، ج ٤/١١٩.





يوسف عليه السلام

تُعدُّ قصة يوسف عليه السلام من أعجب القصص وأكثرها تشويقاً وتفصيلاً في القرآن الكريم، كما تُعدُّ مراحلها من أكثر المراحل وضوحاً. وقراءة ما ورد في سورة يوسف تغني عن التفسير. (١)

نسبه وفضله عليه السلام.

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام سميت باسمه سورة في القرآن الكريم.

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (٢)

وعند مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام. (٣)
وعند الحافظ ابن حجر في المطالب العالية، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يعقوب ويوسف. (٤)

(١) انظر: عبد الرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٧٩؛ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤/ ١٩٥٠؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١١١.

وردت قصة يوسف في أسفار العهد القديم، وبسبب تحريف أسفارهم فإن القصة جاءت مختلفة في الجوهر عما ورد في القرآن الكريم، انظر: سفر التكوين، الإصحاح، ص ٣٩ - ٥٠؛ وانظر: مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم (١)، ص ٧١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، ج ٤/ ١٢١.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، ج ٧/ ١٠٣.

(٤) انظر: ابن حجر، المطالب العالية، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يعقوب ويوسف، ج ١٤/ ٢٤٥.

عند الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين: ذكر يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما. (١)

في المصنف لابن أبي شيبة: ما ذكر في يوسف عليه السلام. (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس قال: أتقاهم لله قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)). (٣)

روي أن الله أعطى يوسف الحسن والجمال والنور والبهاء الذي نزع من آدم حين أصاب الذنب، وذلك أن الله أحب أن يري العباد أنه قادر على ما يشاء وأعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه أحداً من الناس، ثم أعطاه الله العلم بتأويل الرؤيا... (٤)

زمن يوسف عليه السلام ومكانه.

جاء وبعده يعقوب عليه السلام قرابة سنة (١٨٠٠) ق. م. (٥)

عاش في النقب نواحي فلسطين، وفي مصر.

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٥، برقم: ١١٩٧٠.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٤، برقم: ٢٠٥٨.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، ج ٤/١٢٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، ج ٧/١٠٢.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج ٢/٦٢٥، برقم: ٤٠٩٢.

(٥) انظر: سامي المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسول ص ٥٢: العهد الجديد، (تاريخ أحداث الكتاب المقدس)، ص ٤١٩؛ محمد عزة دروزة، تاريخ بن إسرائيل من أسفارهم، ص ٦٥.

قصته أحسن القصص. كما قال تعالى: ﴿الرَّتِلَآءِ أَيَّتُ الْكِتَابِ الْمُمِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

كان ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام اثنا عشر ولداً، وترتيب يوسف بينهم الحادي عشر. ^(١) وكان أحبهم لأبيه؛ لما اتصف به من خلق حسن ولباقة وسرعة استجابة لأبيه، بالإضافة لجماله ^(٢) وخفة نفسه وورعه وتقواه منذ الصغر. ^(٣) كان يعقوب عليه السلام عاجزاً عن إخفاء مشاعره تجاه يوسف؛ مما جعله يخشى عليه من إخوته، وخصوصاً بعد رؤيا رآها يوسف نفسه، وهي الأولى من عدة رؤى.

الرؤيا الأولى.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف].

نصيحة يعقوب ليوسف عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف].

كان إخوته يغارون منه ويحسدونه رغم صلاحهم، وبالتالي دفعهم الحسد للجريمة والاعتداء على يوسف. ومن الملاحظ أن الحسد يوجد بين الأخيار كما

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج١/١٧٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/١٩٧.

(٢) الطبري، تاريخه، ج١/١٦٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج١/١٣٧.

(٣) صيغت قصة يوسف وما جرى فيها شعراً في دواوين مختلفة قديمة وحديثة منها ما كتبه الحمزة دعبس في ملحمة شعرية بعنوان: (أكرم الناس).

يوجد بين الأشرار، وإن كان صفة ذميمة إلا أن وقوعها في قلب الإنسان وارد مهما كان خيراً.

ومن خلال الأحداث والعلاقة بين يوسف وإخوته، يُعد الحسد دافعاً للسوء، رغم صلاحهم وتبويتهم للتوبة بعد الجريمة. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّالِفِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ اللَّهِ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف].

تأمر إخوة يوسف ﷺ عليه.

عقدوا اجتماعاً خاصاً بينهم؛ ليخططوا للتخلص منه، إلا أن أحدهم بأمر الله تعالى كان أرحم بيوسف منهم، فاقترح عليهم ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف].

وأخذوا يرتبون للجريمة مقدماتها، مع أن يعقوب ﷺ كان حريصاً على يوسف وسلامته، لا يخرجهم مع إخوته لخوفه عليه منهم، لما يراه من حسدهم له وإمكانية اعتدائهم عليه. (١)

بدأوا التنفيذ بإقناع يعقوب ﷺ بالسماح ليوسف بالذهاب معهم للعب، وبدءوا بهجوم أدبي على يعقوب ﷺ حتى يقف موقف المدافع. يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَاغِدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف].

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/ ١٧١.

لم يرغب يعقوب عليه السلام أن يظهر خوفه على يوسف منهم، لكنه أرجع خوفه عليه من الذئب، وقد لقنهم عذراً ربما لم يفكروا فيه، ولذا لجأوا إليه بسرعة وهو أكل الذئب له، وهذا يعني أمراً خارجاً عن إرادتهم، وفي المقابل حاول يعقوب عليه السلام أن يظهر الأمان من جانبهم. يقول تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٣].

تأكيدهم الحرص عليه. تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴾ [يوسف: ١٤].

انفرد إخوة يوسف به وتهيأت لهم كل الظروف لإتمام ما خططوا له، (١) فطمأنه عليه السلام وثبته في هذا الموقف العصيب، مع تعرضه للأذى والإهانة قبل إلقائه في الحب (البئر). (٢)

يوسف في البئر.

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٥]. أتم أولئك جريمتهم ورموا أخاهم في البئر.

ورغم خطأهم فقد بدأوا بمحاولة تبرئة أنفسهم والتظاهر بالبراءة، وصنع الأدلة المختلفة للفرار من المسؤولية وتعمية الحقيقة على يعقوب عليه السلام والصاقها بالذئب. يقول تعالى: ﴿ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦] قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [يوسف: ١٨].

(١) الطبري، تاريخه، ج ١٧١/١؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١١٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٣٩/١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٠١/١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١٧١/١؛ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٠٠/١.

روي عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك أنها قالت: ((والله لئن حلفت لا تصدقوني، ولئن اعتذرت لا تعذروني، فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه، فالله المستعان على ما تصفون، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم، فأُنزل الله ما أنزل، فأخبرها فقالت: بحمد الله لا بحمد أحد)). (١)

بقي يوسف في البئر حتى أخذ من قبل إحدى القوافل، فرحين به وباعوه، واشتراه عزيز مصر (٢) (كبير الوزراء).

بيعه في السوق المصرية. يقول تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ اللَّهِ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرُّهُ بِشْمٌ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف].

في بيت العزيز.

حسن الظن بيوسف عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

عاش يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر، وكان شخصاً محبوباً خلوقاً، خفيف النفس، جميل الحيا، وبالتالي، من يراه في بيت العزيز يعجب به أيما إعجاب.

أتاه الله الحكم والعلم حين بلغ أشده. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، ج ٤/١٢٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/١٧٣؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٣٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٠٢. مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم (١)، ص ٧٢.

كان يوسف أجمل أهل زمانه. روي عن مجاهد. قال: قسم الحسن نصفين فأعطي يوسف وأمه نصف حسن الخلق، وسائر الخلق نصفاً. (١)

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((أعطي يوسف وأمه شطر الحسن)) . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. (٢)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثالثة، قال: ((رأيت رجلاً رجلاً صورته كصورة القمر ليلة البدر، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف)) . قال ابن إسحاق: وكان الله قد أعطى يوسف من الحسن والهيبة ما لم يعطه أحداً من العالمين قبله، ولا بعده حتى كان يقال: والله أعلم إنه أعطي نصف الحسن وقسم النصف الآخر بين الناس. (٣)

أبتلي يوسف بإعجاب زائد من امرأة العزيز التي عشقته وهامت به، (٤) وبالتالي، أصبح يوسف عليه السلام هدفاً لجريمة أخرى، لكن دوافعها في هذه المرة عكس دوافع الجريمة الأولى، فالأولى دافعها الكره والحسد، أما هذه الجريمة فدافعها العشق الذي وصل لحد الهيام والغرام، مما دفعها لمحاولة إغرائه بالوقوع في الزنا. وخيانة الله صلى الله عليه وسلم وخيانة عرض صاحب البيت الذي استأمنه على أهله. فهيات نفسها وأقفلت الأبواب عليه. فاستعاذ بالله.

قال تعالى: ﴿رَزَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ. وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف].

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٤ - ٥٦٥، برقم: ١١٩٦٧.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٢.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٣، برقم: ٤٠٨٣.

(٤) انظر: حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٤٤.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖءَ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهٗ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

لا يفهم من ذلك نيته عمل الفاحشة، بل فيه تأكيد على أن الله عصمه، كما يقال فلان غرق لولا أن فلان انتشله، وهذا يعني أنه لم يغرق واللغة واسعة. وقد فرَّ منها يوسف رافضاً الفاحشة، رغم كل المغريات؛ فهي امرأة جميلة، أظهرت مفاتيحها وخلَّت به وراء الأبواب المغلقة، وأياسته من الفرار منها، ومع ذلك كان فازراً بدينه وتقواه، متجهاً إلى الباب للهروب.

يقول تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف].

لقد كانت المفاجأة أن صاحب الدار عند الباب، وشاهد السباق على الباب^(١) ولم يكن المشهد كاملاً وواضحاً بالنسبة له. ولذلك كانت فرصة المرأة بأن تلقي بالجريمة على البريء وتبرئ نفسها، لكن يوسف دافع عن نفسه.

يقول تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: من الآية ٢٦].

التحقيق والشاهد.

جاء كلام الشاهد ليذكر صاحب البيت، وهو القاضي في هذا الموقف، بمن وراء الخطأ. قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يوسف].

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/١٧٣؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٢١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٠٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج ١/٢٥.

وجاء الحكم بعد اتضاح القرينة وتفحص القميص، حيث تبين أن المرأة هي التي حاولت الاعتداء على يوسف، وأنه بريء رغم تظاهر امرأة العزيز بأنها ضحية. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) [يوسف].

كانت القرينة والدليل تبرئة ليوسف **عليه السلام**. (١)

براءة يوسف **عليه السلام**.

جاء التوجيه من العزيز إلى يوسف بأن لا يتحدث بهذا الموضوع وأن يُعرض عنه، وأن تحس امرأة العزيز بذنبها وتدرك خطأها وتستغفر. يقول تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (٢٩) [يوسف].

ظهرت براءة يوسف **عليه السلام** وأتضح الأمر، إلا أن امرأة العزيز كانت تحت دوافع قوية من العشق والهوى ليوسف؛ لما تعرفه من صفاته الجمالية. سرت الأخبار بذلك، وما أن سمعت بحديث النساء عنها حتى أرادت أن تُعرض تلك النسوة لما تعرّضت له من عشق وهوى أعماها عن كل شيء، حتى تبرر سلوكها وافتتانها بيوسف واعتدائها عليه.

وبالتالي حاولت إغواء النساء بالوقوع معها في عشق يوسف، وهو الدافع الذي دفعها للاعتداء عليه، ومحاولة إغوائه والضغط عليه، وبالتالي تحقق تبرير موقفها. وبدلاً من أن يكون يوسف مستهدفاً من امرأة واحدة، أصبح مستهدفاً من مجموعة من النساء، (٢) وضحية متوقعة لهذه المجموعة. يقول

(١) عبدالرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٨٧.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/١٧٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٠٥.

تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ [يوسف].

واستمرت المؤامرة على يوسف **عليه السلام**. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [يوسف].

إصرارها على الاعتداء على يوسف. قال تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكْسِبَنَّ وَيَكُونَنَّ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يوسف].

كانت تهدد يوسف **عليه السلام**، فكان أمام شرين إما الوقوع في الجريمة والفاحشة، وإما السجن ظلماً. ولذلك اختار **عليه السلام** السجن على الجريمة والفاحشة، حيث كان مهدداً بمجتمع فيه خصوم كثيرة من النساء المغريات بالغواية، والداعيات المتمكنات في المجتمع. يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ فاستجاب له ربه، فصرف عنه كيدهنَّ، إنه هو السميع العليم ﴿٣٤﴾ [يوسف].

في السجن.

اتضح براءة يوسف **عليه السلام**، ورأى العزيز وغيره من الآيات والعلامات ما يؤكد لهم أنه ضحية، فحكموا عليه بالسجن ظلماً. يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ، حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٣٥﴾ [يوسف].

كانت حياة يوسف في السجن مليئة بالأحداث، فقد كان معه بعض السجناء والمتهمين، الذين لم تصدر أحكام في قضاياهم بعد، وكل منهم يتوقع حكماً

معينًا بالقتل أو الإفراج، وكان منهم متهمان من حاشية ملك مصر في تلك الفترة،^(١) انشغلت أذهانهما فيما سيصدر عليهما من حكم حيث لم يتم البت في قضيتهما بعد، ويتحدث القرآن عن هؤلاء في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا بِأُوبَيْلِهِ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف].

وعد بتفسير أحلامهما بعد أن ذكرهما بالدين والملة. قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتَكُمَا بِأُوبَيْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف].

دعوته للتوحيد.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [٣٨] يَصْحَجِي السِّجْنَ آذَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ [٣٩] مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [٤٠]﴾ [يوسف].

تفسيره لرؤياهما. قال تعالى: ﴿يَصْحَجِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [٤١]﴾ [يوسف].

يوسف عليه السلام يحس بالظلم، وأنه سجن رغم براءته. ولذلك حاول أن يوسط الذي توقع أن يحكم له بالبراءة وسيعود للعمل في خدمة الملك ليحدث الملك عن

(١) الطبري، تاريخه، ج١/١٧٦؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٢٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج١/١٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٠٦؛ حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص٤٦.

مظلمة يوسف عليه السلام؛^(١) ليعاد النظر في قضيته؛ لتتضح براءته وتطلق حريته، ويخرج من سجنه. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف].

لقد نسي الموصى وطالت المدة على يوسف عليه السلام.

كان السجن صعباً على يوسف عليه السلام، ولذلك فقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الصعوبة في قوله: ((إِنْ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يَوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يَوْسُفٌ، ثُمَّ جَاءَنِي الرَّسُولُ أَجَبْتُ، ثُمَّ قَرَأْتُ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ))^(٢).

الخروج من السجن.

حدثت قصة ذكرت صاحب يوسف في السجن بيوسف عليه السلام، وتمثلت في رؤيا الملك التي لم يتمكن أتباعه من تفسيرها. وكان صاحب يوسف على قنطرة بقدرة يوسف على تفسيرها.^(٣) يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثَ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يوسف].

(١) الطبري، تاريخه، ج ٢٠٧/١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٤٥/١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٠٧/١.
 (٢) الترمذي، سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة يوسف، ج ٢٩٢/٥، برقم: ٢١١٦؛ وانظر: البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، ج ١٢٢/٤.
 (٣) الطبري، تاريخه، ج ١٧٦/١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٤٥/١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٠٨/١.

الأمر شغل الملك وملأه، وبالتالي أصبحت قضية عامة تشغل الناس في مملكته. ورغم أن يوسف عليه السلام سجن ظلماً وأوذى واتهم زوراً، إلا أنه كان على استعداد للعطاء والنصح في وقت أوذى فيه وسجن، ففسر لهم الرؤيا وهي مرتبطة بالمستقبل، وفي الوقت نفسه أعطاهم إرشادات إدارية للتغلب على المشكلات القادمة والمتوقعة. يقول تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف].

لقد فسر يوسف حال الاقتصاد والجفاف القادمة على مصر، ثم حال الرخاء، ومجموع سنين تلك الحوادث المستقبلية سبع سنوات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)). (١)

أحس الملك أن تفسير يوسف عليه السلام صادق، وأنه رغم كونه في السجن بادر بالمساعدة وتقديم النصح، رغم ما تعرض له من أذى، مما دفع الملك للإعجاب به، ولم يره بعد.

فدعا لإحضار يوسف من السجن والعضو عنه. كان يوسف عليه السلام حريصاً على إظهار براءته، وألا يكون خروجه دون رد اعتبار، مع إيضاح موقف النساء اللواتي اتهمنه. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [يوسف].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، ج ٤/١٢٢.

دفع هذا الموقف ملك مصر إلى مزيد من الإعجاب بيوسف، وبالتالي دعا النساء ذوات العلاقة بقضية يوسف **عليه السلام** للمثول بين يديه، وأعاد بنفسه النظر في القضية، وطرح على النساء أسئلة جاءت الإجابة عليها لصالح يوسف وقضيته التي أعيد النظر فيها بعد بضع سنين، وحصل اعتراف جماعي من النساء المتآمرات على يوسف، بالإضافة للاعتراف الخاص من امرأة العزيز، وهي المذنبه الأولى في الجريمة الأولى، وفيما تتبعها من مؤامرات النساء. (١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْنَكَ بِيُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتُ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمْتَنِي إِنْ رَّبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف].

اتضحت براءة يوسف أمام الملك وحاشيته، وعلم الناس بهذه البراءة. وزاد إعجاب الملك بيوسف، ومكن الله له ليصبح من كبار موظفي الدولة، وممن يقيمون العدل فيها في حضرة الملك. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف].

مكن الله ليوسف المظلوم، وأعزه الله بعد ذله ومكن له في أرض مصر، بعد أن كان رقيقاً يباع ويشترى، وسجيناً محبوساً. يقول تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف].

حدثت المجاعة المتوقعة في مصر وما حولها، وامتدت آثارها لتشمل البوادي القريبة منها، وخصوصاً بادية فلسطين في المنطقة الغربية منها، نواحي

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/١٧٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٠٩.

صحراء النقب القريبة إلى مصر، التي كان يقيم فيها يعقوب وأبناؤه، إخوة يوسف عليه السلام. (١)

وكان لا بُدَّ لهم من الريف وتموين مناطق الزراعة.

إخوة يوسف عليه السلام في حضرته.

كان إخوة يوسف مع والدهم يعيشون في البدو في النقب، وبالتالي شاء الله أن يأتي بإخوة يوسف الذين سبق إن اعتدوا عليه وآذوه، ليكونوا في حاجته.

كان في موقع المسؤولية عن أمور كثيرة في مصر، في مقدمتها التموين والطعام وما يتصل به من توزيع أو بيع، ويظهر أن من عادة يوسف أن يتلثم لشدة جماله وحسنه، وبالتالي، كان كثير ممن يراه لا يعرفه، وهذا ما حصل لإخوة يوسف حينما قابلوه في مصر. يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨) [يوسف].

الطعام كان يصرف بعدد الأشخاص، وبالتالي فعمل إخوة يوسف حدثوه عن أخيهم الأصغر بنيامين، وبالتالي وجدها فرصة مناسبة أن يطلب منهم إحضار أخيهم الذي ذكروه وتحدثوا عنه، ولولا حديثهم عنه لما طلب منهم هذا، إذ لم يكونوا يعرفون هوية يوسف حين تلك المقابلة، ولم يكن ليظهر لهم معرفة أخيهم دون سبب، ولعل هذا من استغلاله عليه السلام للحديث الصادر من إخوته. (٢)

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَخْ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ اللَّاتِرُونَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٥٩) فَإِنَّ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَتَرِدُ عَنْهُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) [يوسف].

(١) لتحديد هذه المواقع انظر: الطبري، تاريخه، ج ١/١٧٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٥٥؛ مهرا، دراسات تاريخية في القرآن (١)، بلاد العرب، ص ٨٠؛ كينيث كانتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٩٥.

(٢) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢١١.

حاول يوسف أن يعطي إخوته شيئاً من الأمان والاطمئنان، ليغريهم بالقدوم مرة أخرى وإحضار أخيه معهم، ليعرف أخبار أبيه وأهله، وبالتالي، أعاد نقودهم التي جاءوا بها إلى رحالهم. ^(١) يقول تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعْتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف].

نجح يوسف في إعادة إخوته لمصر مرة أخرى، مع أخيه الشقيق. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف].

كان الخوف يراود يعقوب على ابنه الصغير، ^(٢) وحينها تذكر ما حدث لابنه يوسف، وعلاقة بقية الأبناء باختفائه، وبالتالي لم يأمن على الصغير منهم. يقول تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَعْتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ [يوسف].

حاول يعقوب منع أبنائه من ارتكاب الجريمة في حق أخيه الأصغر، وبالتالي، أخذ عليهم العهود والمواثيق، ^(٣) في محاولة منه لتحريك الوازع الديني لمنع وقوع الجريمة، وهذا الوازع من أهم موانع الجريمة. يقول تعالى:

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف].

(١) الطبري، تاريخه، ج/١٧٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج/٢١٣.

(٣) الطبري، تاريخه، ج/١٨٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج/١٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج/٢١٢.

من الواضح حرص يعقوب على كافة أبنائه، وبالتالي حاول أن يوصيهم بما يرى فيه نفعاً لهم جميعاً. وفي هذا تذكير لهم بمحبة أبيهم لهم، وأنه وإن كان حريصاً على الصغير وخائفاً عليه فإنه في الوقت نفسه حريص عليهم جميعاً وعلى ما ينفعهم، فهو يخشى عليهم من الحسد وغيره. ولعل من ذلك أنه يخشى عليهم من التجنيد أو العبودية. وفي تحريك هذا الشعور عند أبنائه تحريك لعوامل مختلفة تساعد في منع الجريمة التي كان يخشى وقوعها على الصغير. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لَمَّا عَلَّمَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف].

كان الأخ الأصغر ليوسف **العلية** بريئاً، ولذلك حاول أن ينفرد به يوسف على حدة ليكون عوناً له، ويعرف منه أخبار أهله، وليكون أمناً من الأذى الذي قد يصيبه من الآخرين. يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخِيهِ قَالَ إِنَّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف].

منذ أن خلا يوسف بأخيه بنيامين خطط لإبقائه معه وعزله عن بقية الإخوة بحيلة تنطلي عليهم، دون أن يكون فيها ضرر على الأخ الأصغر، وذلك بترتيب مسبق مع بنيامين كما يظهر من القصة. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِفُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَقَبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يوسف].

هناك تحديد واضح لتطبيق عقوبة ما في حق السارق من قبل الدولة، والمتهمون هم إخوة يوسف **عليه السلام**، ولذلك استوثق منهم الموظفون بشأن العقوبة التي ستقع على السارق إن كان منهم، فأجابوا بما يفيد استحقاق المخطئ بالسرقة للعقوبة. قال تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ﴾ (٧٤) ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٥) [يوسف].

لقد كان المفتشون على علم بوجود الصاع في متاع الابن الأصغر، وهم يعلمون بذلك، لكن المفتشين أرادوا أن يكون الأمر طبيعياً حتى لا يشعر الإخوة، فكان التفتيش في البداية بعيداً عن الموضوع الحقيقي. يقول الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) [يوسف].

سارع الإخوة باتهام أخيهم بنيامين رغم براءته، وأنها حركة قام بها يوسف بمعرفة أخيه بنيامين.

وفي هذا مؤشر على سرعة اتهامهم له، وتجاوزوا ذلك إلى يوسف **عليه السلام**، مع أنه هو المظلوم على أيديهم وهم أعلم الناس بذلك. وسمع يوسف ما يمسه شخصياً وهو في موضع الحكم والقدرة عليهم، ومع ذلك فقد كتم غيظه ولم يتصرف معهم بما يكشف هويته، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧) [يوسف].

حاول إخوة يوسف أن يقع الحجز والعقوبة على أحدهم بدلاً من أخيهم، (١)

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/١٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢١٤.

حيث إن أباهم قد أخذ عليهم المواثيق أن يأتوا بأخيهم. ولم يكن هذا لاثقاً ولا مقبولاً في أي نظام جنائي عبر التاريخ والعالم، فالمتهم أو المخطئ في حال وجوده هو المسؤول عما يتصل بجريمته ولا يقع ما يتبعها من تحقيق أو عقوبة على غيره. قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف].

لقد كان يوسف عليه السلام دقيقاً في رده عليهم، حيث لم يؤكد وقوع السرقة من أخيه، بل عرض بذلك وفي كلامه ما يقنع إخوته دون أن يكذب. ^(١) يقول تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عَنْدَهُ؛ إِنَّا إِذَا نَظَلِمُوكَ ﴾ [يوسف].

تحرك في نفس الأكبر من الإخوة وازع الخير، وتذكر المواثيق التي أعطوها لأبيهم، ^(٢) وما ينبغي أن تكون حالهم عليه في فقد أخيهم. وبدأ يذكرهم بفعلهم السابق مع يوسف عليه السلام، ويأمرهم أن يكونوا دقيقين في الشهادة ضد أخيهم الأصغر، حيث إنهم لم يروه يسرق، وإنما علموا ذلك من خلال ما جرى من أحداث قد يكون الأخ بريئاً فيها. كما أوضح من خلال حديثه معهم أنهم في القضية الأولى فرطوا ولم يكونوا معذورين، وأنهم في هذه القضية معذورين، لكن من الصعب الوثوق بحديثهم لأنهم سبق لهم الكذب، ولذلك يريد منهم أن يدعوا الأب ليسأل الآخرين. يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يوسف].

(١) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٢٣؛ عبدالرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٩٢.
(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/١٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢١٤.

كان الواقع صعباً على يعقوب عليه السلام؛ حيث فقد ابنه الأول يوسف عليه السلام، وهاهو يفقد الابن الثاني بنيامين،^(١) ولذلك فإنه اتهم الأبناء؛ لأن لهم سابقة. يقول تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف].

حزن يعقوب عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [٨٤] قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتَوُوا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ [٨٥] قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف].

ثم إن يعقوب عليه السلام أمر أبناءه بمتابعة قضية أخويهما يوسف وبنيامين.^(٢) يقول تعالى: ﴿ يَبْنِي أَدْهُبُوا فَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف].

كشف يوسف عليه السلام عن نفسه.

حدث لقاء جديد هو الثالث بين يوسف عليه السلام وإخوته، وكانوا لا يعرفونه في بداية اللقاء، لكنه كان يعرفهم، وهكذا قد ينسى الجاني، لكن المجني عليه لا ينسى مهما بعد الزمن.

نصر الله يوسف عليهم، فجاءوا وهم بحاجة للمرة الثالثة، وهو غني عنهم. كان يستطيع أن يفعل بهم ما يشاء بحكم قوته ومنصبه، لكنه كان بهم رحيماً رغم قسوتهم عليه. كانت الظروف مواتية ليكشف لهم هويته،

(١) الطبري، تاريخه، ج/١، ١٨٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج/١، ١٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج/١، ٢١٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج/١، ١٨٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج/١، ١٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج/١، ٢١٥.

فكان درسًا مهمًا وهو أن الله ينصر المظلوم ويؤثره على ظالمه. يقول تعالى:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَاؤْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أءِ تَأْتِكُ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف].

أقر الإخوة بخطأهم، ورأوا بأنفسهم كيف كانت العاقبة له، فقد أعزه الله واحتاجوا إليه. (١) ومع حاجتهم له، وقدرته على الانتقام منهم، إلا أنه قابل ذلك بالعبو والمغفرة والدعاء. يقول تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف].

شفاء يعقوب عليه السلام.

ثم إن يوسف عليه السلام أرسلهم بعلاج ومؤنة لأبيه، وطلب منهم أن يحضروه مع أهلهم إلى مصر.

يظهر أن هناك أنظمة لإقامة الأجانب في الدولة المصرية في تلك الفترة، ولذلك فإن يوسف أعد لهم ما يلزم من إجراءات لدخولهم مصر آمنين. (٢) يقول تعالى: ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِئِدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْكَبِيرِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [يوسف].

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/١٨٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢١٦.

(٢) محمد عبد السلام محمد، بنو إسرائيل في القرآن، ص ١٥٤.

أدرك الإخوة خطأهم وتابوا إلى الله، وطلبوا من أبيهم العفو عنهم،^(١) وأحسوا بجاحتهم للدعاء والاستغفار. يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧) قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُويَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ [يوسف].

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: ((إن أولاد يعقوب **الكذبة** جرى منهم ما جرى في أول الأمر من الجرائم المتنوعة، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح والاعتراف التام والعفو التام عنهم من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد بحقه فالله أولى بذلك وهو خير الراحمين الغافرين، ولهذا في أصح الأقوال أن الله جعلهم أنبياء لمحو ما سبق منهم وكأنه ما كان ولقوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤) [آل عمران] وهم أولاد يعقوب الإثنا عشر وذريتهم)).^(٢)

كان يوسف شاكرًا لله؛ حيث ذكر فضل الله عليه بالخروج من البلاء الذي وقع فيه، وهذا نعمة من الله، ولم يذكر البلاء إلا في عرض الحمد للنجاة منه بفضل الله. يقول تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) [يوسف].

كانت هذه الحادثة هي تفسير رؤيا يوسف الأولى برؤية الشمس والقمر.

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/١٨٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢١٦.

(٢) عبدالرحمن السعدي، قصص الأنبياء، ص ١٨٤.

عن الحسن قال: ألقى يوسف في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبودية وفي السجن وفي الملك ثمانين سنة، ثم جمع شمله فعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة. (١)

حين كان يوسف في أعلى المناصب الإدارية والمالية آمناً في نفسه (٢) كان ذاكرًا لله، متقيًا له، يرجو ما عنده يوم القيامة. وكان يدرك أن الدنيا ومناصبها وأموالها قصيرة، ولا ينبغي أن يتعلق بها مهما كانت الظروف. وأن ما يعيشه الإنسان من بلاء ونعمة يحتاج إلى صبر وشكر، وأنه ينبغي أن ينظر إلى منازل الآخرة الدائمة. وبالتالي يتصرف في الدنيا على خشية من الله ومن حساب يوم القيامة. وهذا درس لكل من تولى مناصب عالية وآتاه الله من فضله.

وعن ذكر يوسف لله ودعائه له، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْإِنْسَانِ فِي الْأَخِرَةِ نُوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ (١٠١) [يوسف].

عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان علم الله وحكمته في ورثة إبراهيم، فعند ذلك أتى الله يوسف بن يعقوب ملك الأرض المقدسة، فملك اثنين وعشرين سنة. وذلك قوله فيما أنزل من كتابه: «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث» الآية. (٣)

كانت هذه القصة بتمامها وحيًا قرآنيًا أوحاه الله ﷻ لنبيه ﷺ، وفيها من الدروس العظيمة في مختلف مجالات الحياة البشرية ما يصعب حصره. ومهما قال المفسرون المعتبرون عن القصة فما في كتاب الله عنها أبلغ من شرحهم

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٤، برقم: ١١٩٦٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١٨٦/١: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢١٧/١.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٤، برقم: ٤٠٨٩.

وإيضاحهم. ومن أهم ما تعالجه، كما أتضح لنا، المكر بالآخرين والاعتداء عليهم، كما تبين أن الحسد يقع بين النفوس ويفسد بين الإخوة، وهم من أقرب الناس. وهذا ما تعرض له يوسف عليه السلام. لقد كانت درسًا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وللأمة من بعده إلى يوم القيامة. يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٠٢) [يوسف].

عاش يعقوب مع بنيه وذريتهم في مصر، وقد تكاثر أبناؤه وهم من عرفوا ببني إسرائيل، حتى بعث منهم موسى عليه السلام إلى فرعون وخرج بهم بعد ذلك. وكانت حياتهم في مصر قرابة ثلاث مئة سنة. وجاء الحديث عن يوسف عليه السلام في كلام مؤمن آل فرعون حين دفاعه عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (٣٤) [غافر].

استفاد الصحابة رضي الله عنهم من قصة يوسف عليه السلام، فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: ((إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: مري أبا بكر يصلي بالناس، قالت: إنه رجل أسيف، متى يقيم مقامك رق، فعاد، فعادت. قال شعبة: فقال في الثالثة أو الرابعة. إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر)). (١)

عن أبي عبيدة رضي الله عنه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((إنما اشتري يوسف بعشرين درهماً، وكان أهله حين أرسل إليهم وهم بمصر ثلاث مئة وتسعين إنساناً، رجالهم أنبياء ونساؤهم صديقات، والله ما خرجوا مع موسى حتى بلغوا ست مئة ألف وسبعين ألفاً)). (٢)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، ج ٤/١٢٢؛ وانظر: رواية أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٥، برقم: ٤٠٩١.





خريطة موطن
شعيب عليه السلام

مكة المكرمة

شعيب عليه السلام

فضله عليه السلام.

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: ﴿وَأِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾. (١)

وعند الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين: ذكر شعيب النبي ﷺ. (٢)

قال محمد بن إسحاق: وشعيب بن ميكائيل النبي ﷺ بعثه الله نبياً، فكان من خبره وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن. وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الأنبياء لمراجعتهم قومه». (٣)

زمانه عليه السلام.

وما جرى عليهم من أحداث كانت بعد صالح وإبراهيم عليه السلام، وقبل موسى عليه السلام، يعني قرابة ألف وأربع مئة سنة قبل الميلاد. (٤)

ولعل مما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمَكُمُ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْ طُغِ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (والى مدينة أخاهم شعيباً...)، ج ٤/١٢٢.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٠.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٠، برقم: ٤٠٧١؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢١٦.

(٤) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ١٨٥؛ ومحمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن

(١)، في بلاد العرب، ص ٣٠١.

قومه وموطنه ﷺ.

قوم شعيب ﷺ من أهل مدين (كان مدين قومًا عربيًا يسكنون منطقتهم مدين التي هي قرية من أرض معان، من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز، شمال غرب بلاد العرب، قريبًا من بحيرة قوم لوط (البحر الميت)، وجاءوا بعدهم بمدة قريبة). (١)

وتعرف حاليًا بمنطقة «البدع» شمال غرب تبوك، وتبعد عنها قرابة (١٣٠) كيلو مترًا، وقد زرتها بنفسي ووقفت على بعض آثارها. (٢)

بعث الله نبيه شعيبًا ﷺ إلى قومه من أهل مدين، كانوا قومًا مشركين يعبدون الأصنام من دون الله تعالى، لهم شجرة خُصَّوها بالعبادة دون الله، وبذلك سمو أصحاب الأيكة. (٣)

دعوته وإصلاحه ﷺ.

ومع ما كان عندهم من الشرك فإن نبيهم شعيبًا ﷺ حاول إصلاح ما عندهم من ظلم للناس، حيث كانوا يفسدون في الأرض ويعتدون على أموال الآخرين بالغش والسرقة أو نهب أموالهم بوسائل مختلفة، ومنها قطع الطريق على التجار والعابرين، حيث كانت بلادهم طريقًا يعبر منه التجار إلى مختلف المناطق الأخرى وخصوصًا بين الشام ومصر وبلاد العرب. (٤)

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/١٨٤.

(٢) انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج٢/١٢٠١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/١٨٤؛ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (شمال المملكة)، القسم الثالث، ص١٢٠٧؛ عاتق غيث البلادي، معجم الأماكن الواردة في السيرة النبوية، ص٢٨٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج١/١٦٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/١٨٧؛ الشوكاني، فتح القدير، ج٢/٥٢٠.

(٤) الحليسي، المنهج الاقتصادي في المكابيل والموازن لنبي الله شعيب، ص٢٢.

وقد جاهد نبيهم شعيب عليه السلام في إصلاح ما عندهم من جرائم مختلفة، كان أولها جريمة الشرك والظلم في حق الله، مع ظلم الناس في أموالهم وفي أنفسهم، وكان عليه السلام جاداً في إصلاحهم.

ومع هذا النصح والدعوة لحفظ حقوق الناس، فبدلاً من الاستجابة له، هددوه شخصياً، ^(١) نظير إصلاحه عليه السلام. كان عليه السلام يؤكد لهم باستمرار وجوب الالتزام بحق الله ﷻ ومراعاة حقوق الناس، مؤكداً أنه شخصياً سيلتزم بما يدعو الناس إليه من الإصلاح. وقد قص الله ﷻ في كتابه العزيز ما جرى بين شعيب عليه السلام وقومه من حوار حول هذه الأحداث، يقول تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف].

حرصه عليه السلام على حفظ حقوق الناس، قال تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَيَتَقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ [هود].

اعتبروا الغش شجاعة، واستنكروا صلاته، وأشاروا أن لها دوراً في دعوته وإصلاحه، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَدْعُبُ أَصْلُوتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَتُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود].

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/١٨٤.

كان يذكرهم بنعم الله عليهم، وينهاهم عن الصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكَرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۗ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف].

تحذيرهم من الإيمان بشعيب وبما جاء به، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأعراف].

هدده قومه ومن معه بالطرده، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَافِرِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف].

تهديده بالرجم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَشُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِنَاكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود].

رد عليهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَنْقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ [هود].

حرصه ﷺ على سلامة قومه، قال تعالى: ﴿وَيَنْقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود].

دعاهم للإستغفار، ووصفه لله ﷻ بالرحمة، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود].

حرصه عليه على الإصلاح.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود].

تحذير شعيب لقومه، وتكذيبهم له، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١٧٦] إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْقِوْنَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ [الشعراء].

دعوته عليه لحفظ حقوق الآخرين وأموالهم، قال تعالى: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ [الشعراء].

عن وهب بن منبه: إن الله بعث شعيباً إلى أهل مدين، وهم أصحاب الأيكة، فكانت الأيكة من الشجر الملتف. وكانوا أهل كفر بالله، وبخس للناس في المكايل والموازن، وإفساد لأموالهم. مع أن الله تعالى وسع عليهم في الرزق، وبسط لهم في العيش استدراجاً منه لهم مع كفرهم به. فقال لهم شعيب: يا قوم، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان، إني أراكم بخير، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط. فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما قد ذكر الله في كتابه. (١)

تذكيرهم بالأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِجَةَ الْأُولَىٰ ﴾ [الشعراء].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٠، برقم: ٤٠٧٣.

احتقارهم لشعيب واتهامهم له، قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [الشعراء].

طلبهم العذاب وتحديهم لله وشعيب ﷺ.

قال تعالى: ﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الشعراء].

إرجاع شعيب ﷺ الأمر لله ﷻ، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الشعراء].

توكله والمؤمنون على الله، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِءِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأعراف].

ثباته والمؤمنون معه على التوحيد وتوكلهم على الله، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّنا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف].

عذاب مدين.

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الشعراء].

وروي عن قتادة قال: بعث الله شعيباً النبي ﷺ إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة. فكانت الأيكة من شجر ملتف. فلما أراد الله أن

يعذبهم، بعث الله عليهم حرًا شديدًا، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة. فلما دنت منهم، خرجوا إليها رجاء بردها. فلما كانوا تحتها، مطرت عليهم نارًا، وقال: فذلك قوله **وَعَلَىٰ**: فأخذهم عذاب يوم الظلة. (١)

وعن عبد الله بن عباس **رضي الله عنه** قال: بعث الله عليهم حرًا شديدًا فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت. فدخل عليهم أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرابًا إلى البرية. فبعث الله سحابة، فأظلمت من الشمس، فوجدوا لها بردًا ولذة، فنأدى بعضهم بعضًا حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسل الله عليهم نارًا. قال عبد الله بن عباس **رضي الله عنه**: فذاك عذاب يوم الظلة، إنه كان عذاب يوم عظيم. (٢)

وعن مجاهد، في قوله: عذاب يوم الظلة، قال: ظلال العذاب. (٣)

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَحْسَبُ الْأَيْكَةِ لِظَلَمِينَ ﴿٧٨﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

[الحجر].

عذاب الكفار المعاندين، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾

﴿٩٢﴾ [الأعراف].

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [العنكبوت].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٢١، برقم: ٤٧٥؛ الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢١٧ - ٢١٩.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٢٠ - ٦٢١، برقم: ٤٠٧٤.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٢١، برقم: ٤٠٧٦.

قال تعالى: ﴿وَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص].

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمِ تُبَّعٍ كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق].

عن زيد بن أسلم، في قول الله ﷻ: أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء، قال: كان مما ينهاهم عن حذف الدراهم أو قال قطع الدراهم. فأخذهم عذاب يوم الظلة، إنه كان عذاب يوم عظيم. قال: بعث الله إليهم ظلة من سحاب، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت على الأرض. فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة، حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة، وأحمى عليهم الشمس، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلَى. (١)

نجات شعيب عليه السلام والمؤمنين معه.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود].

لم يندم عليه السلام على الكافرين، قال تعالى: ﴿فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف].

ذكر قوم شعيب في الأمم التي لحقتهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢١، برقم: ٤٠٧٧.

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٤٤﴾ [الحج].

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ [القصص].

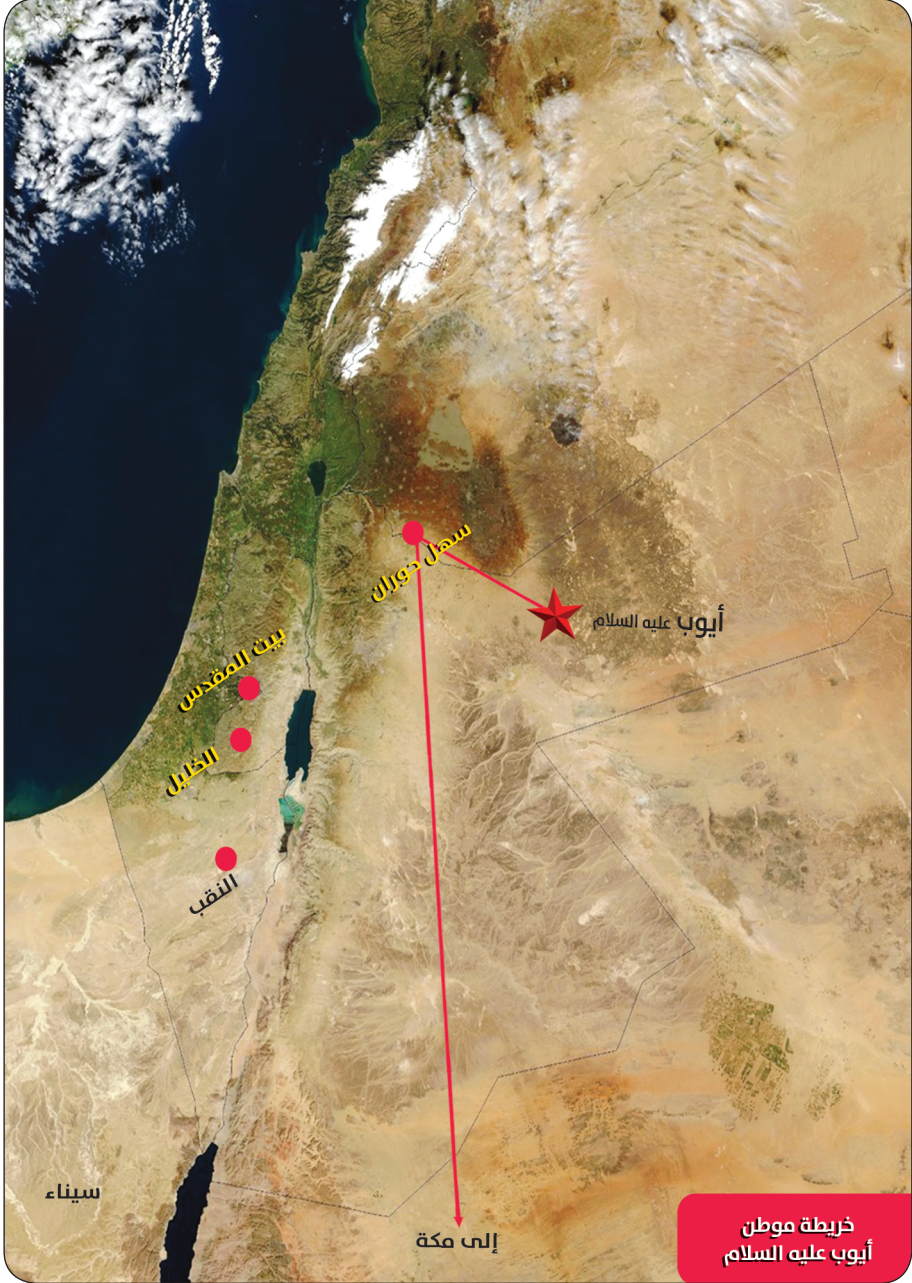
موسى عليه السلام في مدين.

توجه موسى عليه السلام إلى مدين بعد قوم شعيب، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿٢٢﴾ [القصص].

الإشارة إلى حياة موسى عليه السلام في مدين، قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَفَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَنَّكَ فُنُونًا فَلَمَّتْ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ﴾ ﴿٤٠﴾ [طه].







أيوب عليه السلام

مثال الصبر والاحتساب عند الأمم.

نسبه عليه السلام.

من ذرية إبراهيم عليه السلام، فهو جده الخامس على الأرجح. (١)

قال تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام].

نبي يوحى إليه. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٢).

وفي المطالب العالية للحافظ ابن حجر، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أيوب. (٣)

وفي المستدرک على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء

والمرسلين. ذكر أيوب بن أموص نبي الله المبتلى صلى الله عليه وسلم. (٤)

(١) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢١٢.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين)، ج ٤/١٢٣.

(٣) انظر: ابن حجر، المطالب العالية، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أيوب، ج ١٤/٢٤١.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٤.

مكانه ﷺ.

سهل حوران في الشام.

زمانه ﷺ.

زمانه: بعد إبراهيم بحوالي (٣٠٠) سنة أي (١٥٥٠) ق. م. تقريباً. (١)

أورد الحاكم عدة أقوال حول زمانه ﷺ فقال: قد اختلفوا في أيوب أنه في أي وقت أرسل فقال وهب بن منبه: إنه من ولد إبراهيم بعد يوسف، وروي عن وهب بن منبه أنه أيوب بن أموص بن رزاح بن عيصا بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وذكر أنه كان قبل شعيب وقيل إنه بعد سليمان بن داود. والذي يبدو لي والله أعلم أنه كان بعد يوسف وقبل موسى ﷺ.

صفته ﷺ.

عن كعب بن زريق قال: كان أيوب بن أموص نبي الله الصابر، الذي جلب عليه إبليس عدو الله بجنوده وخيله ورجله ليفتنوه ويزيلوه عن ذكر الله فعصمه الله، ولم يجد إبليس إليه سبيلاً، فألقى الله على أيوب السكينة والصبر على بلائه الذي ابتلاه به، فسماه الله نعم العبد إنه أواب، وكان أيوب رجلاً طويلاً جعد الشعر، واسع العينين، حسن الخلق، وكان على جبينه مكتوب المبتلى الصابر، وكان قصير العنق عريض الصدر غليظ الساقين والساعدين، وكان يعطي الأرامل ويكسوهم جاهداً ناصحاً لله ﷻ. (٢)

(١) انظر: سامي المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء، ص ٥١.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٥، برقم: ٤١١٣.

ابتلاؤه عليه السلام.

عن قتادة، قال: ابتلي أيوب سبع سنين ملقى على كناسة^(١) بيت المقدس. (٢) قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة أيوب، قالت له: والله قد نزل بي من الجهد والفاقة ما أن بعث قومي برغيف فأطعمتك فادع الله أن يشفيك، قال: ويحك كنا في النعماء سبعين عاماً، فنحن في البلاء سبع سنين. (٣)

دعاؤه عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

عافية أيوب عليه السلام.

استجاب الله دعاءه، ووجه له أمراً فيه شفاؤه. قال تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أيوب نبي الله كان في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه... كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد قط. قال له صاحبه: وما ذاك؟

(١) الكناسة: مكان رمي القمامة.

(٢) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢١٤؛ الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٦، برقم: ٤١١٧.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٥، برقم: ٤١١٤.

قال: منذ ثماني عشرة لم يرحمه الله فيكشف عنه ما به، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أنني أمر بالرجلين يتنازعان، فيذكران الله فأرجع إلى بيتي، فأكفر عنهما كراهة أن يذكر الله إلا في حق قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ. فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحى إلى أيوب في مكانه ﴿أَرَكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُعَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فاستبطأته، فتلفتت تنظر، فأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان فلما رآته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أحداً أشبه به مذ كان صحيحاً منك. قال: فإني أنا هو وكان له أندران أندر القمح وأندر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض. (١).

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٤٣) [ص].

وقال تعالى: ﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ. وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٤٤) [ص].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((بينما أيوب يغتسل عرياناً، خر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فنادى ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك)). (٢).

(١) انظر: ابن حجر، المطالب العالمة، باب أيوب، ج ١٤/٢٤١، برقم: ٣٤٥٠.

انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٣٦، برقم: ٤١١٦.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه...)، ج ٤/١٢٤.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله قال: ((لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراداً من ذهب، فجعل يأخذه بيده ويجعله في ثوبه، فقيل له: يا أيوب أما تشبع؟ قال: ومن يشبع من رحمتك؟))^(١).

عن وهب بن منبه، قال: ((كان عمر أيوب ثلاثاً وتسعين سنة، وأوصى عند موته إلى ابنه حومل، وقد بعث الله بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيدهِ، وأنه كان مقيماً بالشام، عمره حتى مات وكان عمره خمساً وسبعين سنة، وإن بشرًا أوصى إلى ابنه عبدان ثم بعث الله بعدهم شعيباً))^(٢).



(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٣٦، برقم: ٤١١٦.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٣٦ - ٦٣٧، برقم: ٤١١٨؛ وانظر، الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢١٥.





موسى عليه السلام

(كليم الله)

نسبه عليه السلام.

ابن عمران من ذرية لاوي بن يعقوب بن إسحاق عليه السلام. (١)

صفة موسى عليه السلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليلة أسري به رأيت موسى، وإذا رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة)) (٢).

فضله عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء].

كان مخلصاً من الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم].

من الأنبياء المقربين، قال تعالى: ﴿وَنَدِينَهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [٥٣] ووهبنا له، من رحمنا أخاه هرون نبياً [مريم].

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ص ٢٦٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وهل أتاك حديث موسى)، ج ٤/١٢٥.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، «وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا»، حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ. (١)

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جُوزي بصعقة الطور)). (٢)

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾. (٣)

وعند ابن أبي شيبة في مصنفه: باب ما ذكر في موسى عليه السلام من الفضل.. (٤) وفي المستدرک على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكرُ النبي الكليم موسى بن عمران وأخيه هارون بن عمران. (٥)

وفي المطالب العالية للحافظ ابن حجر، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أخبار موسى وهارون. (٦)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله اصطفى موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلَّة)). (٧)

عن كعب الأحرار، قال: إن الله صلى الله عليه وسلم قسم رؤيته وكلامه بين محمد صلى الله عليه وسلم وموسى، فرأه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين. (٨)

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٣، برقم: ١١٨٩٤.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر)، ج ٤/١٢٦.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وكلم الله موسى تكليمًا)، ج ٤/١٢٥.

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٦، باب رقم: ٢٠٤٩.

(٥) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٦.

(٦) انظر: ابن حجر، المطالب العالية، كتاب الأنبياء، باب أخبار موسى وهارون، ج ١٤/٢٥٥.

(٧) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٩، برقم: ٤٠٩٨.

(٨) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٩، برقم: ٤٠٩٩٩.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((موسى بن عمران صفي الله هذا))^(١).

إكرامه بنزول الكتاب عليه عليه السلام.

أكرم موسى عليه السلام بالهدى والصحف، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِنَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ ﴾ [النجم].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ [هود] هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ وَعَآتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴾ [الإسراء].

كتاب موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٩، برقم: ٤١٠٠.

إيمان الجن بكتاب موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠) [الأحقاف].

نشأته عليه السلام مع بني إسرائيل في مصر.

عاش بنو إسرائيل في مصر منذ رحيل يعقوب عليه السلام مع أبنائه إليها، بعد تمكن يوسف فيها وتسمنه أعلى المناصب. (١) وبعد مضي سنوات عديدة، ومنذ أيام فرعون مصر رمسيس الثاني وابنه الفرعون المسمى (منفتاح)، (٢) من الأسرة التاسعة عشرة، التي حكمت في الفترة من (١٣٥٠ - ١٢٥٠ ق. م) (٣) وبنو إسرائيل يتعرضون للمضايقة والتعذيب، على يد فرعون مصر وجنده، وقد وصف الله حالهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ لَكَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤) [القصص].

اتخذ فرعون بطغيانه قراراً بقتل المواليد من بني إسرائيل في مصر، وخصوصاً الرجال منهم، وقرر استحياء النساء واسترقاقهن وجعلهن خدماً لهم. (٤)

((وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل ممن سخرُوا لخدمتهم؛ بسبب قتل ولدانهم الذكور، وخشي أن يتفانى الكبار مع قتل الصغار، فيصير الفراعنة هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٢٢؛ محمد عبدالسلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ٤٥.

(٢) انظر التفاصيل عند: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٢٤٠، والذي يرى أن زمنهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ وعبدالغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص ٧٦.

(٣) دروزه، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٦٥.

(٤) العهد القديم، سفر الخروج الثاني، الإصحاح، ص ٨-١٦؛ اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٢٣؛ الثلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧٠؛ الطبري، تاريخه، ج ١/١٩٩؛ دروزه، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٦٦؛ عبدالغني عبود، أنبياء الله والحياة المعاصرة، ص ٦٨؛ محمد عبدالسلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ٢٦.

يعالجون من العمل، فأمر فرعون بقتل الأبناء عامًا وأن يتركوا عامًا. فذكروا أن هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء، وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم. فضاقت أمه به ذرعًا واحترزت من أول ما حبلت، ولم يكن يظهر عليها مخائل الحمل، فلما وضعته ألهمت أن اتخذت له تابوتًا فربطته في حبل، وكانت دارها متاخمة للنيل، فكانت ترضعه، فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت فأرسلته في النهر، وأمسكت طرف الحبل عندها، فإذا ذهبوا استرجعته إليها به). (١).

وقد حفظ الله موسى عليه السلام منذ ولادته، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْفِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَوُوهُ الْيَتِيمَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص].

كيد فرعون وضعفه.

ومنة الله على مستضعفي بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص].

أراد الله أن يظهر قدرته ويبين ضعف فرعون وكيدته مهما كان متينًا، إذا كان مبنياً على الظلم والكفر بالله. فأراد الله أن ينشأ موسى عليه السلام ويتربص في بيت فرعون، رغم الإجراءات الأمنية المشددة الظالمة التي كان يتخذها خوفًا من وجود موسى. فجعل الله موسى بين يدي فرعون، وفي بيته آمنًا مطمئنًا. يقول الله تعالى: ﴿فَالنَّقْطَةُ ۗءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٣٩؛ محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ٢١٤؛ حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٥٦.

وَهَمَّنَ وَجُوذَهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ ﴿٨﴾ [القصص].

وقد رويت قصة موسى مفصلة عن وهب بن منبه، قال: ((ذكر مولد موسى ابن عمران بن قاهت بن لاوي ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وحديث عدو الله فرعون حين كان يستعبد بني إسرائيل في أعماله بمصر، وأمر موسى والخضر، قال وهب: ولما حملت أم موسى بموسى، كتمت أمرها جميع الناس، فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله، وذلك شيء أسرها الله به لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل. فلما كانت السنة التي يولد فيها موسى بن عمران، بعث فرعون القوابل، وتقدم إليهن وفتش النساء تفتيشاً لم يفتشهن قبل ذلك.

وحملت أم موسى بموسى فلم ينت بطنها، ولم يتغير لونها، ولم يفسد لبنها، ولكن القوابل لا تعرض لها. فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابل، ولم يطلع عليها أحد إلا أختها مريم. وأوحى الله إليها أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني؛ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

قال: فكتمته أمه ثلاثة أشهر، ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك. فلما خافت عليه وعليها عملت له تابوتاً مطبقاً ومهدت له فيه، ثم ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله. وعمل التابوت على عمل سفن البحر، خمسة أشبار في خمسة أشبار، ولم يقير فأقبل التابوت يطفو على الماء، فألقى البحر التابوت بالساحل في جوف الليل.

فلما أصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل، فبصر بالتابوت، فقال لمن حوله من خدمه: إيتوني بهذا التابوت. فأتوه به. فلما وضع بين يديه، فتحوه، فوجد فيه موسى.

قال: فلما نظر إليه فرعون، قال: غير أنني من الأعداء! فأعظمه ذلك وغازله، وقال: كيف أخطأ هذا الغلام الذبح؟ وقد أمرت القوابل أن لا يكتمن مولوداً يولد!

قال: وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء المعدودات ومن بنات الأنبياء. وكانت أمًّا للمسلمين، ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم، ويدخلون عليها.

فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الوليد أكبر من ابن سنة، وإنما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة. فدعه يكون قرّة عين لي ولك، لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا. وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه.

وكان فرعون لا يولد له إلا البنات. فاستحياه فرعون ورفع، وألقى الله إليه محبته ورأفته ورحمته. وقال لامرأته: عسى أن ينفعك أنت، فأما أنا فلا أريد نفعه.

قال وهب: قال ابن عباس: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت امرأته: عسى أن ينفعنا لنفعه الله به. ولكنه أبى للشقاء الذي كتب الله عليه.

وحرم الله على موسى المراضع ثمانية أيام ولياليهن، كلما أتى بمرضعة، لم يقبل ثديها. فرق له فرعون ورحمه، وطلبت له المراضع.

وذكر حزن أم موسى وبكاءها عليه حتى كادت أن تبدي به، ثم تداركها الله برحمته، فربط على قلبها إلى أن بلغها خبره. فقالت لأختها: تنكري واذهبي مع الناس، وانظري ماذا يفعلون به.

فدخلت أخته مع القوابل على آسية بنت مزاحم. فلما رأت وجدهم بموسى وحبهم له، ورقتهم عليه، قالت: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له

ناصرهون إلى أن رد إلى أمه فمكث موسى عند أمه حتى فطمته، ثم رده إليه فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته، يربانه بأيديهما، واتخاذاه ولداً.

فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب له خفيف صغير يلعب به، إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون. ونظر من ضربه حتى هم بقتله.. (١).

امراة فرعون.

جعل الله القسوة في قلب فرعون، والرحمة في قلب امرأته، وهي مؤمنة صالحة. يقول تعالى: ﴿وَقَالَتُ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لِي ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣١﴾﴾ [طه].

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخُنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخُنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحریم].

يقول تعالى: ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخُنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخُنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحریم].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)). (٣).

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٧ - ٦٢٩، برقم: ٤٠٩٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون)، ج ٤/١٣١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون)، ج ٤/١٣١ - ١٣٢.

أم موسى عليها السلام.

ثبتها الله، بعد أن كادت تكشف سرها، ^(١) ويقتل ولدها ظلماً من فرعون، لولا رحمة الله بها. يقول تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرِيًّا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص].

وشاء الله أن ترضع أم موسى ولدها، ويدفع عدوه فرعون أجر الرضاعة لأمه نظير إرضاعها لعدوه - ابنها.

وفي سياق آخر، تبدأ القصة مع ولادة موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ. وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه].

أخت موسى عليها السلام.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ. فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَجَجَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتْنَاكَ فَنُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسِي ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه].

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/٢٠١؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٤٠/١؛ محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن، ص ٢١٥؛ وانظر: كينيث كانتزر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ١٢٢.

وقد وردت قصة ولادة موسى في سفر الخروج (٢) إلا أنها نالها التحريف وتختلف تماماً عما ورد في القرآن الكريم.

عاش موسى عليه السلام في بيت فرعون يتعلم أمور الدنيا ومنطقها، وحفظ الله له دينه على ملة آبائه إبراهيم ويعقوب، وأتاه الله العلم والحكمة.

بلوغ موسى عليه السلام وشبابه.

أتاه الله العلم والحكمة. يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص].

حين شب موسى، كان قوياً شجاعاً يهابه الشباب ويستعينون به لقوته. وقد وقع في خطأ، حيث قتل من غير عمد أحد المصريين. ومع ارتكاب موسى لهذا الخطأ فقد كان نادماً عليه تائباً لله تعالى، غير متعمد للقتل أصلاً. وقد وردت قصته هذه في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص].

كان واضحاً كراهية موسى للقتل وبغضه للجريمة ابتداءً، ومبادرته للتوبة مما وقع منه مع أنه لم يقصد القتل. ولذلك تعهد بعدم مساعدة المجرمين على إجرامهم، يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص].

ولا شك أن المدينة المصرية التي قتل فيها موسى كان فيها من يبحث عن القاتل،^(١) مما جعل موسى يعيش في خوف من ذلك، يقول تعالى:

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٢٤؛ الطبري، تاريخه، ج ١/٢٠٣؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٧٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٤٢؛ محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص ٢١٦؛ حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٥٩.

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [١٨] [القصص].

كان المحرّض لموسى على خطأ الأمس مستمراً في خطئه، فصار يحرضه مرة أخرى لجريمة أخرى كاد أن يقع فيها موسى، فتحدث إليه الضحية وكان يتوسم الخير في موسى فحرك فيه نوازع الخير فكفّ عنه. يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [١٩] [القصص].

ومع استمرار السؤال والتحري عن موسى **عليه السلام** وما فعله، أحس أصحابه بالخطر عليه فأنذروه، يقول تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [٢٠] [القصص].

اضطر موسى **عليه السلام** للهروب من المدينة المصرية، وحاول التوجه إلى أقرب حدود للدولة؛ ليخرج من سلطانها إلى أرض لا يكون للسلطة المصرية الفرعونية أي أمر. وبالتالي، كانت الأطراف الشمالية الغربية للجزيرة العربية، حيث بلاد مدين،^(١) هي أقرب الأماكن إليه. فعبّر إليها مروراً بسيناء حتى وصل مدين، تلك الأرض البعيدة عن السلطة الفرعونية في مصر. يقول تعالى: ﴿ فَجَرَّجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢١] ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [٢٢] [القصص].

كان موسى **عليه السلام** رحيماً، يحب الخير ومساعدة الآخرين دون مقابل، ساعياً لرضا الله

(١) الطبري، تاريخه، ج١/٢٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/٢٤٤؛ وانظر: ص٤٦ من كتابي الأمن في حياة الأنبياء. وتعرف حالياً بمنطقة (البدع)

المرأتان من مدين.

وقعت له ﷺ حادثة مع نساء ضعيفات في مدين، شعر بحاجتهن للمساعدة فلم يتردد في ذلك. يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) [القصص].

فعل الخير وقصد الدعاء. يقول تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤) [القصص].

كان موسى ﷺ متعلقاً بالله تائباً إليه رغم وقوعه في الخطأ. وقد حرص على البعد عن أراضي فرعون ليأمن من سطوته، كما أن بعده عن موقع الخطأ يعينه على صدق التوبة.

حينما قابل والد الفتاتين، طمأنه إلى نجاته وبعده عن سلطة فرعون الظالم، (١) وأنه أصبح في أرض لا تمتد سلطته إليها خارج حدود دولته. يقول تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنَةُ أَخِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥) [القصص].

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى ﷺ لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال. فإذا هو بامرأتين تذودان، قال: ما خطبكما؟ فأخبرتاها. فأتى الحجر فرفعه، ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم، ورجعت المرأتان إلى أبيهما فحدثتاها.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٤٤؛ وقصص الأنبياء، ص ٢٤٤.

وتولى موسى عليه السلام إلى الظل فقال: «رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير». قال: فجاءته إحداهما تمشي على استحياء، واضعة ثوبها على وجهها، قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. قال لها: امشي خلفي وصفي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثوبك فيصف لي جسدك. فلما انتهى إلى أبيها قص عليه. قالت إحداهما: «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين».

قال: يا بنية ما علمك بأمانته وقوته؟ قالت: أما قوته، فرفعه الحجر ولا يطيقه إلا عشرة، وأما أمانته، فقال لي: امشي خلفي وصفي لي الطريق، فإني أخاف أن تصيب الريح ثوبك فتصف جسدك.

فقال عمر رضي الله عنه: فأقبلت إليه ليست بسلفع من النساء، لا خراجة ولا ولاجة، ومعه ثوبها على وجهها. (١)

ثقة والد الفتاتين بموسى عليه السلام وتزويجه. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص].

فاتفق معه. قال تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

تزوج موسى عليه السلام من إحدى بنات شيخ مدين شعيب، وليس النبي، بل سمي باسمه من أحفاد الناجين مع شعيب النبي عليه السلام. وبقي موسى عليه السلام في مدين عشر سنوات.

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٠ - ٥٢١، برقم: ١١٨٩١.

وقد سئل رسول الله ﷺ، أي الأجلين قضى موسى عليه السلام؟

قال: أَوْفَاهُمَا وَأَتَمَّهُمَا. (١)

وفي رواية أتمهما وآخرهما. (٢)

من مدين لمصر (والبعثة).

لما مضى عشر سنوات سار موسى بأهله عبر سيناء والطور. قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص].

وقد وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله ﴿وَهَلْ أُنْتَكِ﴾

حَدِيثُ مُوسَى × إِذْ رَأَىٰ نَارًا ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾﴾ ﴿ءَأَنْتَ﴾ أبصرت ﴿نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ...﴾. (٣)

وفي الطريق كلمه الله ﷻ عند جبل الطور، وحمله الرسالة إلى فرعون،

وأشرك معه أخاه هارون في النبوة. (٤) وهذه أول مرة يطلب فيها نبي أن يشاركه

أحد في النبوة، ويستجيب الله - تعالى - له. ومع هذا، فإن موسى كان يخشى من

الذنب الذي وقع منه في ديار مصر، وقد أشارت الآيات القرآنية. قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٣، برقم: ١١٨٩٥.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٣، برقم برقم: ١١٨٩٦.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً)، ج ٤/١٢٤ - ١٢٦.

(٤) وردت تفاصيل ذلك في مواضع مختلفة من القرآن الكريم منها، ما ورد في سورة طه، والقصص، والشعراء، والنمل. وانظر: الطبري، تاريخه، ج ١/٢٠٦ - ٢٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٧٧ - ١٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٤٢ - ٢٤٩.

﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِيٰ إِنَّهُ
 أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِي لَا يَخَفْ
 إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ
 يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴿النمل﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
 آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَمْوَسِيٰ
 ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ
 ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
 أَكَادُ أَخْفِيهَا يُتَجَرَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
 فَتَرَدَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسِيٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
 وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسِيٰ ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ
 تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ
 تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [طه].

قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه].

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي
 ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه].

ووردت القصة في آيات أخرى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أُنْتِ الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُوتُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَصْبِقُوا صَدْرِي وَلَا
 يَطَّرِقُوا لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا

يَايَدِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَآتِيَ فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ [الشعراء].

وفي آيات أخرى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص].

أمر وآيات من الله، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ بِدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنُوكَ بُرْهَانًا مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص].

خوف موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص].

فصاحة هارون مع إيمانه وطلب إشراكه في النبوة مع موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٣١﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ ۚ أَزْرَىٰ ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَىٰ نُسِجَتِكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه].

إجابة الله لموسى ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوِسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه].

وعد الله بحماية موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

عن وهب بن منبه قال: كان هارون بن عمران فصيح اللسان بين المنطق، يتكلم في تودة ويقول بعلم وحلم، وكان أطول من موسى طولاً وأكبرهما في

السن، وكان أكثرهما لحمًا وأبيضهما جسمًا وأعظمهما ألواحًا، وكان موسى رجلاً جعدًا آدم طوالاً، كأنه من رجال شنوءة. ولم يبعث الله نبياً إلا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى إلا أن يكون نبينا محمد ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه. وقد سئل نبينا ﷺ عن ذلك، فقال: «هذه الشامة التي بين كتفي شامة الأنبياء قبلي، لأنه لا نبي بعدي ولا رسول». (١)

دعوة موسى ﷺ لفرعون.

حماية الله لموسى وهارون ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۚ﴾ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ [طه].

دعوة موسى ﷺ لفرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنِي وَمِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف].

سؤال فرعون الآيات، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَجَالَ فِي رِجْلِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [القصص].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣١، برقم: ٤١٠٥.

من حوار موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ [القصص].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الزخرف].

قال تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ [الزخرف].

إرسال موسى عليه السلام لفرعون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَمْرٌ فِرْعَوْنٌ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾﴾ [هود].

اتهام موسى عليه السلام بالسحر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مِّمِّينٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس].

رده على الفراعنة، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحَرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدِّدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

كفر الفراعنة ولزومهم وبقاؤهم على كفر قومهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمُنَا لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدَدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ (٤٨) [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾ (٣٥) ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ (٣٦) [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠) ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۗ أَلَا يَنْقُورُونَ﴾ (١١) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢) ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ (١٣) ﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٤) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾ (١٥) ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٧) [الشعراء].

تحقيق فرعون مع موسى تهرّباً، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (١٨) ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ (٢٠) ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢١) ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢٢) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٤) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ۗ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٢٥) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧) [الشعراء].

التهديد بسجن موسى **عليه السلام**، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُومَ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٨) ﴿قَالَ لَئِن أَخَذَتِ الْإِنهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠) [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَاتَّ بِهَذَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) [الشعراء].

آية العصا، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٢) ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ (٣٣) [الشعراء].

آيات موسى **عليه السلام**.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَّأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ (١٠١) ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُنَا لِإِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَابِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (١٠٢) [الإسراء].

ومن آيات موسى **عليه السلام**، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (١٣٣) [الأعراف].

إعراضهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢) [الأعراف].

الضرر على قوم فرعون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١٣٠) [الأعراف].

طلبهم لدعاء موسى **عليه السلام**.

لتخفيف ما وقع عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَىٰ أَجَلٍ لَهُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ [الأعراف].

نكثهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الزخرف].

تطيرهم بموسى ومن معه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ط وَإِنْ تُصِيبُكُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيِّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ط أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف].

تكبر فرعون وطفغيانه.

حين وصل موسى عليه السلام لمصر ودخل على فرعون للقاءه بعد انتظار طويل استمر أشهرًا،^(١) كان فرعون خلالها يعد المعلومات عن موسى قبل لقاؤه، مما يدل على قدم أجهزة المعلومات الأمنية ووجودها في العصور الفرعونية القديمة. ولذلك فعند اللقاء سأل فرعون موسى بعض الأسئلة^(٢) التي يبين من خلالها معرفته به منذ الصغر.

إن سؤال موسى عن حادثة القتل التي وقعت منه يظهر به فرعون أمام قومه اهتمامه بهذه القضية، ما كان حقيقياً وإنما من باب المجادلة والمحاجة. فقد كان فرعون يقتل في بني إسرائيل حتى كاد يفني شعباً بأكمله، وهو هنا يقف عند حادثة قتل واحدة ارتكبت خطأ، لكنه أراد استعراض قدرته على البحث عن موسى وتاريخه ليخرج له صحيفة سوابق، كما زعم فرعون.

(١) الطبري، تاريخه، ج ٢٠٩/١؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٨٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٨١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٥٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ٢٠٨/١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٨١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٥٠.

وليكفر بالله ويقود الناس إلى عبادته هو شخصياً والعياذ بالله، كما قال تعالى:
﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص].

كان فرعون يظهر للقوم حرصه على أمنهم وبلادهم، لكنه حقيقة يجرحهم إلى الهلاك والدمار ليتخذوه إلهًا من دون الله.

حشر فرعون كل قواته وكل طاقاته ليدعي الألوهية، وليسخر تلك الطاقات للشرك وعبادته من دون الله، (١) فكانت نتيجة ذلك وبالاً عليه وعلى قومه الذين أطاعوه. قال تعالى: ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ﴿١٨﴾ وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النازعات].

تكذبيه وعصيانه. قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [النازعات].

تحديه لله وادعاء الألوهية لنفسه وعاقة ذلك. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات].

كان هدف فرعون التكبر والطغيان وإذلال الناس، واستعبادهم له، مع أنه أعلم الناس بضعفه وأنه ليس إله.

العلاقة بين موسى ﷺ وفرعون تتلخص في حرص موسى على إطلاق الحرية لبني إسرائيل الموحدين المؤمنين بالله ليهاجروا بعيداً عن طغيان فرعون

(١) انظر: الطبري، تاريخه، ج١/٢١٢.

وظلمه، ودعوة فرعون وقومه للإيمان بالله تعالى وتوحيده، فكان فرعون يبرر ظلمه وقهره للمستضعفين، ليجعلهم تحت سيطرته وظلمه، في وقت كان يدعي الربوبية لنفسه، وهم مسلمون موحدون أتباع لموسى عليه السلام.

حشد وإدعاء، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْفَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الزخرف].

طاعة قومه العمياء.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

تكرار ادعاء الإلهوية، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص].

استكبار فرعون ومن معه.

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَهَانَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونس].

سعى فرعون بكيدهِ لإلهاء الناس عن دعوة موسى ﷺ. قال تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمُنُّ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ. كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [غافر].

كان منهجه طاغيًا كما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر].

رفق موسى ﷺ في الدعوة.

قال تعالى: ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه].

من الملاحظ أن فرعون حاول الظهور أمام قومه أنه يريد الحفاظ على بلدهم ومصالحهم ومعتقداتهم، التي هي عبادته من دون الله، وأنه في سبيل ذلك سيؤدب موسى ومن معه. (١) يقول الله ﷻ عن ذلك:

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْدَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرُكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف].

طلب موسى ﷺ خلاص بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿ فَأَنبَأَهُ قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنَّا أَتَّبَعِ أَهْدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ [طه].

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/٢١٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/١٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٥٥.

ومن مجادلات فرعون.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٤٩﴾ [طه].

تذكير فرعون بالخالق ﷻ. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ [طه].

استنكار فرعون وسؤله الإنكاري. قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥١﴾ [طه].

تذكير فرعون بالحساب وترتيب الخالق ﷻ للكون. قال تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأُلْبَانِ﴾ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿٥٥﴾ [طه].

توعد فرعون لموسى بسحر كبير.

وطلبه موعد. مع رؤيته للآيات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٥٧﴾ [طه].

إعراض فرعون وكيده. قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ ﴿٦٠﴾ [طه].

تحذير موسى ﷺ للفراعنة. قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَرَبُّكُمْ لَا تَفَرُّوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ﴾ ﴿٦١﴾ [طه].

اجتماعات خاصة وكيد كبير. قال تعالى: ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَىٰ﴾ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ ﴿٦٤﴾ [طه].

إدعاء حماية الوطن.

قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف].

قال تعالى: ﴿ فَلَنَأْيِسُّنَاكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ [طه].

حشد السحرة. قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّبِكِلِ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأعراف].

تحديد الموعد. قال تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسَ صُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ [طه].

جمع فرعون للسحرة. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُوتَنِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يونس].

تشجيع فرعون للسحرة. قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأعراف].

وورد الخبر في موضع آخر، قال تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّبِكِلِ سِحَارِ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ أَعَلْنَا نَنْبِئُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمُنَافِعُكَ أَمْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشعراء].

يوم اللقاء.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ (١١٥) ﴿الأعراف﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (١١٥) ﴿طه﴾.

البداية للسحرة. قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا سَعَىٰ﴾ (٦٦) ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ﴾ (٦٧) ﴿طه﴾.

بداية النزال من السحرة في موضع آخر، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَكَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (١١٦) ﴿الأعراف﴾.

وفي موضع آخر عن لقاء التحدي للسحرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٨٠) ﴿يونس﴾.

رد موسى عليه السلام على السحرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١) ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨٢) ﴿يونس﴾.

عون الله وَجَّهَ لموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (١١٧) ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٨) ﴿الأعراف﴾.

تشبیه الله لموسى عليه السلام، ونصره. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنَّا أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (٦٨) ﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ (٦٩) ﴿طه﴾.

إيمان السحرة. قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (٧٠) ﴿طه﴾.

استنكار فرعون لإيمان السحرة، وقد قامت الحجة عليه، وتهديدهم بالعذاب والإعدام. قال تعالى: ﴿ قَالَ ءَأَمْنُمُ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنُعَلِّمَنَّ أَيُّنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَابْقَى ۗ ﴾ [طه].

ثبات السحرة على الإيمان وبقينهم باليوم الآخر. قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ ﴾ [٧٢] إِنَّا ءَأْمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۗ ﴾ [٧٣] إِنَّهُ، مَن يَأْتِ رَبَّهُ، مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ، جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ ﴾ [٧٤] وَمَنْ يَأْتِهِ، مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّعْلَىٰ ۗ ﴾ [٧٥] جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۗ ﴾ [طه].

ولذلك لا عجب إذا قيل: إنهم كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء بررة.

وفي موضع آخر عن إيمان السحرة بعد علم، قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ۗ ﴾ [١٣٠] قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ ﴾ [١٣١] رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۗ ﴾ [١٣٢] [الأعراف].

استنكار فرعون لإيمان السحرة واتهامه لهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنُمُ بِهِ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ۗ ﴾ [١٣٣] لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۗ ﴾ [١٣٤] [الأعراف].

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۗ ﴾ [٤٣] فَالْقُوا جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّتِي فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۗ ﴾ [٤٤] فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۗ ﴾ [٤٥] فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ۗ ﴾ [٤٦] قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ ﴾ [٤٧] رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۗ ﴾ [٤٨] قَالَ ءَأَمْسُرُ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمَلُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۗ ﴾ [٤٩] [الشعراء].

ثبات على الإيمان، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء].

ثبات المؤمنين السحرة سابقًا وطلبهم العون من الله، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمِنَّا بِثَايِتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَارُ رَبِّنَا أَوْفَرَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

وعن هزيمة السحرة، قال تعالى: ﴿فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف].

أصدر فرعون أمرًا باستباحة دماء بني إسرائيل والمؤمنين مع موسى من آل فرعون، ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا مَعَهُ، وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر].

محاولة قتل موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر].

استعادة موسى عليه السلام بالله منهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر].

مؤمن آل فرعون.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر].

تخويف مؤمن آل فرعون لقومه وحرصه عليهم، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر].

حرصه على قومه وخوفه عليهم وتذكيرهم بهلاك الأمم السابقة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْفَادُ مِنَ عُنُقِهِمْ وَنُصَبَ الْأَنْبِيَاءُ وَأُصْبِحُوا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَذُكِّرُوا ﴿٣٣﴾﴾ [غافر].

تذكيرهم بيوسف عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر].

وقد أحسن البخاري رحمته الله في شمول أحد أبوابه لقصة مؤمن آل فرعون الواضحة في الآيات في: باب ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله ﴿مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾. (١)

المؤمن يهدي لسبيل الله. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر].

دعوة قومه للنجاة. قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غافر].

(١) البخاري، صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وقال رجل مؤمن من آل فرعون...)، ج ٤/١٢٤.

ثباته على الإيمان. قال تعالى: ﴿ تَدْعُونِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفْرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر].

حماية الله للمؤمن. قال تعالى: ﴿ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَ مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [غافر].

طغيان رغم الحقيقة الواضحة. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرِ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَبَدْرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف].

مواصاة موسى عليه السلام لقومه. قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف].

تأذي بني إسرائيل وشكواهم. قال تعالى: ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف].

قلة المؤمنين بموسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ فَمَا أَمَّنْ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس].

توكل موسى عليه السلام على الله، وأمره قومه بذلك. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ مَّ آمَنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس].

سؤال قوم موسى **عليه السلام** النجاة من الله مع توكلهم عليه. قال تعالى:
﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس].

الاستعداد لترك مصر.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس].

دعاء موسى **عليه السلام** على فرعون وقومه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ
أَنْتَ فِرْعَوْنُ وَمَلَآئِكَتُكَ زِينَةُ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ
أَمْوَالَهُمْ وَأَشْدِّدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس].

إجابة الله لدعاء موسى **عليه السلام** وهارون. قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت
دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

الخروج.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايِطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا
لَّا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه].

اللاحاق بموسى. قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ
﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه].

ذهاب النعم. قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء].

اللاحاق بهم. قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الشعراء].

الترائي. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء].

معية الله لموسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء].

أمر الله لموسى وللبحر. قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الشعراء].

نجاة من الله. قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء].

هلاك فرعون وقومه. قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الإسراء].

فرعون هو أكبر القتلة المعتدين المجرمين حتى آخر لحظة من حياته، فأغرقه الله وأنجى المستضعفين من بني إسرائيل.

جواز موسى عليه السلام ومن معه للبحر وفوات الإيمان عليه، قال تعالى: ﴿وَجَوْرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبَحْرِ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا آدَرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس].

رفض إيمانه بعد فوات الأوان. قال تعالى: ﴿ءَأَكْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس].

كان الفوز والنجاة في النهاية للموحدين المؤمنين بالله من بني إسرائيل المتبعين لرسوله موسى عليه السلام، والهلاك لفرعون ومن سار معه في غوايته وظلمه للناس. (١).

نجاة فرعون ببدنه.

قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

قال تعالى: ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف].

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْتَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف].

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج ٣٦/١؛ الطبري، تاريخه، ج ٢١٤/١؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٢٠٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٨٨/١؛ وانظر عنوان (هلاك فرعون وجنوده) عند: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٦٨/١.

حوارهم في النار.

قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر].

منة الله على موسى عليه السلام وقومه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَبَجَيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكُونُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصافات].

قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف].

جهل بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿وَجَوْرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ إِنَّ هَذِهِ لَمُتَّبَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَنَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف].

وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ ﴿مُتَبَّرٌ﴾ خسران ﴿وَلِيَسْتَرْوُوا﴾ يدمروا ﴿مَاعَلَوْا﴾ ما غلبوا. (١)

عن قيس بن عباد، قال: أن الشردمة الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ست مئة ألف، وكان مقدمة فرعون سبع مئة ألف، كل رجل منهم على حصان، على رأسه بيضة ويده حربة، وهو خلفهم في الدهم. فلما انتهى موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى البحر، قالت بنو إسرائيل: أين ما وعدتنا؟ هذا البحر بين أيدينا، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا. فقال موسى عليه السلام للبحر: انفلق أبا خالد، فقال: لا أنفلق لك يا موسى، أنا أقدم منك خلقاً أو أشد، قال: فنودي أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق، ... وكانوا اثني عشر سبطاً.

وكان لكل سبط منهم طريق، فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر، هابت الخيل، ومثل لحصان منها فرس وديق، (٢) فوجد ريحها فاشتد فتبعه الخيل. فلما تتام آخر جنود فرعون في البحر خرج آخر بني إسرائيل من البحر فانصق عليهم، فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون، وما كان ليموت أبداً. قال: فلم يعد أن سمع الله تكذيبهم نبيه، فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر، يراه بنو إسرائيل. (٣)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكِ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ط يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثني إسحاق بن نصر، ج ٤/١٣٠.

(٢) الفرس الوديق: هي المريدة للفحل الراغبة فيه.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٧ - ٥٢٨، برقم: ١١٨٨٨.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((كان من أصحاب موسى الذين جاوزوا البحر اثنا عشر سبطاً، فكان في كل طريق اثنا عشر ألفاً، كلهم من ولد يعقوب عليه السلام)) (١).

متى نجا موسى عليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما ((أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً، يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكراً لله، فقال ﷺ: أنا أولى بموسى، منهم فصامه وأمر بصيامه)) (٢).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((فلق البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء)) (٣).

اختلاف بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس].

رفع الجبل فوق قوم موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف].

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمَّقَتُ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ﴾

(١) انظر: ابن حجر، المطالب العالمة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أخبار موسى وهارون، ج ١٤/٢٥٩، برقم: ٢٤٥٦.
 (٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وكلم الله موسى تكليماً)، ج ٤/١٢٦.
 (٣) انظر: ابن حجر، المطالب العالمة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أخبار موسى وهارون، ج ١٤/٢٦٠، برقم: ٢٤٥٧.

لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْفِنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ [الأعراف].

سؤال موسى ﷺ الرؤية.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ لَاجِبَ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف].

نزول الألواح على موسى ﷺ.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [الأعراف].

ما في الألواح. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ [الأعراف].

المحرومون من الهدى. قال تعالى: ﴿بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ سَاءَصْرَفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ [الأعراف].

اتخاذ العجل.

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ [الأعراف].

اتخذوا العجل يقدسونه، عند غياب موسى عليه السلام لوعده ربه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ [البقرة].

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمَمٍ مِيقَتُ رَبِّي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْ فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ × وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقال: دكه زلزه ﴿فَدَكْنَا﴾ فدككن جعل الجبال كالواحدة، كما قال الله: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَفَقًا﴾ ولم يقل: كن رتقا ملتصقتين، أشربوا ثوب مشرب مصبوغ، قال ابن عباس: انبجست انفجرت ﴿وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ﴾ رفعنا. (١)

فتنة بني إسرائيل في العجل.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَىٰ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر)، ج ٤/١٣٦.

عَجَلًا جَسَدًا لَهُ حَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونَ مِنْ قَبْلِ يَقُومِ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْدُونَ مَن مَّنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَومُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْفُقْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴿[طه].

محاورة السامري. قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ. وَأَنْظِرِ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ. ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴿[طه].

اتخاذ العجل رغم الآيات. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴿[البقرة].

تأثير العجل عليهم. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ ﴿[البقرة].

ندمهم واستغفارهم. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴿[الأعراف].

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ

الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ [الأعراف].

توعد أصحاب العجل. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف].

طريق التوبة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة].

فتح باب التوبة لهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف].

ميقات بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذتَهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف].

أصحاب السبت.

قال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِٓ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ [الأعراف].

وقيل إن هؤلاء كانوا في إيلات على البحر من ناحية فلسطين، ورد الحديث عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ [البقرة].

قصة البقرة.

ومن الحوادث المهمة في حياة موسى عليه السلام قصة القتل التي حدثت في بني إسرائيل، والتي شرحت في القرآن الكريم، وسميت باسمها أطول سور القرآن (البقرة)، والتي تحدثت آياتها عن تلك الحادثة التي أرجع معظم المفسرين ارتباطها بجريمة قتل في زمن موسى عليه السلام والآيات هي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِٗ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَننَّخِذْنَا هٰذِهِ وَقَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّين لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ فَاَفْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّين لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النِّظْرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّين لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَئِن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَنَذْبُوحًا وَمَا كَادُوا

يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأَيْكُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ
بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ [البقرة].

عند البخاري في صحيحه، في كتاب الأنبياء، باب (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة). (١)

أورد الطبري في تفسيره لهذه الآيات روايات، منها أنه: ((كان في بني إسرائيل رجل عقيم أو عاقر، قال: فقتله وليه، ثم احتمله، فألقاه في سبط غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه الشر، حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولو النهي: أنقتلون وفيكم رسول الله ﷺ؟ قال: فأتوا نبي الله، فقال: اذبحوا بقرة! فقالوا: أتخذنا هزوا؟ قال: أعوذ! بالله أن أكون من الجاهلين. قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي. قال إنه يقول: إنها بقرة. إلى قوله: فذبحوها وما كادوا يفعلون. قال: فضرب فأخبرهم بقاتله. قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهباً. قال: ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم، فلم يورث قاتل بعد ذلك)). (٢)

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقْرَةً﴾ الآية. قال أبو العالية: العوان النصف بين البكر والهرمة ﴿فَاقِعٌ﴾ صاف ﴿لَا ذَلُولٌ﴾ لم يذلها العمل ﴿تَثِيرُ الْأَرْضِ﴾ ليست بذلول تثير الأرض ولا تعمل في الحرث ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب ﴿لَا شِيَةَ﴾ بياض ﴿صَفْرَاءُ﴾ إن شئت سوداء ويقال: صفراء كقوله ﴿جَمَلَتْ صُفْرًا﴾ ﴿فَادْرَأَيْكُمْ﴾ اختلفتم. (٣)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حدثي إسحاق بن نصر، ج ٤/١٢٩ - ١٣٠.
(٢) الطبري، تفسيره، ج ١/٤٠١ - ٤٠٢. وانظر: عنوان (قصة بقرة بني إسرائيل)، عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٩٣؛ الشوكاني، فتح القدير، ج ١/٩٩.
(و عند عبد الوهاب النجار تفسيرات مختلفة للحادثة استدعت مناقشة عدد من علماء الأزهر له واعتراضهم عليه) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء. ص ٢٨٣.
(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)، ج ٤/١٣٠.

بغى قارون.

ومن القصص في حياة موسى عليه السلام بغى قارون عليه وهو من قومه، واتهامه لموسى بتهمة باطلة مكذوبة، وهي جريمة الزنا، في الوقت الذي كان موسى ينهى الناس عن ذلك.

التعريف بقارون ونصحه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَيْنَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُودًا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۗ﴾ (٧٦) [القصص].

تذكيره بنعم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۗ﴾ (٧٧) [القصص].

إدعاؤه أن المال بعلمه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۗ﴾ (٧٨) [القصص].

تكبره وتفاخره، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۗ﴾ (٧٩) [القصص].

تعليق العقلاء من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۗ﴾ (٨٠) [القصص].

هلاك قارون بأمر الله، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

ندم من تمنى مكانه، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُكُ اللَّهُ بِسُطِّ الرَّزْفِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَافُكُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص].

قارون وأمثاله في صف فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَرُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَانُ ﴿٣٩﴾﴾ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((لما أتى موسى قومه فأمرهم بالزكاة، فجمعهم قارون فقال: هذا قد جاءكم بالصوم والصلاة وبأشياء تطيقونها، تحتملون أن تعطوه أموالكم؟ قالوا: ما نحتمل أن نعطيهم أموالنا فما ترى؟ قال: أرى أن نرسل إلى بغي بني إسرائيل فنأمرها أن نرميه على رءوس الأجناد والناس بأنه أرادها على نفسها، ففعلوا، فرمت موسى عليه السلام على رءوس الناس فدعا الله عليهم، فأوحى الله تعالى إلى الأرض أن أطيعيه، فقال لها موسى عليه السلام: خذتهم، فأخذتهم إلى ركبهم، قال: فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، قال: خذتهم، فأخذتهم إلى حجزهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذتهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، قال: فأخذتهم فغيبتهم، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى، سألك عبادي وتضرعوا إليك فأبيت أن تجيبهم، أما وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم)) (١).

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٣١ - ٥٣٢.

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ الآية ﴿لَتَنوُوْا﴾ لتنقل، قال ابن عباس: ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾ لا يرفعها العُصبة من الرجال يقال ﴿الْفَرَحِينِ﴾ المرحين ﴿وَيَكَاثُ اللَّهُ﴾ مثل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ويوسع عليه ويضيق. (١)

وفي سياق آخر. أورد الطبري في تفسيره ((عن ابن عباس قال: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى، فصالحه على كل ألف دينار ديناراً، وكل ألف شيء شيئاً، أو قال: وكل ألف شاه شاة. قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً، فجمع بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم. فقالوا: أنت كبيرنا وأنت سيدنا، فمرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي، فتجعلوا لها جعلاً، فتقذفه بنفسها، فدعوها فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى، فقال لموسى: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم، فخرج إليهم وهم في براح من الأرض، فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت، أو رجمناه حتى يموت فقال له قارون: إن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا! قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة. قال: ادعوها، فإن قالت، فهو كما قالت؛ فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة، قالت: يا لبيك، قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، وكذبوا، ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي؛ فوثب، فسجد وهو بينهم، فأوحى الله إليه: مر الأرض بما شئت. قال: يا أرض خذيهم! فأخذتهم إلى أقدامهم. ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم. ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى حقيهم، ثم

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (إن قارون كان من قوم موسى...)، ج ٤/١٢٢.

قال: يا أرض خذيههم، فأخذتهم إلى أعناقهم قال: فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ويتضرعون إليه. قال: يا أرض خذيههم، فانطبقت عليهم). (١)

نرى من هذه القصة أن العقوبة الإلهية في الدنيا تقع على من يتهم الأبرياء ويؤذيهم بغير وجه حق ويستتهين بأعراضهم. وإن كانت هذه العقوبة قد حلت بقارون لإيذائه موسى عليه السلام وهو نبي من الأنبياء، واتهامه بالباطل، هناك شواهد في حياة عامة الناس بعقوبات عاجلة لمن يشهد زوراً أو يتهم الأبرياء بالباطل. والقصاص في هذا المجال كثيرة، والأحوال مشاهدة في عموم المجتمعات، ناهيك عما عند الله من عقوبة لمن يظلم الناس ويتهمهم زوراً وبهتاناً.

أذاهم لموسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من بني إسرائيل. فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة وإما آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل. فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه

(١) الطبري، تفسيره، ج ١٠٩/١٠٩ - ١١٠؛ وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ٤/١٨٥؛ انظر عنوان: (قصة قارون مع موسى عليه السلام) عند ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٣٠٩.

فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبراه مما يقولون. وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله! إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (الأحزاب: ٦٩)

(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سواة بعض. وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده. فقالوا: والله! ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر. قال فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر. ففر الحجر بثوبه. قال: فجمع موسى يآثره يقول: ثوبي. حجر! ثوبي. حجر! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى. فقالوا: والله! ما بموسى بأس. فقام الحجر بعد، حتى نظر إليه. قال: فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله! إنه بالحجر ندب ستة أو سبعة، ضرب موسى عليه السلام بالحجر)). (٢).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((قسم النبي ﷺ قسماً فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته. فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر)). (٣).

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حدثني إسحاق بن نصر، ج ٤/١٢٩ - ١٣٠. انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، ج ٧/٩٩.

وانظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٣ - ٥٢٤، برقم: ١١٨٩٧.

(٢) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، ج ٧/٩٩.

وانظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٣ - ٥٢٤، برقم: ١١٨٩٧.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حدثني إسحاق بن نصر، ج ٤/١٣٠.

قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح (الخضر).

«المطالب العالية» للحافظ ابن حجر، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الخضر واليسع. (١)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ لَّكَدَّ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف].

لقاء العبد الصالح الخضر، قال تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف].

طلب موسى عليه السلام مرافقته للعلم، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَ مِنْ مِمَّا عُلِّمَتْ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف].

تحذيره موسى عليه السلام من عدم الصبر، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف].

تعهد موسى عليه السلام بالصبر، قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف].

أمر موسى عليه السلام بعدم الاستعجال بالسؤال، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف].

(١) انظر: ابن حجر، المطالب العالية، كتاب أحاديث الأنبياء، الخضر واليسع، ج ١٤/٢٧٨.

خرق السفينة، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف].

تحذيره من عدم الصبر، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف].

اعتذار موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف].

قتل الغلام، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْنَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف].

تحذير موسى ﷺ مرة أخرى من عدم الصبر، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف].

تعهد مرة أخرى من موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْغِرْ ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف].

جدار القرية، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَابْوَأَنَّ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف].

طلب الخضر للفراق، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف].

سر السفينة، قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف].

سر الغلام، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْعَلْمُ فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنًا فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُعِينًا وَكُفْرًا ۝٨٠ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكْوَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ۝٨١﴾ [الكهف].

سر الجدار، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾ [الكهف].

وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى. (١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أنه تمارى هو والحر بن قيس الفزاري في صاحب موسى. قال ابن عباس: هو خضر. فمر بهما أبي بن كعب، فدعا ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيه. هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينما موسى في ملا من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: لا. فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إليه، فجعل له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه. فكان يتبع الحوت في البحر.

فقال لموسى فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۝﴾. فقال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝﴾ فوجدنا خضرًا، فكان من شأنهما الذي قص الله في كتابه. (٢)

عن سعيد بن جبير قال: ((قلت لابن عباس: إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى إسرائيل، إنما هو موسى آخر. فقال: كذب عدو الله)) .

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى، ج ٤/١٢٦ - ١٢٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى، ج ٤/١٢٦ - ١٢٧.

حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى، لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال أي رب، ومن لي به؟ وربما قال سفيان: أي رب وكيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم وربما قال: فهو ثمه.

وأخذ حوتاً فجعله في مكمل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة، وضعا رؤسهما فرقد موسى، واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾. فأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار مثل الطاق. فقال: هكذا مثل الطاق. فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد ﴿قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله. قال له فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾. فكان للحوت سرّباً، ولهما عجباً. قال له موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾. رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة. فإذا رجل مسجى بثوب. فسلم موسى فرد عليه، فقال: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال نعم. أتيتك لتعلمني ﴿مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا﴾. قال: يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه.

قال: هل أتبعك؟ قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (١٧) ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (١٨) إلى قوله: ﴿مَرًّا﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، كلموهم أن يحملوهم، فعفروا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا في السفينة، جاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو

نقرتين. قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا. قال: فلم ينجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم. فقال له موسى: ما صنعت قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فكانت الأولى من موسى نسيانًا.

فلما خرجًا من البحر، مرًا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا، وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئًا. فقال له موسى: ﴿أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـجِّبْنِي فَدَ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أُنِيَ أَهْلُ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴿٧٧﴾ مَائِلًا: أومأ بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئًا إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر مائلًا إلا مرة. قال قوم: أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَيْلَ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ قال النبي ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر، فقص الله علينا من خبرهما. قال سفيان: قال النبي ﷺ: يرحم الله موسى، لو كان صبر يقص علينا من أمرهما.

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا). (وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين). ثم قال لي سفيان: سمعته منه مرتين، وحفظته منه. قيل لسفيان: حفظته قبل أن تسمعه من عمرو، أو تحفظته من إنسان؟ فقال: ممن أتفظه ورواه أحد عن عمرو غيري، سمعته منه مرتين أو ثلاثا وحفظته منه.. (١)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى، ج٤/١٢٧-١٢٩؛ انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، ج٧/١٠٤-١٠٥.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء)). (١)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، يقول: إن الله يقول في كتابه لموسى بن عمران: «إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين». قال: وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء. قال: فكان موسى يرى أن جميع الأشياء قد أثبتت له، كما ترون أنتم أن علماءكم قد أثبتوا لكم كل شيء كما يثبتوه. فلما انتهى موسى إلى ساحل البحر، لقي العالم فاستنطقه فأقر له بفضل علمه ولم يحسده.

قال له موسى ورغب إليه: «هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً»، فعلم العالم أن موسى لا يطيق صحبته، ولا يصبر على علمه. فقال له العالم: «إنك لا تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً». فقال له موسى وهو يعتذر: «ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً». فعلم أن موسى لا يطيق صحبته، ولا يصبر على علمه، فقال له: «فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً».

فركبا في السفينة فخرقها العالم، وكان خرقها لله رضا، ولموسى سخطاً. ولقي الغلام فقتله، لله رضا. (٢)

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحمة الله علينا وعلى موسى، فبدأ بنفسه، لو كان صبر لقص علينا من خبره، ولكن قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذراً هذا» حديث صحيح

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى، ج ٤/١٢٩: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢٦٤.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٦، برقم: ٤٠٩٥.

على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. (١)

مجمع البحرين قالوا ملتقى بحري فارس والروم من جهة الشرق، أو بإفريقية جهة طنجة. (٢) ولعل المراد مضيق البسفور أو جبل طارق.

حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنه بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله، وأيام الله نعماءه وبلاؤه، إذ قال: ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً أو أعلم مني. قال فأوحى الله إليه. إني أعلم بالخير منه، أو عند من هو. إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك. قال: يا رب! فدني عليه. قال فقبل له: تزود حوتاً مالحاً، فإنه حيث تفقد الحوت. قال: فانطلق هو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة، فعمي عليه. فانطلق وترك فتاه، فاضطرب الحوت في الماء، فجعل لا يلتئم عليه، صار مثل الكوة. قال: فقال فتاه: ألا ألقى نبي الله فأخبره؟ قال فنسي.

فلما تجاوزا قال لفتاه: «أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً». قال: ولم يصبهم نصب تجاوزا. قال فتذكر وقال: «أرأيت إذ أويننا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً». فأراه مكان الحوت. قال: ههنا وصف لي.

قال فذهب يلتمس، فإذا هو بالخضر مسجى ثوبياً، مستلقياً على القفا أو قال على حلاوة القفا. قال: السلام عليكم، فكشف الثوب عن وجهه وقال: وعليكم السلام. من أنت؟ قال: موسى. قال: ومن موسى؟ قال: موسى بنى

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج٢/٦٢٧، برقم: ٤٠٥٩.

(٢) انظر: الطبري، تفسيره، ج٨/٢٤٦؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ج٢/١١٦٢.

إسرائيل. قال: مجيء ما جاء بك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً. شيء أمرت به أن أفعله إذا رأيت له لم تصبر. قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها. قال: انتحى عليها. قال له موسى، عليه السلام: أخرجتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمرأاً. قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً.

فانطلقا حتى إذا لقيا غلماناً يلعبون، قال فانطلق إلى أحدهم بادي الرأي فقتله. فذعر عندها موسى عليه السلام ذعرة منكورة وقال: أقتلت نفساً زاكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عند هذا المكان رحمة الله علينا وعلى موسى. لولا أنه عجل لرأى العجب. ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة. قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني. قد بلغت من لدني عذراً. ولو صبر لرأى العجب. - قال وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه رحمة الله علينا وعلى أخي كذا. رحمة الله علينا. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً، فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما. فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، فأقامه. قال: لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بيني وبينك وأخذ بثوبه. قال: سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً.

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، إلى آخر الآية. فإذا جاء الذي يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها فأصلحوا بخشبة. وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرًا، وكان أبواه قد عطفوا عليه، فلو أنه أدرك أرهقهما طغياناً وكفرًا. فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً. وأما الجدار

فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته. إلى آخر الآية. (١) فضل الله على بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

سؤال الرؤية من بني إسرائيل وهلاكهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِنَابِ أَن تُنزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

عن محمد بن جعفر عن أبيه قال: كان علم الله وحكمته في ذرية إبراهيم، فعند ذلك أتى الله يوسف بن يعقوب ملك الأرض المقدسة، فملك اثنتين وسبعين سنة، وذلك قوله ﷺ: «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض» الآية. فعند ذلك بعث الله موسى وهارون، فأورثهما مشارق الأرض ومغاربها وملكهما ملكاً ناعماً، فملك موسى ومن معه من بني إسرائيل ثماناً وثمانين سنة.

ثم إن الله تعالى أراد أن يرد ذلك عليهم فملكهم مشارق الأرض ومغاربها وآتاهم ملكاً عظيماً حتى سألوا أن ينظروا إلى ربهم، فقالوا: «أرنا الله جهرة»،

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، ج ١٠٧/٧.

وذلك حين رأوا موسى كلمه ربه وسمعوا فطلبوا الرؤية، وكان موسى انتقى خيارهم ليشهدوا له عند بني إسرائيل أن ربه قد كلمه، فقالوا: لن نشهد لك حتى ترينا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.^(١)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة].

إختلاف بني إسرائيل رغم وضوح الحق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مَنَّهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ [هود].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم].

تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم].

طلب الشكر من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لَيْنَ شَكْرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣١، برقم: ٤١٠٦.

معصيتهم. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة].

وقد تمثل الصحابة رضي الله عنهم هذه الآية، فحينما علم صلى الله عليه وسلم بتحرك قريش جمع الصحابة يستشيرهم، قائلاً لهم: ((أشيروا علي أيها الناس))، وكان من المتكلمين المقداد بن عمرو رضي الله عنه الذي قال: «يا رسول الله والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه» (١).

كان موقف موسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٨] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة].

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطةً فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة)) (٢).

قوم موسى عليه السلام في التيه.

حكم الله عليهم بالتية في سيناء (٣) كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة].

(١) انظر: ابن هشام السيرة النبوية ج ٢/٢١٥؛ وقارن بحديث البخاري (فتح الباري)، ج ١٥١/١٥١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حدثني إسحاق بن نصر، ج ٤/١٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ٣٨٨؛ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٢٧٢.

عيون ماء من الله ومن وسلوى رحمة بهم، قال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ أَنْتَىٰ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ [الأعراف].

من نعمُ الله عليهم في التيه، قال تعالى: ﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة].

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة].

طلبهم المزيد من الطعام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَاطِهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهِيطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة].

قسوة قلوب بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة].

تزويرهم الكتاب، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة].

غرورهم بقلة العذاب عليهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ بكلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطَبْتَهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة].

الوصايا لبني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة].

عصيان بني إسرائيل.

وتفضيلهم الدنيا على الآخرة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِكُمْ تَطَاهُرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة].

قصة التابوت.

من بعد موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة].

أخذ العهد عليهم للإيمان بمحمد عليه السلام وسنته.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف].

موقفهم من نبينا محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة].

معرفتهم بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة].

تذكير لأمة محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة].

الوعيد لبني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُوءُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَقَطَعْنَا لَهُمُ الْأَرْضَ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونِ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا

فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَةُ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف].

من بني إسرائيل مهتدون.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

علو بني إسرائيل وإفسادهم.

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْأَخْرَةِ لِسْتَعُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلُوا تَبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء].

وقد تكلم الكثيرون عن هذه الآيات، وربطها البعض بواقع القدس وفلسطين حالياً، كما ربطها آخرون بأيام بختنصر البابلي الماضية. وأنا أرى التوقف في هذا الأمر، فقد تابعت بعضهم وما قالوه، ورأيتهما اجتهادات لا محل لها، والله أعلم.

تجمع بني إسرائيل في أرض الأنبياء قبيل القيامة.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْأَخْرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء].

بيت المقدس والمسجد الحرام.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

نظرة اليهود والنصارى بعضهم لبعض.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة].

علاقته ﷺ بموسى.

في معرفته به وكلامه ﷺ عن موسى روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ((فرجع النبي ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده، فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان رجلاً تنصر، يقرأ الإنجيل بالعربية. فقال ورقة: ماذا ترى؟ فأخبره. فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً)). والناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره. (١)

تقديره ﷺ لموسى عليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)) ونسبه إلى أبيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً ﷺ على العالمين - في قسم يقسم به -

(١) البخاري، صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وقال رجل مؤمن من آل فرعون... ج ٤/١٢٤.

فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي. فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم. فقال: لا تخيروني على موسى؛ فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش. فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله). (١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((خرج علينا النبي ﷺ يوماً قال: عرضت علي الأمم، ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل: هذا موسى في قومه)). (٢).
وعند مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم. (٣).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: استبَّ رجلان: رجل من اليهود ورجل من المسلمين. فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على العالمين! وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى عليه السلام على العالمين! قال: فرفع المسلم يده عند ذلك. فلطم وجه اليهودي. فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تخيروني على موسى؛ فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق. فإذا موسى باطش بجانب العرش. فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله». (٤).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)). (٥).

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ج ٤/١٣١؛ انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج ٧/١٠٠-١٠١.
(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ج ٤/١٣١.
(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج ٧/٩٩.
(٤) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج ٧/٩٩.
(٥) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج ٧/١٠٢.

حج موسى ﷺ كما حج غيره من الأنبياء، ووردت الرواية عن كثير منهم، وخصوصاً من جاء بعد إبراهيم ﷺ وشارك في إجابة دعوته.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج موسى ﷺ ينادي: لبيك، وجبال الروحاء تجيبه. (١)

وفاة هارون ﷺ.

عند الحاكم في المستدرک باب ذكر وفاة هارون بن عمران فإنه مات قبل موسى ﷺ. (٢)

عن علي رضي الله عنه في قوله ﷺ: لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا قال: صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حباً لنا منك وألين لنا منك فأذوه بذلك. فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا على بني إسرائيل، فتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنو إسرائيل أنه قد مات فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله ﷺ... (٣)

عن وهب بن منبه قال: ونعى الله هارون لموسى حين أراد الله أن يقبضه، فلما نعا له حزن، فلما قبض جزع جزعاً شديداً وبكى بكاء طويلاً، فلما عاد في ذلك أقبل الله تعالى عليه يعزيه ويعظه فقال له: يا موسى ما كان ينبغي لك أن تحن إلى فقد شيء معي ولا أن تستأنس بغيري، ولا أن تشد ركبك إلا بي، ولا أن يكون جزعك هذا الآن على هارون إلا لي، وكيف تستوحش إلى شيء

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٦، برقم: ١١٨٨٥.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٢.

(٣) انظر: ابن حجر، المطالب العالیه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أخبار موسى وهارون، ج ١٤/٢٥٧، برقم: ٣٤٥٥.

من الأشياء، وأنت تسمع كلامي أم كيف تحن إلى فقد شيء من الدنيا بعد إذ اصطفتيك برسالاتي وبكلامي وذكر مناجاة طويلة قال وقبض هارون وموسى ابن سبع عشرة ومئة سنة قبل أن ينقضي التيه بثلاث سنين، وقبض هارون وهو ابن عشرين ومئة سنة بقي موسى بعده ثلاث سنين حتى، تم له مئة وعشرون سنة وبنو إسرائيل متفرقون عليه يجتمعون عليه مرة ويفترقون أخرى. (١)

عن ابن عباس رضي الله عنه وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، إن الله أوحى إلى موسى بن عمران إني متوفي هارون، فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل، فإذا هم بشجرة مثلها بيت مبني، وإذا هم فيه بسرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيب، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجب، وقال: يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: فتم عليه، قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي. قال له موسى: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فتم، فقال: يا موسى بل نم معي، فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً، فلما ناما أخذ هارون الموت، فلما وجد حسه، قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له، وكان هارون ألف عندهم وألين لهم من موسى، وكان في موسى بعض الغلظ عليهم فلما بلغه ذلك، قال لهم: ويحكم إنه كان أخي أفتروني أقتله؟ فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين، ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه. (٢)

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٢، برقم: ٤١٠٨.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٢ - ٦٢٣، برقم: ٤١٠٩.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن علي رضي الله عنه في قوله عَلَيْكَ: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا قال: صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته كان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك فأذوه في ذلك، فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل حتى علموا بموته فدفنوه ولم يعرف قبره إلا الرخم وإن الله جعله أصم أبكم. (١)

وفاة موسى عليه السلام.

في المستدرک علی الصحیحین، کتاب تواریخ المتقدّمین من الأنبياء والمرسلین، ذکر وفاة موسى عليه السلام. (٢)

عن وهب بن منبه قال: ذكر لي أنه كان من أمر وفاة صفي الله موسى صلى الله عليه وسلم أنه إنما كان يستظل في عريش ويأكل ويشرب في نقير من حجر، كما يكرع الدابة في ذلك، (ينقع) فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذاً وشراباً، مسكراً النقير تواضعاً لله حتى أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه.

فكان من أمر وفاته أنه خرج يوماً من عريشه ذلك لبعض حاجته، ولا يعلم أحد من خلق الله، فمر برهط من الملائكة يحضرون قبراً فعرفهم فأقبل إليهم حتى وقف عليهم، فإذا هم يحضرون قبراً. ولم ير شيئاً قط أحسن منه، مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة. فقال لهم: يا ملائكة الله، لمن تحضرون هذا القبر؟ قالوا: نحضره والله لعبد كريم على ربه.

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٦٤٦/٢، برقم: ٤١١٠.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٦٢٤/٢.

فقال: إن هذا العبد من الله بمنزل ما رأيت كاليوم مضجعاً ولا مدخلاً، وذلك حين حضر من الله ما حضر في قبضه. فقالت له الملائكة: يا صفي الله، أتحب أن تكون ذلك؟ قال: وددت. قالوا: فانزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربك، ثم تنفس أسهل تنفس تنفسه قط.

فنزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه، ثم تنفس، فقبض الله روحه. ثم صلت عليه الملائكة. وكان صفي الله موسى صلى الله عليه وسلم زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة. (١)
كما عند البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد. (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. قال: فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر.)) (٣)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أتيت - وفي رواية: مررت - على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره)) (٤)

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٤، برقم: ٤١١٢.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ج ٤/١٣٠.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ج ٤/١٣٠ - ١٣١؛ وانظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج ٧/٩٩.

(٤) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج ٧/١٠٢.





داود وسليمان عليهما السلام

فضلهما ونسبهما عليهما السلام.

داود عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام، وسليمان ابنه، وهما من أبرز ملوك بني إسرائيل في بيت المقدس، وأنبيائهم.

عن وهب بن منبه هو داود بن إيشا بن عويد بن باعر بن سلمون بن يحسون ابن يارب بن رام بن حضرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. (١)

وفي الوقت نفسه كان داود عليه السلام نبياً مرسلًا. وقد ورد الحديث عنه في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً. (٢)

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَّ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء].

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب). (٣)

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٤٠، برقم: ٤١٣٠.

(٢) عبدالوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٣٦١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)، ج ٤/١٣٤.

عند الحاكم في المستدرك على الصحيحين، تحت عنوان: في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، (ذكر نبي الله داود صاحب الزبور ﷺ). (١)

كما عند ابن أبي شيبة في المصنف، ما ذكر من أمر داود ﷺ وتواضعه. (٢)

صفته ﷺ.

عن وهب بن منبه قال: وكان رجلاً قصيراً، أزرق، قليل الشعر، طاهر القلب، فقيهاً. (٣)

مكانه ﷺ.

كان داود جندياً في أول حياته، وساهم في الجهاد ضد أعداء أمته، وسعى لتأمينها في موطنها زمن الملك طالوت، الذي بعثه الله ملكاً على بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

تدرج في العمل مع طالوت، وصاهره، وبرز حتى اختاره بنو إسرائيل ملكاً عليهم بعد موت صهره طالوت. وبعد أحداث متفرقة وطويلة لا نجد لها حديثاً في القرآن ولا في السنة النبوية، ولا عند المؤرخين المسلمين، سوى ما نقل لنا من الإسرائيليات. (٤)

(١) انظر: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج ٢/٦٤٠.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥٤، رقم الباب: ٢٠٥٥.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج ٢/٦٤٠، برقم: ٤١٣٠.

(٤) الطبري، تاريخه، ج ١/٢٤٨، الطبري، تفسيره، ج ١/٦٢١: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/٩؛ وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ١/٢٦٧؛ محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٤٥؛ وانظر: العهد القديم، سفر صمويل الأول، ص ٧، ٨؛ وكينيث كانتزر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥٧٢.

زمانه وحكمه ﷺ.

كان حكمه سنة (١٠١٠) ق. م، ووفاته سنة (٩٧٠) ق. م. (١)

كان نبي الله داود خليفة في الأرض كما ورد في القرآن الكريم، مهمته إقامة الحق والعدل والإنصاف بين الناس، كي يسود الأمن وتنتظم الحياة. وقد أشار القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدْ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

كان ملكه ﷺ قوياً ثابتاً. يقول تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص].

كان حكم داود ﷺ مميزاً، شده الله وأنعم عليه بالحكمة وفصل الخطاب، ولعل ذلك يعني وضوحه وتميزه.

يذكر المفسرون أسباباً عديدة لشدة ملكه، منها أن الله ألهمه في الحكم بقضايا معينة بين الناس، فثبت لهم قوته وحزمه، وتأديبه للمجرمين، فكان حكمه قوياً مهيباً، والأمن سائد بين رعيته في سائر أنحاء مملكته. (٢)

عن السدي، في قوله ﷺ «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ» قال: كان يحرسه كل يوم و ليلة أربعة آلاف أربعة آلاف. قال السدي: وكان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام؛ يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادته، ويوماً يخلو فيه لنسائه. (٣)

(١) كينيث كانتزر وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص٦؛ عبد الفني عبود، أنبياء الله في الحياة المعاصرة، ص ٥٧؛ سامي المغلوث، أطلس الأنبياء، ص ٥٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ج ١/٢٤٨؛ الطبري، تفسيره، ج ١٠/٥٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/١٢؛ وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ج ١/٢٦٧.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٤١، برقم: ٤١٣٤.

وقد أقام مملكة قوية للإسلام يحكم فيها بشرع الله في الشام عمومًا، وفلسطين وما حولها خصوصًا.

وحول الأرض التي حكمها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥) [الأنبياء].

وهذا يعني داود ومن آمن معه في زمانه ومن بعده، وكذلك محمد ﷺ والفاثين من أصحابه، وهم ورثة داود والمؤمنين معه، من قبله ومن بعده.

عمله بيده ﷺ.

علمه الله ﷺ صناعة الدروع، وهي ملابس وقائية يلبسها المقاتلون ليأمنوا من ضربات الأعداء، ولتحمي أجسادهم من السيوف والرماح وغيرها من الأسلحة الجارحة. وقد عرفت صناعة الدروع من حلقات السلاسل لأول مرة على يد داود ﷺ. (١)

يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠) [الأنبياء].

ويقول تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَدِاحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١) [سبأ].

وأما أكله من عمل يده مع ملكة وما بين يديه من أموال ففيه عن البخاري أنه: ((لا يأكل إلا من عمل يده)) (٢)

(١) الطبري، تفسيره، ج ١٠/٢٥١؛ الشوكاني، فتح القدير، ج ٣/٤١٩.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا)، ج ٤/١٣٣.

كما ورد: أن داود عليه السلام كان يخطب الناس وفي يده القفة من الخوص، فإذا فرغ ناولها بعض من إلى جنبه يبيعهها. (١)

الزبور.

أوتي عليه السلام الزبور، وهو من الكتب المنزلة من الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۗ﴾ [الإسراء: ٥٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((خفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ...)). (٢)

تردد معه الجبال ذكر الله ﷻ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُولِي مَعَهُ، وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهِ الْحَدِيدِ ۗ﴾ [سبأ].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «يا جبال أوبي معه»، قال: سبحي. (٣)

وعند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ الزبور الكتب، واحدها زبور زبرت كتبت ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُولِي مَعَهُ﴾ قال مجاهد: سبحي معه ﴿وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهِ الْحَدِيدِ ۗ﴾ ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبَّغَتْ﴾ الدروع ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ المسامير والحلق، ولا يدق المسمار فيتسلسل ولا يعظم فيفصم ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. (٤)

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥١، برقم: ١١٩٣٦.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا)، ج ٤/١٣٣.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥٩، برقم: ١١٩٤٧.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا)، ج ٤/١٣٣.

وهذا التفصيل في الباب دليل على سعة علم البخاري رحمته الله وشمول بابه لأحداث كثيرة وأخبار مختلفة عن داود عليه السلام.

تأديب الله له.

بعد أن احتاج لذلك في قضية اختلف المؤرخون والمفسرون فيها، وأخطأ اليهود في حق نبيهم، حيث نسبوا له فعلاً شنيعاً لا يصدر من عامة الناس، ولا يصدر إلا عن المجرمين العصاة، فكيف بنبي طاهر مصطفى. ولذلك احترم علماء المسلمين داود عليه السلام أكثر مما احترمه بنو إسرائيل أنفسهم،^(١) ونزهه المسلمون عن قولهم.

فتنة داود عليه السلام.

ورد في الآيات عن داود عليه السلام حين بعث الله إليه بعضاً من الملائكة على شكل خصماء جاءوا ليحكم بينهم في الظاهر، لكنهم في الحقيقة جاءوا ليعرفوه بخطئه ويوجهوه إلى الصواب. وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْمِحْرَابَ ۝١١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝١٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝١٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ الْخَالِطَاءِ يُعِينِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝١٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ۝١٥﴾ [ص].

(١) يستحي الإنسان أن يورد ما قاله بنو إسرائيل عن نبيهم داود عليه السلام لو كان عن أي إنسان آخر فما بالك بنسبته لنبي. وقد تحدثت أسفار العهد القديم عن ذلك، بوقاحة تتم عن سوء أدب ممن حرفوا كتابهم، انظر: سفر صمويل الثاني، ص ١١؛ وكينيث كينتز وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٦٦١. ومحمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٤٩؛ محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٥٦؛ وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢/٢.

عن سعيد بن جبير، قال: إنما كانت فتنة داود النظر. (١)

عن مجاهد قال: أنه لما أبصرها أمر بها فعزلها فلم يقربها، فأتاه الخصمان فتسوروا في المحراب، فلما أبصرهما قام إليهما فقال: اخرجا عني، ما جاء بكما إلي؟ فقالا: إنما نكلمك بكلام يسير، إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وهو يريد أن يأخذها مني، قال: فقال داود **الْكَلْبَلَاءُ**: واللّٰهُ إنه أحق أن ينشر منه من لدن هذه إلى هذه يعني من أنفه إلى صدره، فقال الرجل: هذا داود قد فعله فعرف داود **الْكَلْبَلَاءُ** إنما يُعني بذلك، وعرف ذنبه فخر ساجداً أربعين يوماً وأربعين ليلة، وكانت خطيئته مكتوبة في يده، ينظر إليها لكي لا يفضل حتى نبت البقل حوله من دموعه ما غطى رأسه، فنادى بعد أربعين يوماً: قرح الجبين وجمدت العين وداود **الْكَلْبَلَاءُ** لم يرجع إليه في خطيئة شيء، فنودي: أجاجع فتطعم أم عريان فتكسى أم مظلوم فتنصر، قال: فنجب نعبة هاج ما يليه من البقل حين لم يذكر ذنبه فعند ذلك غفر له... (٢)

عن أبي الأحوص، قال: دخل الخصمان على داود **الْكَلْبَلَاءُ** وكل واحد منهما أخذ برأس صاحبه. (٣)

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إلى قوله ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ قال مجاهد الفهم في القضاء ﴿وَلَا تُشْطِطُ﴾ لا تسرف ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٣٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً يقال للمرأة نعجة ويقال لها أيضاً شاة ﴿وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ مثل ﴿وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا﴾ ضمها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني صار أعز مني أعزته جعلته عزيزاً ﴿فِي الْخُطَابِ﴾ يقال

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥٤، برقم: ١١٩٤١.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥٢-٥٥٣، برقم: ١١٩٢٧.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥٣، برقم: ١١٩٤٠.

المحاورة ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِّكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الشركاء ﴿يَبْغِي﴾ إلى قوله: ﴿أَنَّمَا فَنَنَّهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما اختبرناه وقرأ عمر (فتناه) بتشديد التاء ﴿فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾. (١)

وقد ورد أنه: ما رفع داود عليه السلام رأسه إلى السماء حتى مات. (٢)

وقيل: بكى من خطيئته حتى هاج ما حوله من دموعه. (٣)

كما كان داود عليه السلام إذا قرب الإناء من فيه ليشرب، فذكر خطيئته بكى حتى يفيض الأناء من دموعه. (٤)

عبادته عليه السلام.

عرف عليه السلام بكثرة التسبيح وتسبيح الخلائق معه، من طير وجبال.

قال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشَرَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص].

أما صيامه فهو أفضل الصيام، كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال له صلى الله عليه وسلم: ((فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ، وَهُوَ عَدْلُ الصِّيَامِ قُلْتُ: إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)) (٥).

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)، ج٤/١٣٥.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج١١/٥٥٤، برقم: ١١٩٤٢.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج١١/٥٥٩ - ٥٦٠، برقم: ١١٩٤٨.

(٤) انظر: ابن حجر، المطالب العالية، باب ذكر داود، ج١٤/٢٦٦، برقم: ٣٤٥٩.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وأتينا داود زبورًا)، ج٤/١٣٤.

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أحب الصيام إلى الله صيام داود . كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه)) .^(١)

وعند البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود) ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً .^(٢)

كما كان مجاهداً في سبيل الله ، وقصة قتله لجالوت ملك العماليق مرت بنا في الآيات القرآنية . وقد وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يفر إذا لاقى .^(٣)

كان قومه من بني إسرائيل عصاة لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فدعا عليهم . قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة] .

وشكر الله من أعظم العبادات ، وهي من أعمال داود وآله . قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِحَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ] .

وقد روي أن داود نبي الله جزأ الصلاة على بيوته على نسائه وولده ، فلم تكن تأتي ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان قائم من آل داود يصلي ، فعمتهم هذه الآية « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور » .^(٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، ج ٤ / ١٣٤ .

(٢) انظر: البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، ج ٤ / ١٣٤ .

(٣) انظر: البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، ج ٤ / ١٣٤ .

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة ، المصنف ، ج ١١ / ٥٥٣ ، برقم: ١١٩٣٨ .

ومع ملك داود عليه السلام فقد عرف بالتواضع، فقد وضع ابن أبي شيبة في مصنفه: ما ذكر من أمر داود عليه السلام وتواضعه. (١)

كما أنه بنى المسجد الأقصى ومحرابه فيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت للعباس دار قريبة من المسجد، فسأله عمر فقال: أعطينيها أو بعنيها لأدخلها المسجد، فأبى، وقال عمر: فاجعل بيني وبينك رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل أبي بن كعب، ففضى على عمر، فقال عمر: إنك من أجرأ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ قال: أو من أنصحهم لك يا أمير المؤمنين، ثم قال: أو ما علمت أن داود أمر ببناء بيت المقدس فأدخل بيوتاً بغير إذن أهلها... (٢)

وحين دخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس فاتحاً، طهر ونظف محراب داود وصلى فيه تحية المسجد، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد،.. وقد استدل على مكانها من كعب الأحرار،... نقل التراب والقمامة عن الصخرة في طرف رداءه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وكان النصراني من أهل بيت المقدس حوّلوا المكان لمزبلة. (٣)



(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٥١، برقم: ١١٩٣٦.
 (٢) انظر: ابن حجر، المطالب العلية، باب ذكر داود، ج ١٤/٢٦١ - ٢٦٤، برقم: ٢٤٥٨.
 (٣) الطبري، تاريخه، ج ٤/١٦٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧/٥٥ - ٥٦.

سليمان بن داود عليه السلام

وهب الله لعبده داود ابناً صالحاً عالماً نبياً، نعم العون لأبيه على إقامة العدل والحق والإنصاف بين الناس. (١)

وأثنى الله عليه في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٠) [ص].

عند البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء عنوان شامل لجوانب كثيرة في حياة سليمان بن داود عليه السلام: باب قول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ الرجوع المنيب وقوله: ﴿ وَهَبَ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ وقوله: ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ﴿ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ ﴾ أذنب له عين الحديد ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ مِن مَّحْرِبٍ ﴾ قال مجاهد: بنيان ما دون القصور ﴿ وَتَمَثَّلَ وَجْهَانِ كَالْجَوَابِ ﴾ كالحياض للإبل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كالجوبة من الأرض ﴿ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ (١٣) ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمُهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ الأرضة ﴿ تَأْكُلُ مِنْ سَائِهِ ﴾ عصاه ﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾ إلى قوله: ﴿ الْمُهَيْنِ ﴾ ﴿ حُبُّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (٣٢) ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ (٣٣) يمسح أعراف الخيل وعراقبيها ﴿ الْأَصْفَادِ ﴾ الوثاق. قال مجاهد: ﴿ الصَّفِنْتُ ﴾ صفن الفرس رفع إحدى رجليه حتى تكون على طرف الحافر، ﴿ الْجِيَادُ ﴾ السراع ﴿ جَسَدًا ﴾ شيطاناً ﴿ مَضَاءً ﴾ طيبة ﴿ حَيْثُ ﴾

(١) الطبري، تفسيره، ج ١٠/٥٧٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢؛ وانظر: اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٥٧.

أَصَابَ ﴿ حيث شاء ﴿ فَاَمَّنُّنْ ﴾ أعط ﴿ بَغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بغير حرج. (١)

وعند الحاكم في المستدرک: ذکر نبي الله سليمان بن داود وما آتاه الله من الملك ﷺ. (٢)

للحافظ ابن حجر في المطالب العالیه، كتاب أحاديث الأنبياء: (باب ذکر داود). (٣)

خلافة سليمان لداود ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل].

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰئَهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل].

عن ابن عباس ﷺ، قال: مات داود ﷺ يوم السبت فجاءة، فعكفت الطير عليه تظله. (٤)

نعم الله على سليمان ﷺ.

وفي المصنف لابن أبي شيبة عنوان: (ما أعطى الله سليمان بن داود ﷺ). (٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)، ج ١٣٦/٤ - ١٣٧.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٦٤٣/٢.

(٣) انظر: ابن حجر، المطالب العالیه، باب ذکر داود، ج ٢٦١/١٤.

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ٥٥٩/١١، برقم: ١١٩٤٥.

(٥) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ٥٣٥/١١، برقم: ٢٠٥٠.

قال تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوُصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء].

قال تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَ الرَّيْحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم مِّنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ، مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ((إن عفريتاً من الجن تفلت بالبارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: «رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي» فرددته خاسئاً)) (١).

لقد أتى الله سليمان عليه السلام قوة من الجند كانت له سيطرة عليهم، منهم الإنس ومنهم الجن ومنهم الطير، (٢) والله تعالى على كل شيء قدير. ونحن نرى في الوقت الحاضر مقدره بعض القوات أو الأجهزة الأمنية والعسكرية على استخدام الطيور أو الدلافين أو الكلاب لمهام أمنية وعسكرية نتيجة لأبحاث وتدريب. كما نرى أن الأبحاث أثبتت أن للطيور والحيوانات لغة مشتركة ومفهومة. وإذا كانت هذه جهود البشر اكتشفت بعض الأمور واستطاعت الاستفادة من هذه المخلوقات بشكل أو آخر فإن الله تعالى أعلى وأجل وأعلم وأقدر على تسخيرها لسليمان ولغيره، يقول الله تعالى: ﴿وَحِشْرَ لَسَلِمْنَ جُنُودَهُ مِن

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)،

ج ١٣٦/٤.

(٢) الطبري، تفسيره، ج ٩/٥٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٠/٢؛ محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٧٧.

الْحِجْنَ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ [النمل].

كانوا على علم وقدرة للتفاهم مع بعض المخلوقات من الطيور والحشرات^(١) وغيرها، يفهمون لغتها ويستفيدون منها في بعض المهمات.^(٢) يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [النمل]. وهذه الآية تؤكد أن للطير منطق، وهذا ما أظهره العلم الحديث.

ويتحدث القرآن عن حادثة لسليمان وجنده مع النمل، بينت شكر سليمان لله - تعالى - على تسخير المخلوقات له، وعلى إرجاعه هذا الفضل وهذه القوة لله. يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم مِّنْ هَاهُنَا وَلَا يَحِطْ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسًا ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل].

وبينت آيات القرآن الكريم استفادة سليمان ﷺ من طائر الهدهد، وهو من الطيور المشهورة في الحصول على الأخبار^(٣) ومتابعة الجرائم، وأعظمها عند سليمان ﷺ وعند الأنبياء جميعاً جريمة الشرك. وبينت ما قام به هذا الطائر من دور في حمل رسالة من سليمان لمن يحتاجون لذلك. يقول تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٠/٢.

(٢) الطبري، تفسيره، ج ٥٠٢/٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥/٢ و ١٨.

(٣) الطبري، تاريخه، ج ٣٥٤/١؛ الطبري، تفسيره، ج ٥٠٦/٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢٢/٢؛ محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٦٦.

شَكِيدًا أَوْ لَا أذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَحِثُّكَ مِنْ سَبِّ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا بِسُجُودٍ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكَلْبِي هَذَا فَأَلْفَهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِلَيَّ الْغَيْبِ إِنِّي أَكْذِبُ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوْا مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴿النمل﴾.

كانت هذه المرأة، ملكة لسبأ اليمنية، حكيمة في قيادتها،^(١) حريصة على أمن قومها، ولذلك بادرت بجمعهم واستشارتهم فيما ينبغي أن تكون عليه تصرفاتها حول رسالة سليمان وتهديده لبلادها، فاستشارتهم بقولها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿النمل﴾.

فجاء الجواب من مستشاريها، قال تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدِ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿النمل﴾.

ومن هنا يتضح أنهم فوضوها، فطرحت عليهم قضية أمن بلدها عموماً، وما يمكن أن يحدث فيها من فساد نتيجة معاندة سليمان ودخوله لبلادها بالقوة، وما يحدث من اضطراب عام وفساد في حال الاحتلال.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿النمل﴾.

(١) الطبري، تاريخه، ج ١/٣٥٥؛ الطبري، تفسيره، ج ٩/٥١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٢.

ولذلك حاولت ملاطفة سليمان بالمال، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٢٥) [النمل].

وإني مرسلَةٌ إليهم بهدية، قالوا: كانت هديتها لبنة من ذهب. (١)
وسليمان عليه السلام لم يكن هدفه المال، (٢) وإنما الإسلام ودعوة التوحيد وترك الشرك. تلك أهم أهدافه، ولذلك فقد احتج على إرسال المال، وبين غناه عن ذلك، وأن المبدأ عنده هو الأهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ فَفَرِحُونَ﴾ (٣٦) [النمل].

عن ابن عباس عليه السلام، وإني مرسلَةٌ إليهم بهدية، قال: أرسلت بذهب أو لبنة من ذهب، فلما قدموا إذا حيطان المدينة من ذهب، فذلك قوله: «أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم» الآية. (٣)

واستمر عليه السلام في تهديد أمن بلقيس، وأمن بلادها، إن لم تسلم وتستسلم وتستقيم على منهج الله الحق والعدل، قال تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِمِجُودِ لَأَ قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣٧) [النمل].

وقد انتهت تلك المراسلات باعتراف ملكة سبأ بالحق والعدل، وإيمانها بالله وإقرارها بذلك. (٤) يقول تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٩ - ٥٤٠، برقم: ١١٩١٠.

(٢) أشارت أسفار العهد القديم إلى قصة سليمان مع ملكة سبأ، إلا أنهم أساءوا الأدب مع سليمان كعادة اليهود مع أنبيائهم، حيث جعلوا هدف سليمان المال والذهب، وهذا مخالف لما ذكره القرآن من إنكار سليمان رغبته في المال. (انظر: سفر الملوك، ص ١٠)؛ وانظر: دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ١٦٨.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٩ - ٥٤٠، برقم: ١١٩١٠.

(٤) الطبري، تاريخه، ج ١/٢٥٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/٢٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٢٤؛ محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٣٧١.

سُلَيْمَنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ [النمل: من الآية ٤٤].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: اسمها بلقيس بنت ذي شيرة وكانت هلباء شعراء. (١)

وقيل تفقد الطير فلم يجد الهدهد فتوعده، وكان عذابه نتفه وتشميسه. قال: فلما جاء استقبله الطير فقالوا: قد توعدك سليمان، فقال الهدهد: هل استثنى؟ قالوا: نعم، إلا أن يجيء بعذر، وكان عذره أن جاء بخبر صاحبة سبأ. قال: فكتب إليهم أنه من سليمان: بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين. قال: فأقبلت بلقيس، فلما كانت على قدر فرسخ، قال سليمان: أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟ قال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإني عليه لقوي أمين. فقال: أريد أعجل من ذلك، فقال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. ثم أنه دخل في نفق تحت الأرض فجاءه به.

قال سليمان: غيروه، فلما جاءت قيل لها: هكذا عرشك؟ قال: فجعلت تعرف وتتكبر، وعجبت من سرعته، وقالت: كأنه هو. قيل لها: ادخلي الصرح. فلما رأته حسبته لجة، وكشفت عن ساقها، فإذا امرأة شعراء. قال: فقال سليمان: ما يذهب هذا؟ قالوا: النورة، قال: فجعلت النورة يومئذ. (٢)

عن ابن عباس رضي الله عنه، قبل أن تقوم من مقامك، قال: مجلس الرجل الذي يجلس فيه حتى يخرج من عنده. (٣)

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٩، برقم: ١١٩٠٨.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٦-٥٢٨، برقم: ١١٩٠٢.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٨، برقم: ١١٩٠٤.

عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قبل أن يردد إليك طرفك، قال: رفع طرفه، فلم يرجع إليه طرفه حتى نظر إلى العرش بين يديه. (١)

وقد ورد أنه لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم في شيء من القرآن إلا في سورة النمل، إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم. (٢)

وقد كان عسكره كثيرًا جدًا فيه مع الأنس الكثير من الخلائق. (٣)

وكان يدعو الطير فتظلمهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر. (٤)

وقيل إنه ملك الأرض أربعة: سليمان بن داود، وذو القرنين حلوان، ورجل آخر... (٥)

قال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۖ وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرٍ ۗ وَآخَرِينَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۗ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۗ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَكَابٍ ۗ ﴾ [ص].

وروي أنه لما سخرت الريح لسليمان بن داود عليه السلام، كان يغدو من بيت المقدس فيقيل بقرير، ثم يروح فيبيت في كابل. (٦)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل الله. فقال له

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٨ - ٥٢٩، برقم: ١١٩٠٦.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٢٨، برقم: ١١٩٠٥.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٤٤، برقم: ٤١٤١.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٤٤، برقم: ٤١٤٢.

(٥) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٤٥، برقم: ٤١٤٣.

(٦) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٣٥، برقم: ١١٨٩٩.

صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً إحدى شقيه.
فقال النبي ﷺ: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله). (١).

كان سليمان يُعد الخيل الخاصة بالجهاد، وما يرتبط بالقوة وقيام دولته
بواجب الدعوة وحمائتها وإرهاب الأعداء. فكان يتفقد الخيول وما يتبع ذلك
من استعداد بنفسه ﷺ. يقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَيسِيِّ الصِّفْنَتَ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص].

عرض على سليمان ﷺ، الصافنات وهي التي تستعرض وتقف على
ثلاث، وطرف حافر الرابعة، والجياد السراع.

قال بعده ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ المعنى أنه قال: والله لا
تشغليني عن عبادة ربي، ثم أمر بها فجعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها
وحبالها.

فما كان ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالاً من ماله بلا سبب سوى أنه
اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها. (٢).

ويتحدث المفسرون والمؤرخون عن بلوى تعرض لها سليمان ﷺ في محاولة
اغتصاب للملك والحكم منه، وأن الله ﷻ أعانه وأعاد إليه ملكه بعد فترة
ابتلاء، وردت فيها قصص كثيرة محل نظر. (٣).

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)،
ج ١٣٦/٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١٦٠٥/٢، وله رأي آخر.

(٣) الطبري، تفسيره، ج ٥٨١/٩؛ ابن كثير، تفسيره، ج ١٦٠٥ - ١٦٠٧.

ويستدلون على هذه المرحلة العصبية من حياة سليمان وما مر به من فتنة، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص].

قضاء سليمان ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء].

عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ﷺ: «وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم» قال: كرم قد أنبتت عناقيده فأفسدته الغنم، قال: ففضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله، قال: وما ذلك؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان، دفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها. قال الله ﷻ: ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً. (١)

كان سليمان تلميذاً لأبيه داود في كل شيء، لكنه تلميذ كاد أن يتفوق عليه، وخصوصاً في القضاء والحكم بين الناس وإقامة العدل بينهم. (٢) وهذا من أهم أسباب الأمن في مملكته التي ورثها عن أبيه، وقد تفضل الله على سليمان وعلى أبيه بأن علمهم علوماً لا يعرفها كثير من الناس.

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٤٣، برقم: ٤١٣٨؛ انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف،

ج ١١/٥٥٤-٥٥٨، برقم: ١١٩٤٣.

(٢) محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن، ص ٥٠.

شارك سليمان عليه السلام مع أبيه في الحكم بين الناس، وإقامة العدل بين الناس في زمانه، في مجتمع يتكون من الرعاة ومن المزارعين. وكانت تحصل بينهم بعض المشكلات، وقد اعتدى بعض الرعاة بأغنامهم على مزرعة عنب لأناس اشتكواهم إلى الملك داود، وهو القاضي بين الناس في زمانه. وكان سليمان يحضر مجلسه بعد أن بلغ مبلغ الرجال ويشارك في القضاء والحكم بين الناس، حتى يعرف كل منهم حقه ويعم الأمن بينهم. وحينما استمع داود وسليمان للقضية المعروضة عليهما اختلفت وجهات النظر بينهما، فكان الحكم الصائب مع سليمان عليه السلام مع اجتهاد داود وفضله وعلمه. وكان فيه تأديب للمعتدين من الرعاة وتعويض لأصحاب الحرث. ^(١) يقول الله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء].

وورد أن الله أوحى إلى داود أن أستودع نور الله وحكمته ما ظهر منها وما بطن إلى ابنك سليمان بن داود، ففعل. ^(٢)

وعطف عليه بعض العطف وأحبه، ثم كانت قصة أصحاب الحرث التي مرّت بنا.

وروي أنه: ((كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتهما: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود، ففرضى به للكبرى. فخرجتا على سليمان بن داود

(١) محمد الفقي، قصص الأنبياء، ص ٢٧٦.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٤٢، برقم: ٤١٣٥.

فأخبرته، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها. فقضى به للصغرى. قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية ((^(١)).

وفاة سليمان عليه السلام.

أشارت الآيات القرآنية إلى وفاة سليمان عليه السلام. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ [سبأ].

ذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام، وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئاً على عصاه، وهي منسأته. فلما أكلتها دابة الأرض، وهي الأرضة، ضعفت وسقطت إلى الأرض، وعلم أنه قد مات. وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويتوهم الناس بذلك. ثم إن سليمان سقط ميتاً، فعلم الناس أن سليمان قد مات، ووجدوا منسأته، وهي العصا بلسان الحبشة، قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا. وقد تبين أمر الجن للناس أنهم لا يعلمون الغيب.^(٢)

وقد ملك عليه السلام أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع، وأعطى علم كل شيء، ومنطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي لم يسمع بها الناس، وسخرت له فلم يزل مدبراً بأمر الله ونوره وحكمته، حتى إذا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن يستودع علم الله وحكمته أخاه وولد داود.^(٣)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)، ج٤/١٣٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥٣٥ - ١٥٣٦ (مع أنه أورد أخباراً كثيرة نقلت عن أهل الكتاب ثم أنكرها).

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٤٤٣ - ٤٤٤، برقم: ٤١٣٩.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].

حين عرفت الشياطين موت سليمان بن داود فكتبوا أصناف السحر: «من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا، فليفعل كذا وكذا». حتى إذا صنّفوا أصناف السحر، عمل به بعض بني إسرائيل، فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه وزعموا أنه من علم سليمان، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكر رسول الله ﷺ فيما نزل عليه من الله، سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين، قال من كان بالمدينة من اليهود: ألا تعجبون من محمد يزعم أن ابن داود كان نبياً! والله ما كان إلا ساحراً! وأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ﴾ اختلف الناس في هذا المقام، فذهب بعضهم إلى أن «ما» نافية، أعني التي في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ قال القرطبي: ما نافية ومعطوف على قوله ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ثم قال ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾، أي لم ينزل الله السحر وبإسناده عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ قال: ما أنزل الله عليهما السحر. فتأويل الآية على هذا ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ من السحر وما

كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر ببابل. (١)



(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج/١-١٦٩-١٧٦؛ بتصرف شديد - (مع أنه أورد أخبارًا كثيرة نقلًا عن أهل الكتاب وبعض الآثار ثم أنكرها).





إلياس عليه السلام

صفته عليه السلام.

ورد أن إلياس نبي الله ﷺ كان صاحب جبال وبرية يخلو فيها يعبد ربه، وكان ضخم الرأس خميص البطن دقيق الساقين، وكان في رأسه شامة حمراء. وإنما رفعه الله إلى أرض الشام ولم يصعد به إلى السماء، فأورث اليسع من بعده النبوة. (١)

نسبه عليه السلام وزمنه.

من ذرية هارون عليه السلام. حمل الرسالة في بني إسرائيل وجدد لهم التوراة. (٢)
جاء قبل يونس عليه السلام، أي قرابة (٩٠٠) قبل الميلاد. (٣)

فضله عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) [الصافات].

عند البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) ﴿٤﴾

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٧.

(٢) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٢٣٥؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٤٩٦.

(٣) انظر: المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسول، ص ٥٤.

(٤) البخاري، صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وان إلياس من المرسلين)، ج ٤/١٠٦.

ثناؤه ﷺ على إله ياسين. قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِيَّاهُ يَا سَيِّدَ ٱلْعَالَمِينَ ۚ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣١ إِنَّهُ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣٢﴾ [الصافات].

ولا شك أنه خص بذلك مع أنبياء آخرين مثله، في السلام من الأمم المتأخرة. (١)

قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخير ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِيَّاهُ يَا سَيِّدَ ٱلْعَالَمِينَ ۚ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣١ إِنَّهُ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. يذكر عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أن إله ياس هو إدريس. (٢)

دعوته ﷺ لقومه.

دخل قومه في الشرك بعبادتهم صنماً يقال له بعل. (٣) قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَلْقِينَ ۝١٢٥ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٢٦﴾ [الصافات].

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَاَتَتْهُمْ لِمُحْضَرُونَ ۝١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلِصِينَ ۝١٢٨﴾ [الصافات]



(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥٠٠.

(٢) البخاري، صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وإن الياس لمن المرسلين)، ج ٤/١٠٦.

(٣) انظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص ٣٣٥ - ٣٣٨.





يونس عليه السلام

ذكر نبي الله يونس في القرآن الكريم في أربعة مواضع. (١)

في المستدرک علی الصحیحین فی کتاب تواریخ المتقدّمین من الأنبياء والمرسلین: ذکر نبي الله يونس بن متى عليه السلام، وهو الذي سماه الله ذا النون. (٢)

مكانه وزمنه عليه السلام.

بعث يونس إلى نينوى في العراق، قرب الموصل. (٣)

بعد سليمان عليه السلام بحوالي (٢٠٠) سنة، أي قرابة سنة (٨٠٠) ق. م. (٤)

فضله عليه السلام.

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى))، ونسبه إلى أبيه. (٥)

وضع مسلم في كتاب الفضائل باب في ذكر يونس عليه السلام، وقول النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) انظر: عبد الوهاب النجار، ص ٤١٩.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج/٦٣٧.

(٣) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢٠٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢٣٩/٥؛ عبد القادر شيبه الحمد، قصص الأنبياء، ص ٢٠٢.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج/٦٣٧.

(٥) انظر: رواية البخاري، في صحيحه، عن ابن عباس وعن أبي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنهم، كتاب الأنبياء، باب (وإن يونس لمن المرسلين)، ج ٤/١٢٢؛ انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٠، برقم: ١١٩١١ ورقم: ١١٩١٢ و١١٩١٣؛ انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٧، برقم: ٤١٢٢؛ انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج ٧/١٠٢؛ انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، ج ٧/١٠٢.

((لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى))^(١).

رسالة يونس عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١٣٩) [الصافات].

وكان مبعثه لئمة ألف أو يزيدون. كانوا عصاة كافرين فأنذرهم العذاب، وغاب عنهم بعد أن حذرهم. فخافوا وبادروا بالتوبة واستكانوا وأخلصوا، فكشف الله عنهم العذاب بقدرته ورحمته.^(٢)

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(١٤٧) فَاْمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ

[الصافات].^(١٤٨)

وعند البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ كظيم وهو مغموم.^(٣)

إيمان قوم يونس ونجاتهم من العذاب. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْبِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾^(٩٨) [يونس]. تسمية السورة.

ركوبه السفينة والتقام الحوت له.

ركب عليه السلام في سفينة كادت أن تغرق، وكان الحل في تخفيف ركابها، على أن يتم ذلك بالقرعة فساهم معهم، فوقع عليه القرعة، مما يعني أنه لا بد أن

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، ج ٧/١٠٢.

(٢) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٣٠٣.

(٣) البخاري، صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وان يونس لمن المرسلين)، ج ٤/١٣٢.

ينزل من السفينة. وحين ذاك التقمه الحوت بأمر الله، فكان في ذلك آية. (١) قال تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات].

ظنه بعدم التضييق عليه.

وهذا هو الصحيح، فلا يوجد من في قلبه إيمانه يظن الضعف بالله وعدم قدرته على يونس، فما باله بنبي، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء]. وهو مثل قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلُهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنَّنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمَعٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الرعد].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الروم].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سبأ].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ [الزمر].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [الشورى].

تسبيحه ﷺ ونجاته من بطن الحوت بنعمة الله.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ، كَانَ مِنَ الْمَسِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾

فَبَدَّدَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ [الصافات].

واليقطين هي شجرة القرع، ولعلها ما يعرف بالقرع النجدي عندنا، وهو نوع ناعم الورق وبه ما يشبه قماش المخمل، ولا يقربه الذباب. (١)

وحول مدة بقاء يونس في بطن الحوت، وردت أقول كثيرة، (٢) والأرجح والله أعلم أنها قصيرة. والأهم هو صبره وتوبته ودعائه لله في وقت الشدة. عن الشعبي: أن يونس بن متى التقمه الحوت ضحى، ولفظه عشية. (٣)

كما ورد حوت في حوت، وظلمة البحر. (٤)

عن سعيد بن جبير، قال: سمعته يقول: ((فنأدى في الظلمات)) قال: ظلمة

الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت. (٥)

(١) انظر: عبدالقادر شيبه الحمد، قصص الأنبياء، ص ٢٠٢.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٢، برقم: ١١٩١٦؛ انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٢٧، برقم: ٤١٢٤.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٣٩، برقم: ٤١٢٦.

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٢ - ٥٤٤، برقم: ١١٩١٧.

(٥) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٤، برقم: ١١٩١٨، برقم: ١١٩١٨.

عن قول الله ﷻ: «فلولا أنه كان من المسبحين» ورد: كان يكثر الصلاة في الدجاء. (١)

عن سعد بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: ((من دعا بدعاء يونس الذي دعا به في بطن الحوت استجيب له)). (٢)

كما ورد أنه: لما التقمه الحوت فنبذته إلى الأرض فسمعها تسبح، فهيجه على التسبيح. (٣)

استجابة الله لدعائه. قال تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَجَجْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُثَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء].

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((دعوة ذي النون التي دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها مسلم في كربة إلا استجاب الله له)). (٤)

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ تَوَلَّى أَنْ تَدْرِكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ، لِنَيْذٍ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَأَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القلم].

عن كعب بن عبد الله قال: وكان يونس بن متى الذي سماه الله ذا النون. فقال: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء]. فاستجاب الله له فنجاه من الغم من ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت،

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٧ - ٦٢٨، برقم: ٤١٢٥.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٢٩، برقم: ٤١٢٧.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٤، برقم: ١١٩١٩.

(٤) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٦، برقم: ٤١٢١. والدجاء: الدجى هو سواد الليل وظلمته (ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤/٢٤٩).

وبات على قومه وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون، فأمنوا فمتعهم الله إلى آجالهم التي كتبها لهم ولم يهلكهم بالعذاب. (١)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن يونس كان وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والدة وولدها، ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه، فكف الله عنهم العذاب، وعدا يونس ينتظر العذاب، فلم ير شيئاً، وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل، فانطلق مغاضباً حتى أتى قوماً في سفينة فحملوه وعرفوه، فلما دخل السفينة ركدت، والسفن تسير يميناً وشمالاً، فقال: ما لسفينتكم؟ قالوا: ما ندري؟ قال يونس: إن فيها عبداً أبق من ربه، وإنها لا تسير حتى تلقوه، فقالوا: أما أنت يا نبي الله فوالله لا نلقيك، فقال لهم يونس: فأقرعوا فمن قرع فليقع، فقرعهم يونس فأبوا أن يدعوه فقالوا: من قرع ثلاث مرات فليقع، فقرعهم يونس ثلاث مرات فوقع، وقد كان وكل به الحوت، فلما وقع ابتلعه فأهوى به إلى قرار الأرض، فسمع يونس تسبيح الحصى ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ظلمات ثلاث، ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، قال: فنبذناه بالعراء وهو سقيم قال: كهيئة الفرخ الممعوط، ليس عليه ريش وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، كان يستظل بها ويصيب منها، فبيست فبكي عليها حين بيست، فأوحى الله إليه: تبكي على شجرة بيست، ولا تبكي على مئة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟ فخرج فإذا هو بغلام يرعى غنماً فقال: ممن أنت يا غلام؟ فقال: من قوم يونس، قال: فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أنك قد لقيت يونس، قال: فقال له الغلام: إن تكن يونس فقد تعلم أن من كذب ولم تكن له بينة أن يقتل، فمن يشهد لي؟ فقال له يونس: يشهد لك هذه الشجرة، وهذه

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٧، برقم: ٤١١٩.

البقعة، فقال الغلام: مُرهما، فقال لهما يونس: إن جاءكما هذا الغلام فاشهدا له، قالتا: نعم، فرجع الغلام إلى قومه، وكان له إخوة وكان في منعته، فأتى الملك فقال: إني لقيت يونس وهو يقرأ عليكم السلام، فأمر به الملك أن يقتل، فقالوا له: إن له بينة، فأرسل معه فانتهوا إلى الشجرة والبقعة، فقال لهما الغلام: أنشدكما بالله هل أشهدكما يونس، قالتا: نعم، فرجع القوم مذعورين يقولون: يشهد له الشجر والأرض، فأتوا الملك فحدثوه بما رأوه، قال عبد الله: فتناوله الملك فأخذ بيد الغلام فأجلسه في مجلسه، وقال: أنت أحق بهذا المكان مني. قال عبد الله: فأقام لهم ذلك الغلام أمرهم أربعين سنة. (١)

وروي أن يونس بن متى كان عبداً صالحاً، وكان في خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة، ولها أثقال لا يحملها إلا قليل، ... يقول **عَلَيْكَ** لنبيه محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم» أي لا تلق أخرى كما ألقاه. (٢)

وقيل: لما وقع يونس في بطن الحوت ظن أنه الموت، فحرك رجليه فإذا هي تتحرك، فسجد وقال: «يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يسجد فيه أحد قط». (٣)

وقد ورد خير عن حجه، فعن ابن عباس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، أن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مرَّ على ثنية، فقال: «ما هذه؟» قالوا: «ثنية كذا وكذا»، فقال: «كأنني أنظر إلى يونس ابن متى على ناقة خطامها ليف، وعليه جبة من صوف، وهو يقول: لبيك اللهم لبيك». (٤)

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤١ - ٥٤٣، برقم: ١١٩١٥.
 (٢) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٩، برقم: ١٤٢٨.
 (٣) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٩ - ٦٤٠، برقم: ٤١٢٩.
 (٤) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٣٧، برقم: ٤١٢٣.

وقد لقي الرسول ﷺ رجلاً نصرانياً في الطائف أثناء عرض نفسه ﷺ على أهلها، فسمع من الرسول ﷺ وقال له: «من أين أنت؟» قال: «من أهل نينوى» [نينوى في العراق]، فقال ﷺ: «هي بلد أخي يونس بن متى». (١)



(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٢/٤٦٦.





ذكرى وابنه يحيى

نسبهم وزمنه عليه السلام.

ذكرى من ذرية داود عليه السلام،^(١) زوج لياصابات بنت عمران، وهي أخت مريم عليها السلام. وقد عاصر ولادتها ونشأتها في نواحي بيت المقدس، وبالتالي فقد زامنا مريم وابنها عيسى عليهما السلام، وابنه النبي يحيى عليه السلام ابن خالة عيسى عليه السلام، عاصره وكان أسن منه بقليل، وقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم بيحيى حين عرج به إلى السماء.

عند البخاري رضي الله عنه في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:

﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا (٤) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال ابن عباس مثلاً يقال رضيًا مرضيًا عِتِيًّا عَصِيًّا يعتو قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي عَلْمٌ إلى قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ويقال صحيحًا ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فأوحى فأشار ﴿يَبْحَثُ خِذَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿حَفِيًّا﴾ ﴿لَطِيفًا﴾ ﴿عَاقِرًا﴾ الذكر والأنثى سواء^(٢)

وعند مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، من فضائل ذكرى عليها السلام.^(٣)

وعند ابن أبي شيبة في مصنفه، ما ذكر في يحيى بن ذكرى عليه السلام.^(٤)

(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥٨٠.

(٢) البخاري، صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)، ج ٤/١٣٧.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل ذكرى عليها السلام، ج ٧/١٠٢.

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٠.

وعند الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر زكريا بن أذن النبي ﷺ. (١)

في الاصطفاء والنبوة ذكر زكريا مع ابنه يحيى وعيسى ﷺ، قال تعالى:

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسُ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام].

ووصف بالعبودية، كما قال تعالى في دعائه ورحمة الله ﷻ له: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم].

شكوى زكريا ﷺ لربه.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [مريم].

وأشار إلى ما يخاف منه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾ [مريم].

دعاؤه بالذرية، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران].

دعاء زكريا ﷺ، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء].

حرصه على العلم، ميراث النبوة، قال تعالى: ﴿بَرُّنِي وَيَرِّثْ مِنِّي أَلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٤٥.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان آخر أنبياء بني إسرائيل زكريا بن أدن ابن مسلم، وكان من ذرية يعقوب. قال: يرثني ملكي، ويرث من آل يعقوب النبوة ^(١)

بشارة الله له بيحيى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران].

استفهامه. عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ [مريم].

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ [مريم].

طلبه علامة وآية، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾ [مريم].

تأكيد القدرة الربانية، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ [مريم].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٤٥، برقم: ٤١٤٤.

تنفيذه لما أمر به، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١١) [مريم].

كفالاته لمريم ؑ.

تتافس زكريا ﷺ مع آخرين على كفالة مريم ؑ. (١) ووصلوا لحد الخصومة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٤) [آل عمران].

نشأة مريم ؑ في كفالة نبي الله زكريا، وهو زوج أختها، قال تعالى: ﴿فَنَقَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأَتُ أِنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧) [آل عمران].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كان زكريا نجاراً)). (٢)



(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥٨١.

(٢) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكريا رضي الله عنه، ج ١٠٣/٧.

يحيى عليه السلام

استجابة الله ﷻ لذكريا.

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران].

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ، لَهُ زَوْجَةٌ إِتْمَمَ
كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

صفته عليه السلام.

لقي رسول الله ﷺ يحيى عليه السلام حينما عرج به.

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه ((أن نبي الله ﷺ حدثهم
عن ليلة أسري به، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، فقيل: من هذا؟
قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما
خلصت فإذا يحيى وعيسى، وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم
عليهما، فسلمت، فردا، ثم قالوا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح)). (١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما، «لم نجعل له من قبل سمياً»، قال: لم يُسمَّ أحد قبله. (٢)

(١) البخاري، صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)، ج ٤/١٢٧ - ١٢٨.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٠، برقم: ١١٩٥٠.

عن مجاهد، في قوله: «لم نجعل له من قبل سمياً»، قال: مثله في الفضل. (١)
وقيل: شبيهاً. (٢)

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: «ما من أحد إلا وقد أخطأ أو همَّ بخطيئة، ليس يحيى بن زكريا». ثم قرأ «وسيداً وحصوراً»، ثم رفع من الأرض شيئاً، ثم قال: «ما كان معه إلا مثل هذا». (٣)

عن سعيد - لعله ابن المسيب - : «سيداً وحصوراً»، قال: الحليم. (٤)

كان يحيى عليه السلام نبياً مجدداً لشرعية بني إسرائيل وكتابهم، وأمره الله بأخذ الكتاب بقوة، قال تعالى: ﴿يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم].

عن عكرمة: «وآتيناه الحكم صبياً»، قال: القرآن. (٥)

ثناء الله عليه، قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم].
أي محبوباً لتقواه. (٦)

من أخلاقه عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم].

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من أحد إلا وقد أخطأ أو همَّ بخطيئة، إلا يحيى بن زكريا)) (٧)

(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦١، برقم: ١١٩٥٥.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٢، برقم: ١١٩٥٩.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦١ - ٥٦٢، برقم: ١١٩٥٦.

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٢، برقم: ١١٩٥٧.

(٥) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٠، برقم: ١١٩٥٢.

(٦) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥٨٤.

(٧) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦٢، برقم: ١١٩٥٨.

استشهاد يحيى عليه السلام.

قُتل يحيى عليه السلام على يد ملك من ملوك يهود، كعادتهم في قتل الأنبياء. وذكروا في قتله أسباباً من أشهرها:

بعض ملوك ذلك الزمان بالشام كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه، أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك. فبقي في نفسه منه، فلما كان بينهما وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها فبعثت إليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طست إلى عندها، فيقال إنها هلكت من فورها وساعتها. (١)

وقيل: بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته، فأبى عليها. فلما يئست منه، تحيلت في أن استوهبته من الملك. فتمنع عليها الملك، ثم أجابها إلى ذلك. فبعث من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طست. (٢)

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ما قتل يحيى بن زكريا إلا في امرأة بغي قالت لصاحبها: لا أرضى عنك حتى تأتيني برأسه. قال: فذبحه فأتاها برأسه في طشت. (٣)

ومن المؤكد معايشة عيسى عليه السلام ليحيى عليه السلام، وبالتالي فإن قتل يحيى كان في حياة عيسى عليه السلام، وقيل إن دعوة عيسى ظهرت بعد استشهاد يحيى عليه السلام. (٤)

وروي أنه دخل ابن عمر رضي الله عنهما المسجد وابن الزبير مصلوباً. فقالوا: هذه

(١) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥٩٠ - ٥٩١.

(٢) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥٩١.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦١، برقم: ١١٩٥٤.

(٤) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٤٤٠.

أسماء، قال: فأتاها فذكرها ووعظها، وقال لها: إن الجيفة ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله فاصبري واحتسبي. قالت: وما يمنعني من الصبر، وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. (١)

عليه سلام من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم].

وقد استشهد زكريا عليه السلام على يد يهود قتلوه، كغيره من الأنبياء الآخرين، ولذلك فهو شهيد ابن شهيد. (٢)



(١) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٦١، برقم: ١١٩٥٢.

(٢) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ٥٨٦؛ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٤٤٠.





عيسى عليه السلام

فضله عليه السلام.

آخر أنبياء الله من بني إسرائيل ورسله قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيْنَتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة].

ولد عيسى عليه السلام من غير أب، وولادته في حد ذاتها معجزة. والحديث عن حياته عليه السلام يُقرن بالحديث عن أمه مريم عليها السلام، ويبدأ مع جدته.

يرتبط به التاريخ العالمي حاليًا، وبميلاده تُعرف الكثير من التواريخ المعاصرة. وفي تاريخ ميلاده وجهات نظر مختلفة بين النصارى أنفسهم. وتدين النصارى بدينه الذي انتشر في الغرب بالدرجة الأولى، وتنتسب له المسيحية، مع تغيير اعتقادهم فيه ودخولهم في الشرك والتثليث.

سُمِّيت باسم أمه مريم سورة من سور القرآن الكريم. وردت لفظة عيسى **عليه السلام** في القرآن الكريم (١٦) مرة، ووردت لفظة ابن مريم (٢٣) مرة، ووردت لفظة مريم (٣١) مرة. (١)

وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾. (٢)

وفيه تفصيلات داخل العنوان: باب ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ نبتناه ألقيناه اعتزلت ﴿شَرْقِيًّا﴾ مما يلي الشرق ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ أفعلت من جئت ويقال ألجأها اضطرها ﴿سُقِطَ﴾ تسقط ﴿قَصِيًّا﴾ قاصيا ﴿فَرِيًّا﴾ عظيمًا قال ابن عباس ﴿نَسِيًّا﴾ لم أكن شيئًا وقال غيره النسي الحقير وقال أبو وائل: علمت مريم أن التقي ذو نهية حين قالت ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾... (٣)

وفي المصنف لابن أبي شيبة: ما ذكر فيما فضل به عيسى **عليه السلام**. (٤)

المستدرک على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما. (٥)

المطالب العالية للحافظ ابن حجر، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر عيسى. (٦)

(١) أجريت بحثاً بنفسي على ذلك في برامج القرآن في الحاسب الآلي.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم)، ج ٤/١٢٨.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم)، ج ٤/١٢٨.

(٤) انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٤.

(٥) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٤٨.

(٦) انظر: ابن حجر، المطالب العالية، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر عيسى، ج ١٤/٢٧١.

صفة عيسى عليه السلام.

في صحيح ابن حبان كتاب التاريخ ذكر وَصَفِ عيسى ابنِ مريم حيث أرى عليه السلام. (١)

ووضع ابن كثير عنوان: صفة عيسى ابن مريم رسول الله. (٢)

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه: ((أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى. فسلم عليهما فسلمت فردا. ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح)). (٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به: ((لقيت موسى، قال: فنعتته فإذا رجل حسبته قال: مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة. قال: ولقيت عيسى فنعتته النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني الحمَّام ...)). (٤)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط)). (٥)

(١) انظر: صحيح ابن حبان، ج ١٤/١٢٢.

(٢) انظر: ابن كثير، الفتن والملامح، ج ١/١٢٧.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (ذكر رحمة ربك عبده زكريا)، ج ٤/١٢٧.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت)، ج ٤/١٤٠.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم)، ج ٤/١٤١: (الزط):

قوم أصولهم من السند سكنوا جنوب العراق.

((وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت. فقلت من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم (...)). (١)

عن سالم عن أبيه قال: ((لا والله، ما قال النبي ﷺ لعيسى أحمر، ولكن قال: بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر، يهادى بين رجلين، ينطف رأسه ماء أو يهراق رأسه ماء. فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم)). (٢)

جدته وولادة مريم.

يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حنة ولدت مريم، ومريم ولدت عيسى. (٣)

وضعها لمريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران].

إجابة الله ﷻ لدعوة أم مريم، وكفالة زكريا لها ورزقها. (٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم)، ج ٤/١٤١؛ وانظر: صحيح ابن حبان، ج ١٤/١٢٢.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم)، ج ٤/١٤١.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٤٨، برقم: ٤١٥٤.

(٤) انظر: حسن الجمل، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، ص ١١٥.

قال تعالى: ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل ولد آدم الشيطان نائل منه تلك الطعنة، ولها يستهل المولود صارخًا، إلا ما كان من مريم وابنها. فإن أمها حين وضعتها قالت: إني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. فضُرب دونها الحجاب، فطعن فيه. فتقبلها رباها بقبول حسن، وأنبتها نباتًا حسنًا، وهلكت أمها، فضمتهما إلى خالتها - أم يحيى)) (١).

تأسى زكريا بالدعاء، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران].

إجابة الله لدعوة زكريا، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران].

التنافس على كفالة مريم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٥٠، برقم: ٤١٥٨.

اصطفاء الله لمریم ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ﴾ (٤٢) [آل عمران].

وعند البخاري في صحيحه، في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ و﴿يَبَشِّرُكِ﴾ واحد ﴿وَجِيهًا﴾ شريفاً، وقال إبراهيم: المسيح الصديق. وقال مجاهد: الكهل الحليم. والأكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل. وقال غيره: من يولد أعمى. (١)

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون)) (٢).

وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((خير نساؤها مريم ابنة عمران، وخير نساؤها خديجة)) (٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفضل نساء العالمين: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)) (٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم تترك مريم بنت عمران بغيراً قط. (٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...)، ج ٤/١٣٨ - ١٣٩.
 (٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...)، ج ٤/١٣٩.
 (٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...)، ج ٤/١٣٨.
 (٤) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٥٠، برقم: ٤١٦٠.
 (٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...)، ج ٤/١٣٩.

توجيه مريم للعبادة لله، قال تعالى: ﴿يَمْرِيئُ أَقْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣) [آل عمران].

بشارة مريم بالمسيح عليه السلام.

ومكانته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (٤٥) [آل عمران].

خلق الله ﷻ عيسى عليه السلام وهو القادر ﷻ كما خلق آدم. قال تعالى: ﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥١) [آل عمران].

استغراب مريم لإنجابها دون زواج، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٧) [آل عمران].

امتحن مريم عليها السلام بالحمل دون أن يمسه بشر، وكانت عرضة للانتقاد في مجتمع يعد فيه الزنا جريمة كبرى. ولذلك خافت من الناس واتهامها به رغم براءتها. ومن خلال أحداث المولد لعيسى ابن مريم عليه السلام (١) يتضح أن هناك رقابة اجتماعية على الجرائم عمومًا وعلى الزنا خصوصًا. وأن عيون المجتمع لا ترحم في هذا المجال. (٢).

(١) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢/٦٣، حيث وضع عنواناً (ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم البتول).

(٢) لمزيد من التفاصيل عن نظرة المجتمع لمريم منذ حملها، انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص٤٥٩؛ الفقيه، قصص الأنبياء، ص٤٣٥.

ولذلك خشيت على نفسها وابتعدت عن مجتمعها.

وعن وقت حملها ورد عن مجاهد، قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت أنا وعيسى، حدثني وحدته. وإذا شغلني عنه إنسان، سبح في بطني وأنا أسمع. (١)

ولادة عيسى عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿فَأَنْبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۗ ٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۗ ﴿٢٣﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۗ ١٦﴾ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ ﴿١٧﴾ [مريم].

تذكير مريم للملك وتخويفه بالله، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَفِيًّا ۗ ١٨﴾ [مريم].

بيان الملك لحاله وما أمره الله به، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ ١٩﴾ [مريم].

استغراب مريم للولد منها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۗ ٢٠﴾ [مريم].

عيسى عليه السلام آية للناس، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۗ ٢١﴾ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۗ ﴿٢٢﴾ [مريم].

اعتزال مريم عليه السلام بعد ولادتها لعيسى ابن مريم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۗ ٢٣﴾ [مريم].

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٤، برقم: ١١٩٢٠.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه)) .
ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤا إن شئتم: وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. (١)

وقد ورد: ولد عيسى ابن مريم يوم عاشوراء. (٢)

عن ابن عباس وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قالوا: خرجت مريم إلى جانب المحراب بحيض أصابها. فلما طهرت، إذ هي برجل معها، وهو قوله: «فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً»، وهو جبريل عليه السلام. ففزعت منه فقالت: «إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً». قال: «إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً»، الآية.

فخرجت وعليها جلبابها، فأخذ بكمها فنفخ في جيب درعها، وكان مشقوقاً من قدامها، فدخلت النفخة صدرها فحملت، فأنتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها، فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا: يا مريم، أشعرت أني حبلى؟ فقالت مريم أيضاً: أشعرت أني حبلى؟ فقالت امرأة زكريا: فإنني وجدت ما في بطني يسجد للذي في بطنك.

فذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «مصدقاً بكلمة من الله» فولدت امرأة زكريا يحيى، ولما بلغ أن تضع مريم، خرجت إلى جانب المحراب فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة. قالت استحياء من الناس: «يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً». فتادها من تحتها: «ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً وهزي إليك بجذع النخلة

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج ٧/٩٦ - ٩٧.

(٢) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢/٦٤٨، برقم: ٤١٥٥.

تساقط عليك رطباً جنياً». فهزته فأجرى لها في المحراب نهراً. والسري: النهر فتساقطت النخلة رطباً جنياً.

فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل أن مريم ولدت. فلما أرادوها على الكلام، أشارت إلى عيسى، فتكلم عيسى فقال: «إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً...» (١)

نداء عيسى ﷺ لأمه وتطمينه لها، وإطعامها وسقيها من الله.

قال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ سُقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنَأْكُلِمَ الْيَوْمَ إِنَّسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم].

ولا شك أن أقوى الرجال، بل الجمع منهم لا يستطيعون هز النخلة، فكيف بإمرأة في مخاضها، لكنه فعل الأسباب بأمر الله.

حمل مريم لعيسى ﷺ واتهام قومها لها. قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم].

لقد تعرضت مريم ﷺ للضغط والاتهام، وهي لم تجرم، بل كان حملها بعيسى ﷺ كرامة لها. ولذلك فإن الله وجهها وأعطاهما من المعجزات ما تدفع به عن نفسها، ومن ذلك إشارتها لعيسى ليحجب القوم.

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم].

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٤٨ - ٦٤٩، برقم: ٤١٥٦.

جواب عيسى عليه السلام عن أمه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكَتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ ۝٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ۝٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ﴾ [مريم].

بعد الولادة أصبح عيسى عليه السلام بين يدي أمه مريم البتول، وخشيت من قومها أكثر خصوصاً أنها من عائلة صالحة تقيّة، يضرب بها المثل في العفة والطهارة. (١)
من معجزاته عليه السلام الكلام في المهد.

اتهمهم لمريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۖ﴾ [النساء].

قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها))، ثم يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۖ﴾. (٢)
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي، جاءته أمه فدعته فقال: أجيها أو أصلي. فقالت: اللهم لا تمته حتى تریه وجوه المومسات. وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت: من جريج؟ فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه. فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي. قالوا:

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٧٣؛ الطبري، تفسيره، ج ٨/٢٣٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١/٦٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت)، ج ٤/١٢٨.

نبي صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل فمرَّ بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه. قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه. ثم مرَّ بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه. فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها. فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون: سرقت زنيت ولم تفعل). (١).

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران].

بعد ولادة عيسى ﷺ وما جرى له من معجزات، كان مهدداً من قبل الملك الروماني لفلسطين هيرودس، (٢) الذي حاول التعرض لعيسى ﷺ ولأمه، فاضطرت مع أهلها إلى الهجرة خارج فلسطين والتوجه إلى مصر، وقيل إلى دمشق أو مكان آخر للنجاة (٣) من هذا المجرم الذي كان يهدد حياة المسيح ﷺ وأمّه بالخطر. وهذا مفهوم المفسرين (٤) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون].

آياته ومعجزاته ﷺ.

علم عيسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

[آل عمران]. ﴿٤٨﴾

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله. كتاب أحاديث الأنبياء، باب واذكر في

الكتاب مريم إذ انتبذت، ج ٤/١٤٠.

(٢) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٤٦١.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج ١/٦٩؛ الطبري، تاريخه، ج ١/١٩، ٢٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١/٢١٢؛ ابن كثير،

البداية والنهاية، ج ٢/٧٥؛ حسن دوح، ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء، ص ٨٩.

(٤) انظر: الطبري، تفسيره، ج ٩/٢١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢/٧٥.

بعد أن كبر عيسى عليه السلام نزل عليه الوحي وحمل رسالة الله إلى بني إسرائيل، وكان مما جاء به أن أمر عليه السلام بالتوراة وآتاه الله وحيه الإنجيل، يقول تعالى: ﴿وَقَفَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة].

جاهد عيسى عليه السلام في حياته ليحكم بين الناس بشرع الله ويلزمهم بالتوراة، وتعرض بسبب ذلك للأذى من بني إسرائيل. (١)

كان طيلة بقائه عليه السلام مهتداً من قبل يهود الذين حاولوا التخلص منه أكثر من مرة، حيث وشوا به إلى الحاكم الروماني واتهموه بتهم باطلة، وساقوا شهود زور لذلك، ودعوا لمحاكمته أكثر من مرة، حتى انتهى الأمر بهم للحكم بصلبه، فنجاه الله منهم بمعجزة.

ما أتى الله عيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة].

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران].

تصديق عيسى وتجديده للتوراة، وإحلاله لبعض ما حرم عليهم.

(١) انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، حيث ذكر عدد من المواقف التي تبين دفاع عيسى عن الشريعة، ص ٤٦٨.

قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجَنَّتُمْ بَأْيَةً مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠﴾ [آل عمران].

أتى عيسى عليه السلام الإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٤٦﴾ [المائدة].

أمرهم بالتحاكم للإنجيل، قال تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤٧﴾ [المائدة].

إيمان الحواريون وإسلامهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ١١١﴾ [المائدة].

كفر بني إسرائيل ومناصرة الحواريين لعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران].

دعوة المؤمنين بالمناصرة لله ولرسوله، كما فعل الحواريون مع عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَامَنَّا طَائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ١٤﴾ [الصف].

طلب الحواريون للمائدة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُونِ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ١١٢﴾

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئَنَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ [المائدة].

دعاء عيسى عليه السلام لربه بالمائدة، قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ [المائدة].

استجابة الله لدعاء عيسى عليه السلام، مع التحذير من الكفر بعد الآية، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ [المائدة].

وصف أتباع عيسى عليه السلام بالرحمة والرهبانية، ووعد المؤمنين منهم بالخير. قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الحديد].

بحث ابن حبان في صحيحه، المدة التي (بقيت فيها أمة عيسى على هديه).
أورد في ذلك حديثًا عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ولقد مكث أصحاب المسيح على هديه وسنته مئتي سنة)) (١).

وما ذكر هنا يقترب منه الكثيرون ممن تحدثوا عن تاريخ النصرانية
وبداية تأليههم للمسيح عليه السلام.

(١) انظر: صحيح ابن حبان، ج ١٤/ ١٢٠

من مواعظ عيسى وأخلاقه ﷺ.

عند مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل عيسى ﷺ. (١)

روي عن عيسى ابن مريم ﷺ أنه قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم، فإنما الناس رجلان: مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية. (٢)

وروي أنه مرت امرأة بعيسى ابن مريم ﷺ فقالت: طوبى لبطن حملك ولثدي أرضعك، قال عيسى ﷺ: طوبى لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه. (٣)

وقد روي أنه قال لأصحابه: اتخذوا المساجد مساكن، واتخذوا البيوت منازل، وانجوا من الدنيا بسلام، وكلوا من بقل البرية. وزاد فيه الأعمش واشربوا من الماء القراح. (٤)

وقد قال الحواريون لعيسى ابن مريم ﷺ: ما تأكل؟ قال: خبز الشعير، قالوا وما تلبس؟ قال: الصوف، قالوا: وما تفرش؟ قال: الأرض، قالوا: كل هذا شديد، قال: لن تنالوا ملكوت السماوات والأرض حتى تصيبوا هذا على لذة. أو قال: على شهوة..

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق. فقال له عيسى: سرقت؟ قال: كلا. والذي لا إله إلا هو! فقال

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ﷺ، ج ٧/٩٦.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٨، برقم ١١٩٢٨.

(٣) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٨، برقم ١١٩٢٧.

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٨، برقم: ١١٩٢٩.

عيسى: آمنت بالله. وكذبت نفسي). (١)

وروي كان عيسى ابن مريم **العليه السلام** لا يرفع عشاء لغداء، ولا غداء لعشاء، وكان يقول: إن مع كل قوم رزقه، كان يلبس الشعر ويأكل الشجر وينام حيث أمسى. (٢)

عبودية عيسى **العليه السلام** لله.

عبودية عيسى لله **ﷺ**. قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (١٧٢) [النساء].

تأكيدُه للتوحيد. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٥١) [آل عمران].

نفي الولد عن الله **ﷻ**. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦) [مريم].

كفر من ألهوا المسيح **العليه السلام** وأخرجوه من عبوديته. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) [المائدة].

تأكيد أن عيسى **العليه السلام** ابن لمريم ورسول الله، والنهي عن التثليث. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى **العليه السلام**، ج ٧/٩٧.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٧ - ٥٤٨، برقم: ١١٩٢٦.

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ^ع أَنْتَهُمْ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ [النساء].

كفر أصحاب التثليث. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ
ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٧٤﴾ [المائدة].

أورد البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿يَأْهَلُ
الْكِتَابِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا
ثَلَاثَةً ^ع أَنْتَهُمْ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ، وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ قال أبو عبيد: كلمته كن فكان وقال غيره:
﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أحياء فجعله روحًا ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ (١).

نسبة بنوة عيسى لله، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَتْهُمْ إِنَّهُنَّ لَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة].

براءة عيسى **عليه السلام** ممن ألوهه وأمه. قال تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ
مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، ج ١٣٩/٤.

أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ [المائدة].

التأكيد على بشرية المسيح وأمه، وحاجته وأمه للطعام، وما يتبعه كسائر البشر، ومكانتهما. قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة].

آياته الكبرى **العلوية** كلها كانت بإذن الله **ﷻ**.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ مِمَّنْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾ [المائدة].

نفي الألوهية عن المسيح **العلوية**. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة].

تأليهم لعيسى عليه السلام والأخبار.

قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ الَّذِي هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١) [التوبة].

عن ابن عباس رضي الله عنهما سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله)) (١).

عن سعيد بن جبير رضي الله عنه، في قوله: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون»، قال: فذكروا عيسى وعزيراً أنهما كانا يُعبدان، فنزلت هذه الآية من بعدها «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون»، قال: عيسى ابن مريم عليه السلام. (٢)

وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (٩٨) لَوْ كَانَهُنَّ أَلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ [الأنبياء].

النصارى عبده عليه السلام مع الله، فدُعوا إلى المباهلة، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴾ (٦١) [آل عمران].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت...، ج ٤/١٤٢.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٩، برقم: ١١٩٣١.

استعطاف عيسى عليه السلام لربه، وبيان صدقه. قال تعالى: ﴿إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَعَفَّرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ [المائدة].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تحشرون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، فأول من يكسى إبراهيم. ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي! فيقال: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (إلى قوله العزيز الحكيم)). (١)

أخذ الميثاق من عيسى عليه السلام في صف الأنبياء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ (٧) [الأحزاب].

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب ومنهم النصارى لتوحيد الله وحدّه. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّاهِلُ الْكُفْرُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) [آل عمران].

نفي اليهودية والنصرانية عن إبراهيم عليه السلام. والرد على زعم أهل الكتاب ومنهم أتباع عيسى عليه السلام أن إبراهيم تبع لهم. قال تعالى: ﴿يَتَّاهِلُ الْكُفْرُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) [آل عمران].

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت...)، ج ٤/١٤٢ - ١٤٣.

هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَاجِبَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ [آل عمران].

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ [آل عمران].

تبعية المسلمين لإبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ [آل عمران].

مكرهم ضد عيسى عليه السلام.

مكر الله له. قال تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [آل عمران].

رفع الله لعيسى عليه السلام، وإخباره ﷺ بذلك. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ
إِنِّي مُؤَفِّقُكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمَطْهَرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ [آل عمران].

نجات عيسى عليه السلام من القتل.

وإلقاء الشبهه على أحدهم، قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ
بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ﴿١٥٧﴾ بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء].

وقد رُوي أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «إنه لم يُعمّر نبي قط عمر النبي بعده نصف عمر صاحبه، وعُمر عيسى أربعين، وأنا عشرين». قال الراوي: معناه عمر في النبوة. (١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء، خرج إلى أصحابه، وهم اثنا عشر رجلاً، من غير البيت، ورأسه يقطر ماء، فقال لهم: «أما إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي». ثم قال: «أيكم سيلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟». فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال: «أنا»، فقال عيسى: «اجلس»، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: «أنا». فقال: «نعم، أنت ذاك». قال: فألقي عليه شبه عيسى، قال: ورفّع عيسى عليه السلام من روزنة كانت في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشبيه، فقتلوه، ثم صلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، ففترقوا ثلاث فرق. قال: فقال فرقة: «كان فينا الله ما شاء، ثم صعد إلى السماء»، وهؤلاء اليعقوبية (اليعاقبة). وقالت فرقة: «كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه الله إليه»، وهؤلاء النسطورية (النساطرة)، وقالت فرقة: «كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه»، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة، فقاتلوا، فقتلوا، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ.

فأنزل الله عليه، فأمنت طائفة من بني إسرائيل، يعني الطائفة التي آمنت في زمن عيسى. وكفرت طائفة، يعني الطائفة التي كفرت في زمن عيسى. فأيدنا الذين آمنوا في زمان عيسى على عدوهم، بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار، فأصبحوا ظاهرين. (٢)

(١) انظر: ابن حجر، المطالب العالمة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر عيسى، ج ١٤/٢٧١.

(٢) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٦ - ٥٤٧، برقم: ١١٩٢٥.

قال وهب بن منبه: توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من نهار حين رفعه إليه. والنصارى تزعم أنه توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه. قال وهب: وزعمت النصارى أن مريم ولدت عيسى لمضي ثلاث مئة سنة وثلاث وستين من وقت ولادة الإسكندر. وزعموا أن مولد يحيى بن زكريا كان قبل مولد عيسى بستة أشهر.

وزعموا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وأن عيسى عاش إلى أن رفع، وكان ابن اثنين وثلاثين سنة. وأن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين، فكان جميع عمرها ستاً وخمسين سنة. وكان زكريا بن برخيا أبو يحيى بن زكريا، زعموا، ابن ميتين. وأم مريم حامل بمريم، فلما ولدت مريم كفلها زكريا بعد موت أمها، لأنها خالتها، أخت أمها، كانت عنده. واسم أم مريم حنة بنت فاقوذ بن قيل. (١)

مما يدل على نزول عيسى ﷺ وأنه لم يميت بعد. قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء].

وعند البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم. (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها))، ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. (٣)

(١) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحین، ج ٢/٦٥١ - ٦٥٢، برقم: ٤١٦٤.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم ﷺ، ج ٤/٤٢٠.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم ﷺ، ج ٤/٤٢٠.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)) (١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإنه لعلم للساعة، قال: خروج عيسى ابن مريم عليه السلام. (٢) ويقصد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف].

وجاء الوعد بالجنة لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أتباع عيسى العليه السلام من النصارى والثناء عليهم.

عن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) (٣).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((... إذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران...)) (٤).

عن جابر أن وفد نجران أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فقال: هو روح الله وكلمته، وعبد الله، ورسوله. قالوا له: هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك؟ قال: وذلك أحب إليكم؟ قالوا: نعم. قال: فإذا شئتم. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وجمع ولده، والحسن، والحسين، فقال رئيسهم: لا تلاعنوا هذا الرجل، فوالله لئن لاعنتموه ليخسفن أحد الفريقين. فجاءوا فقالوا: يا أبا

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم العليه السلام، ج ٤/١٤٢.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١١/٥٤٥، برقم: ١١٩٢٣.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، ج ٤/١٣٩.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت...)، ج ٤/١٤٢.

القاسم، إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا، وإنا نحب أن تعفينا. قال: قد أعفيتكم، ثم قال: إن العذاب قد أظل نجران. (١)

وهذا يشير إلى حادثة ملاعنة نصارى نجران حين إلى المباهلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران]. (٢)

صد قريش عن المثل بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف].

بشارة عيسى عليه السلام بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِنَحْيِ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾﴾ [الصف].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي)). (٣)

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم

(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٢/٦٤٩، برقم: ٤١٥٧.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٦٩ - ٣٧١؛ وعبد العزيز بن إبراهيم العمري، علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بناحي الجزيرة العربية، ص ٢٩ - ٢٩٢.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت)، ج ٤/١٤٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج ٧/٩٦.

في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)) (١).

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان. (٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن روح الله عيسى ابن مريم نازل فيكم، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل. فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمانة على أهل الأرض، حتى ترعى الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان مع الحيات، لا تضرهم فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون. (٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، ﴿لُظْهَرُهُ عَلَى الدِّينِ كُؤْلِهِ﴾، قال: خروج عيسى عليه السلام. (٤)

وقد وردت روايات متعددة، عن نزوله آخر الزمان، وقتله للمسيح الدجال، ويكسر الصليب، ويصلي بصلاة المسلمين، ويتزوج، ويحكم بشريعة الإسلام، ويحج ويعتمر، وينزل الله البركة على الأرض. (٥)

كما ورد أنه يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم في حجة له أو عمره. (٦)

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليهبطن عيسى ابن مريم

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت)، ج٤/١٤٢؛

وراه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج٧/٩٦.

(٢) انظر: ابن كثير، الفتن والملاحم، ج١/١٢٢.

(٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج٢/٦٥١، برقم: ٤١٦٢؛ ابن كثير، الفتن والملاحم، ج١/١٢٩.

(٤) انظر: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، ج١١/٥٤٥، برقم: ١١٩٢٤.

(٥) انظر: ابن كثير، الفتن والملاحم، ج١/١٢٤.

(٦) انظر: ابن النجار، أخبار المدينة، ص٣٦٠.

حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاجاً، أو معتمراً أو بنيتهما وليأتين قبري حتى يسلم ..)).^(١) ويولد له، ويمكث أربعين سنة، ثم يموت، فيُدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى بن مريم في قبر واحد بين أبي بكر وعمر).^(٢)

وقد وردت روايات متعددة ضعفها عدد من العلماء والباحثين، عن دفن عيسى ابن مريم في الحجرة النبوية عند موته في آخر الزمان.^(٣)

روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه؛ أنه مكتوب في التوراة: ((أن عيسى عليه السلام يُدفن مع النبي ﷺ)).^(٤)

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: نظرت في التوراة صفة محمد ﷺ، وعيسى ابن مريم عليه السلام يُدفن معه.^(٥) وقد ذكر أنه قد بقي من البيت موضع قبر رابع.^(٦)

ومقتضى الروايات أنه يموت بالمدينة المنورة.^(٧)

وفي أخبار المدينة، هناك موضع قبر يُدفن فيه عيسى عليه السلام.^(٨)



(١) انظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ج ٦٥١/٢، برقم: ٤١٦٢.

(٢) انظر: ابن النجار، أخبار المدينة، ص ٢٣٨؛ ابن كثير، الفتن والملاحم، ج ١٢٩/١.

(٣) انظر: موقع الألوكة: <https://www.alukah.net/sharia>

(٤) انظر: الترمذي، صحيحه، ج ٥٨٨/٥، برقم: ٣٦١٧.

(٥) انظر: الترمذي، صحيحه، ج ٥٨٨/٥، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، برقم: ٣٦١٧.

(٦) انظر: السهودي، وفاء الوفاء، ج ٥٥٨/٢.

(٧) انظر: ابن كثير، الفتن والملاحم، ج ١٢٩/١.

(٨) انظر: ابن النجار، أخبار المدينة، ص ٢٣٨.

الخاتمة

أنبياء الله هم قادة الخلق لعبادة الخالق وتوحيده، وقد حوى القرآن الكريم قصص الأنبياء إرشاداً لنبيه ﷺ وللمسلمين إلى يوم القيامة. ولا شك أن الأنبياء السابقين كانوا يقصون على أقوامهم أخبار من سبقهم من الأنبياء، وتتنزل في ذلك آيات في كتب الله التي بين أيديهم. وفي كتاب الله، خاتم كتبه الذي أنزله على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد ﷺ، وقد حوت معظم آيات القرآن الكريم وسوره المتعددة أخباراً وأحاديث عن أنبياء الله، قصهم الله ﷻ على رسوله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه].

وقد سُميت عدد من سور القرآن الكريم بأسماء هؤلاء الأنبياء والرسول. وآدم عليه السلام هو أول أنبياء الله ورسله، إذ بُعث إلى أبنائه وذريته في زمانه، إلى أن جاءتهم الأنبياء الآخرون. بعض هذه القصص والأخبار تتحدث عن النبي منذ ولادته، كما حصل مع موسى وعيسى عليهما السلام، بل تتحدث أحياناً عما قبل ولادته، كما جاء في الحديث عن مريم البتول عليها السلام قبل الحديث عن عيسى، نبي الله ورسوله.

قصص أولئك الأنبياء مليئة بالأحداث التي فيها إصلاح للخلق، وعبادة لله وتوحيده، وللدين الصحيح الذي هو دين الأنبياء جميعاً، وربط للخلق بالخالق ﷻ، إنها قصص مليئة بالهدى والأخلاق والمعاملات والعفة والعدل. كل هذا نراه من خلال قصص الأنبياء وتاريخهم. نرى سنن الله في خلقه، نرى كيف

تكون العاقبة إلى خير للمؤمنين وأنبياء الله الصالحين. تعرض بعض أنبياء الله للاضطهاد، وقتل عدد منهم وخصوصاً من عصاة بني إسرائيل.

احتوت تلك القصص على رؤى وأحلام تحققت، كما في قصة يوسف عليه السلام. كان لهؤلاء الأنبياء زوجات وذرية، رجالاً ونساءً. وكانوا بشرًا لهم آباء وأمهات، ولهم قصص معهم، سواء كانوا مؤمنين أم غير ذلك. كان لهم أصحاب يدعونهم إلى الهدى، ولهم مواطن وأماكن، ولهم هجرات من مكان إلى آخر.

عاشوا في أزمنة وأمم مختلفة، منهم من كان ملكًا لم يأت أحد من الملوك مثله، ومنهم من كان مبتلى في ذريته وفي نفسه، ومنهم من رأى رحمة الله ﷻ بعد الابتلاء، ومنهم من صدرت منه حكم.

كانوا ثابتين على طاعة الله وعلى توحيدِهِ في كل أحوالهم، منزهين لا يبحثون عن مصالح الدنيا، فأتاهم نصر الله ونجاهم من العذاب الذي وقع على أقوامهم العصاة الكافرين. هدى الله بهم الخلق، وجعلهم قدوة في التوكل والدعاء والرجاء لما عنده. أورثهم الأرض بعد أقوام تكبروا وتجبروا، بقي ذكرهم الحسن. تبعهم محمد ﷺ فكان يقتدي بهم ويأمر بأن يُهتدى بهم. عاصروا طواغيت متكبرين متألّهين، أمثال فرعون والنمرود وغيرهم، وأعانهم من الجند الضالين المضلين، لكن نصرهم الله عليهم وأنجاهم مع المؤمنين.

ورغم ضلال البعض وانحرافهم عن الحق وأحياناً هذا الانحراف يأتي من داخل بيوت هؤلاء الأنبياء، مثل ما حصل مع امرأة نوح وامرأة لوط.

كان لبعضهم صناعات وحرف يأكلون منها، مثل داود عليه السلام. كما طلبوا

العلم ممن هم أعلم منهم، كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام. كانوا يسيرون بوحى الله.

ولكل منهم مكانته، فهذا خليل الرحمن، وهذا كليم الله، وذاك شفيع الأمم. وهكذا كان أنبياء الله عليهم السلام نبراساً للخلق، يتأسون بهم ويقودونهم على الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصالحين.

برسل الله وأنبيائه هذا الكتاب يمر بهم ولا يستقصي، وإن كان لكل منهم خصوصيته ومكانته. أسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرتهم، وأن يجعلنا معهم في عليين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر.

- أبو الفداء، المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت، ٧٣٢هـ).
- المختصر في أخبار البشر. تعليق محمود ديوب، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤ - ٢٥٦هـ).
- صحيح البخاري، الرياض: دار إشبيلياء ١٤١٨هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ - ٢٧٩هـ).
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي). تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم.
- قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس. القاهرة: شركة الشمرلي ١٩٩٤م.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق أحمد بن محمد بن

عبدالله ابن حميد، ط ١ - الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، دار
الغيث ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

ابن حنبل، الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد (ت، ٢٤١هـ).

- المسند. بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٨هـ.

ابن سعد، محمد بن منيع الهاشمي، مولا هم - كاتب الواقدي - (ت، ٢٣٠هـ).

- الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر (ب. ت).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت، ٢٥٠هـ).

- فتح القدير. ط ٣ - بيروت: دار الفكر ١٣٩٣هـ.

الصالح الشامي، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).

- سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد. ج ٥، تحقيق فهد محمد
شلتوت وجودة عبدالرحمن هلال، ط ١ - القاهرة: المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية ١٤٠٤هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).

- تاريخ الأمم والملوك. بيروت، دار الفكر، (د. ت).

- جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري). بيروت: دار الكتب
العلمية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ - ٥٧١هـ).

- تاريخ دمشق، نسخة مصورة من المخطوطات الأصلية. المدينة المنورة:
مكتبة الدار ١٤٠٧هـ.

الفاكهي، أبو عبد الله أحمد بن إسحاق (ت، ٢٧٩هـ تقريباً).

— أخبار مكة. دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة (د. ت).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت، ٦٧١هـ).

— الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت، ٨٢١هـ).

— نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت، ٧٧٤هـ).

— البداية والنهاية، ط ٣ - بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.
— النهاية في الفتن والملاحم. القاهرة: دار الحديث ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ).

— سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: ١٣٧٣هـ.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت، ٣٤٥هـ).

— مروج الذهب ومعادن الجوهر. ط ٥ - تحقيق محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر ١٣٩٣هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت، ٧١١هـ).

— لسان العرب. بيروت: دار صادر (د. ت).

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت، ٢١٣هـ).

– السيرة النبوية. تعليق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: مكتبة شقرون (د. ت).

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت، ٦٢٦هـ).

– معجم البلدان. بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).

اليقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت، ٢٨٢هـ).

– تاريخ اليقوبي، بيروت، دار صادر ١٣٧٩هـ.

ثانياً: المراجع:

البدراوي، رشدي.

– قصص الأنبياء والتاريخ. الجزء الأول، آدم-صالح. القاهرة: ١٩٩٦م.

البلادي، عاتق غيث.

– معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. ط ١ - مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ.

الجاسر، حمد.

– المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (شمال المملكة)، القسم الثالث. الرياض: دار اليمامة للترجمة والنشر (د. ت).

الجميل، حسن عز الدين.

– إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم. ط ١ - بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ.

الحليسي، نواف صالح.

- المنهج الاقتصادي في المكايل والموازين لنبي الله شعيب **عليه السلام**. ط ٣ - الرياض ١٤١٤هـ.

دعبس، الحمزة.

- أكرم الناس (ملحمة شعرية). القاهرة (د. ت).

دروزة، محمد عزة.

- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. بيروت: المكتبة العصرية ١٣٨٩هـ.

دوح: حسن.

- ابتلاءات الشر والخير في حياة الأنبياء. ط ١ - القاهرة: دار الصحوة ١٤١٥هـ.

الراجحي، عبدالغني.

- آدم **عليه السلام** كما تحدث القرآن الكريم. القاهرة: مؤسسة مكة (د. ت).

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر.

- ياض: قصص الأنبياء. ط ١ - الرمكتبة أصول السلف ١٤١٦هـ.

السندي، عبدالقادر حبيب.

- الذهب المسبوك في تحقيق مرويات غزوة تبوك. الكويت: مكتبة المعلا ١٤٠٦هـ.

الصابوني، محمد علي.

- النبوة والأنبياء. ط ٢ - مكة المكرمة ١٤٠٠هـ.

طيارة، عفيف عبدالفتاح.

- مع الأنبياء في القرآن الكريم. بيروت: دار العلم للملايين ١٩٩٣ م.

عبود، عبدالغني.

- أنبياء الله والحياة المعاصرة. القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٧٨ هـ.

العطاس، هادون.

- عاد في التاريخ. ط ١ - القاهرة: مكتبة حسان ١٣٩٨ هـ.

عقيل، عقيل حسين.

- نوح ﷺ من وحي القرآن. ط ١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

الفاقي، محمد.

- قصص الأنبياء أحداثها وعبرها. ط ٢ - القاهرة: مكتبة وهبة ١٤١٠ هـ.

كانترز، كينيث (وآخرون).

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. لندن: جمعية الإنجيل العالمية ١٩٩٧ م.

مجموعة من العلماء.

- المعجم الوسيط. إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إستانبول: طبعته المكتبة الإسلامية (د. ت.).

محمد، محمد عبدالسلام.

- بنو إسرائيل في القرآن الكريم. ط ١ - الكويت: مكتبة الفلاح ١٤٠٠ هـ.

مهران، محمد بيومي.

- دراسات تاريخية من القرآن الكريم، (١) بلاد العرب. الرياض:
جامعة الإمام ١٤٠٠هـ.

النجار، عبد الوهاب.

- قصص الأنبياء. القاهرة: دار التراث (د. ت.).

النجار، أبو عبد الله محمد بن محمود.

- الدرّة الثمينة في أخبار المدينة. ط١ - طنطا - مصر: دار الضياء
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.



